منشورات كلّيّة اللاهوت الحبريّة
في جامعة الروح القدس – الكسليك

١– **الإنجيل وأعمال الرسل**، الكسليك، ١٩٨٧؛ ١٢+٦٢٨ صفحة + ٤ خرائط.

٢– **الرسائل والرؤيا**، الكسليك، ١٩٩٢؛ من الصفحة ٦٢٩ إلى ١٣٠٤+ ٤ خرائط.

٣– **العهد الجديد**، الكسليك، ١٩٩٢؛ ١٢+١٣٠٤ صفحات + ٤ خرائط.

٤– **نشيد الأناشيد**، الكسليك، ١٩٩٤؛ ٨٨ صفحة.

٥– **أناشيد الميلاد**، ترجمة وتقديم الأب يوحنّا يشوع الخوري، الكسليك، ١٩٩٤؛ ٤٢+ ٣٠٢ صفحة.

٦– **Acta Symposii Internationalis Circa Codicem Canonum Ecclesiarum Orientalium,** Kaslik, 1996; 648 pages.

٧– **مجامع كنيسة المشرق**، تأليف الأب يوسف حبّي، الكسليك، ١٩٩٩؛ ٦٢٤ صفحة.

٨– **مشروع الوحدة بين كنيستي الرّوم الكاثوليك والرّوم الأرثوذكس**، مجموعة محاضرات، الكسليك، ١٩٩٨؛ عربي: ٦٧ صفحة + فرنسي: ٤٠ صفحة.

٩– **الأخلاق حرّيّة ومحبّة**، تأليف الأب لويس الخوند، الكسليك، ٢٠٠٠؛ ٢٧٢ صفحة.

١٠– **كنيسة المشرق الكلدانيّة الأثوريّة**، تأليف الأب يوسف حبّي، الكسليك، ٢٠٠١؛ ٢٧٢ صفحة + ٢٠ صفحة بالألوان.

– **تيولوجيا**، نشرة دوريّة، موجّهة إلى قدامى الكلّيّة وأصدقائها.

– **مجلّة Parole de l'Orient**، متخصّصة بالدراسات الكنسيّة الشرقيّة.

– **Syriac Studies, A Classified Bibliography (1960-1990),** *Sebastian P. Brock*, Kaslik, 1996; 308 pages.

Church History:
Chaldean Church
Beth Mardutho Library

الأب يوسف حبّي

(فاروق داوود)

١٩٣٨/١٢/٢٣ وُلد في بغداد،

١٩٥٠ دخل إكليريكيّة مار شمعون الكلدانيّة

١٩٥٤ التحق بمعهد انتشار الإيمان في روما

١٩٦١/١٢/٢٠ سيم كاهنًا

١٩٦١ تابع دراسته في الجامعة الغريغوريّة في روما ونال منها شهادة الدكتوراه

١٩٦٧ عاد إلى العراق، وخدم عدّة رعايا في الموصل وبغداد.

منذ ١٩٩٠ شغل عدّة مناصب، منها منصب نائب بطريركي للشؤون الثقافيّة ورئيس محكمة الاستئناف الكلدانيّة

ألّف وساهم في نشر ٢٦ كتابًا ومقالاً صحافيًا

١٩٩١ كانت له اليد الطولى في تأسيس كلّية بابل للفلسفة واللاهوت وبقي عميدًا لها حتى وفاته

كان رئيس لجنة اللغة السريانيّة التابعة للمجمع العلمي العراقي

كان رئيس تحرير مجلّة «ما بين النهرين» منذ تأسيسها سنة ١٩٧٢

٢٠٠٠/١٠/١٥ توفّي بحادث سير مفجع على طريق بغداد-عمّان الدوليّة في الأردنّ، فيما كان قادمًا إلى لبنان لعدّة مهامّ، منها مراجعة مسودّة هذا الكتاب.

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܩܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܘܨܪܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠܐ ܥܡ ܓܢܒܐ
ܘܢܗܘܐ ܡܢ ܒܢ̈ܝ ܫܘܠܚܢܐ ܘܚܪܡܐ ܕܪܫܐ ܢܦܠ ܥܠܘܗܝ
ܥܕܡܐ ܠܗ ܫܒܩܐ ܠܐ ܢܫܟܚ ܗܘܐ ܠܗ ܫܒܩܐ ܥܡ
ܠܥܠܡܝܢ ܥܕܡܐ ܕܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

منشورات كليّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس - الكسليك
- ١٠ -

كنيسة المشرق الكلدانيّة - الأثوريّة

أ. يوسف حبّي

الكسليك - لبنان
٢٠٠١

© جميع الحقوق محفوظة

مركز النشر والتوزيع
جامعة الروح القدس - الكسليك
تلفون: ٦٤٠٦٦٤/٦٤٠٦٦٥ (٠٩)
ص.ب.: ٤٤٦-جونيه، لبنان
فاكس: ٦٤٢٣٣٣ (٠٩)

الإهداء

إلى أرض مباركة أنبتت الجنائن والزقّورات[١]

وإلى شعب بل شعوب وأقوام أبدعت الزراعة والاستيطان والكتابة والروائع

وإلى إنسان رأى وخبر فنقش وخلّد ونشر الطيوب ونثر الورود وأنضج الثمار

وإلى كنيسة أمّ ومعلّمة وخبرة حياة رائدة في كل العصور والأماكن

وإلى كل كلداني في أي عهد وبلد وعمر ووضع ومسيرة حياة

وإلى كل أثوري وناطق بالسورث لغة الجدود والعهود

وإلى أي سرياني ومسيحي ومؤمن بالله والقيم

وإلى سليل دوحة جثالقة وبطاركة كنيسة المشرق الكلدان مار روفائيل الأول بيداويد الكلي الطوبى

وإلى مار دنخا الرابع بطريرك كنيسة المشرق الأثورية

وإلى مار أدّي الثاني بطريرك الكنيسة المشرقية القديمة

وإلى بطاركة التراث السرياني وقداسة بابا روما وكنائس الشرق والغرب

وإلى مطارين وأساقفة وكهنة وشمامسة وراهبات وعلمانيين رسل يعملون بتفان وسخاء

باعتزاز وحبّ أهدي هذه الصفحات.

ي. ح.

بغداد وروما ١٩٩٤ – ١٩٩٨

---

١) جمع زقّورة، وهي هرم مدرّج مخصّص للمدافن. في مصر يسمّى سقّورة.

إيضاح ورجاء

ليس تفضيلاً ولا تحيّزًا، بل حصرًا لحاليّة كنيسة معروفة منذ زمن ليس بالقليل باسم (كنيسة المشرق) بشقَّيها (الكنيسة الكلدانية) و(الكنيسة الأثورية)، منذ أواسط القرن ١٦، جاء هذا العنوان. ولكن، ولأني أؤمن بالوحدة والأصل المشترك، سأتطرق إلى ما يخص (كنيسة المشرق) بمعناها الأوسع والأعم، فيشمل الكلام:

- كنيسة المشرق الكلدانية والأثورية، وهما كنيسة واحدة. هكذا كانت منذ البدايات، وحتى أواسط القرن السادس عشر.

- الكنيسة السريانية، الأرثوذكسية والكاثوليكية، إذ ان الأصل مشترك أقله في المناطق المشرقية، ثمَّ حصل الخلاف منذ أواخر القرن الخامس فما بعده.

ولأنها المحاولة الأولى بهذا المنحى والشمول، فلا بد من أن تكون هناك نواقص وهنات نرجو تلافيها لاحقًا بتعاونكم المشكور.

مدخل

عرفت كنيسة المشرق بداياتها منذ فجر المسيحية، ونمت في العديد من ديار المشرق لتشمل بلاد ما بين النهرين (شرقي سورية، وجنوبي تركية، وشمالي العراق)، ووسط العراق (حيث قام الكرسي الجاثليقي البطريركي في المدائن: سلوقية – طيسفون – كوخي)، وسائر أنحاء العراق الأخرى، وإيران، وبلدان الخليج، والهند، واليابان، والتبت، وأفغانستان، وتركستان، ومناطق من جيورجيا وأرمينية وبعض المناطق الروسية، وديار الشام، والقدس. والمذهل ان توسّعها كان كبيرًا جدًا، بحيث بلغ عدد أبرشياتها الأسقفية على مدى عدة قرون نحو ٢٥٠، توحّدها أبرشيات مطرافوليطية بلغت ٢٣، يرأسها جاثليق بطريرك يجلس عادة في كنيسة كوخي العظمى، غير بعيدة عن سلوقية وطيسفون (ساليق وقطيسفون) وبابل القديمة وبغداد دار السلام.

هذه الكنيسة، بتاريخها وطقوسها ونشاطها وشخصياتها، وعلى مدى قرون وأجيال مديدة، هي موضوع هذه الصفحات، وغرضنا أن نقدم مرجعًا أوليًا لتجربة تاريخية رائدة، بقراءة جدية متعمّقة، حصيلة دراسات وتأملات، مشفوعة بتوثيق علمي، وبلقمة مهضومة يستسيغها الجميع.

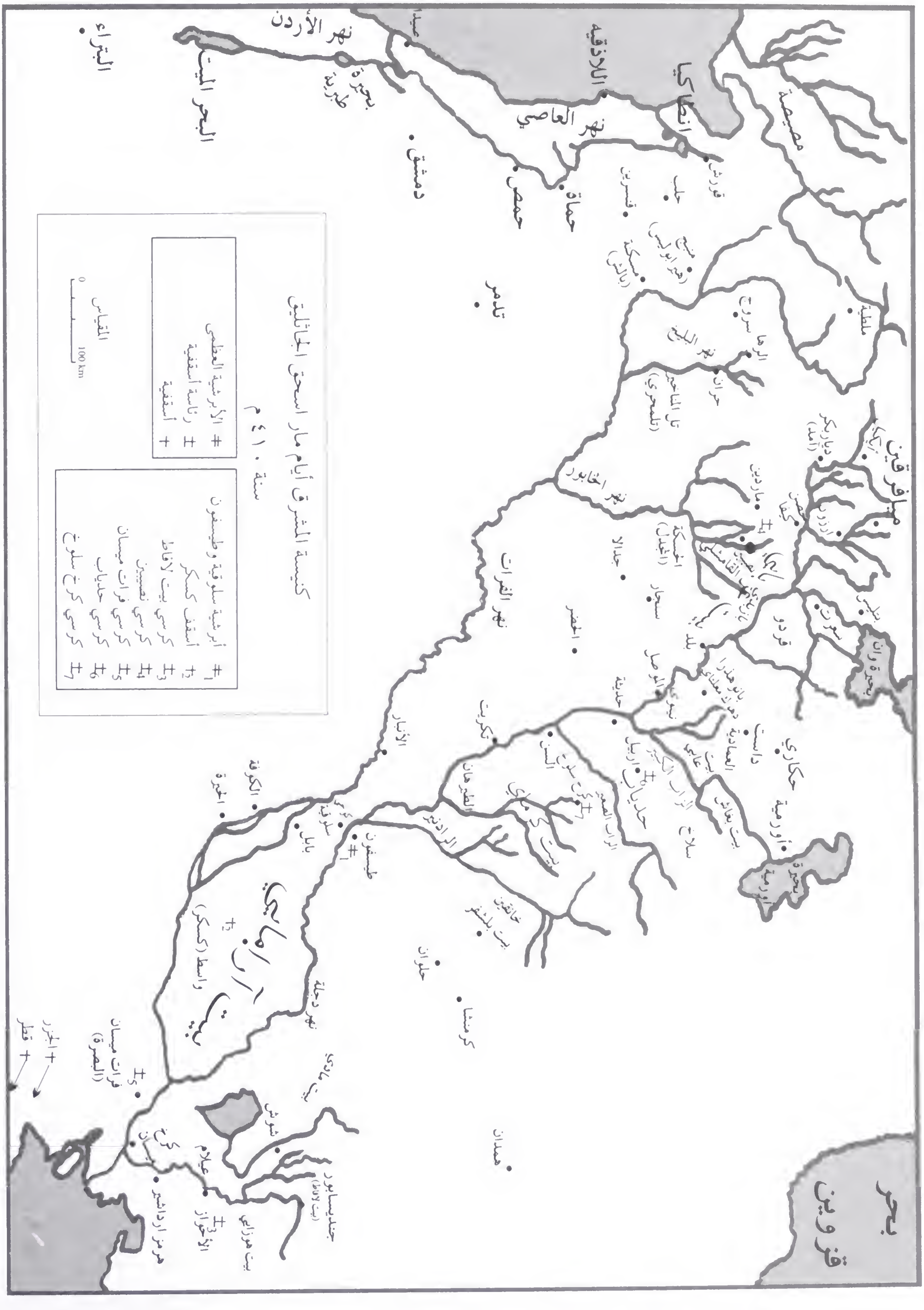
كنيسة المشرق أيام مار اسحق الجاثليق
سنة ٤١٠ م
الأبرشية العظمى
رئاسة أسقفية
أسقفية
أبرشية سلوقية وطيسفون
أسقف كسكر
كرسي بيت لاباط
كرسي نصيبين
كرسي فرات ميشان
كرسي حدياب
كرسي كرخ سلوخ
القياس
0
100 km
بحر قزوين
البحر الميت
نهر الأردن
البتراء
بحيرة طبرية
اللاذقية
انطاكيا
نهر العاصي
دمشق
حمص
حماة
تدمر
مصيصة
ملطية
نهر الخابور
نهر الفرات
حكاري
بحيرة وان
بحيرة أورمية
بيت آرامايي
الحيرة
الكوفة
همدان
حلوان
كرمنشا
نهر دجلة

الفصل الأول

البيئة الحضارية لكنيسة المشرق

ناقص هو تأريخ أيّة كنيسة إن هو لم يتناول أيضًا البيئة التي نمت وترعرعت فيها تلك الكنيسة. إضافةً إلى تشخيص عوامل التفاعل الحضاري والمجتمعي المطلوب لدى قراءتنا التاريخ بشكل متعمق. لذا كان لا بد من كلمة في البيئة الجغرافية والحضارية لكنيسة المشرق، أقله في بدايات تكوينها حين كانت محصورة ضمن أراضي بلاد ما بين النهرين بمفهومها الواسع. وثمّة أهمية أخرى سببها تمركز كنيسة المشرق في قلب هذه الرقعة من الأرض، سواء كمرجع أساس عبر التأريخ في كرسي كنيسة كوخي (المدائن)، وسواء بعد انحسارها منذ القرن الرابع عشر.

١ - بلاد ما بين النهرين

إنها البيئة الطبيعية لكنيسة المشرق. أقله في أصولها وبداياتها وخصوصياتها. وكما أنه لا يجوز عزل شريحة اجتماعية عن غيرها، كذلك لا يجوز عزل مسيحية هذه البلاد عن الأرض واللغة والتراث والشعب والأديان الأخرى التي انوجدت في الرقعة عينها. إنه أكثر من إطار، ولا يصح أيضًا تشبيه الأمر بالروح والجسد، فهو تكامل إنساني، إجتماعي، حضاري، يعطينا تفهمًا أوسع وتعمقًا أعظم واستيعابًا أكبر لحياة كنيسة انتشرت في منطقة غنية بالتاريخ والحضارة، وكان لها دور لامع عبر عصور مديدة.

تقع البلاد المعروفة باسم (بلاد ما بين النهرين)، وبالإغريقية واللغات الأوروبية Mesopotamia، في آسيا الغربية، مبدئيًا ما بين النهرين العظيمين (دجلة) أو Tigris أي النمر لسرعة جريانه، و(الفرات) Euphrates ذي الماء العذب اللذَين ورد ذكرهما في الكلام على جنة عدن التوراتية (تك ٢ : ١٤). كما انها تسمى أيضًا بلاد (وادي الرافدين). وعلى الرغم من أنها لا تتصل بالبحر الأبيض المتوسط بشكل مباشر، فإنها تعد

جزءًا لا يتجزأ من الوحدة الجغرافية الكبيرة لحوض هذا البحر الذي كان يظنه الأقدمون مركز العالم. وفيها قامت حضارات وأمبراطوريات عظيمة. ولقد شملت وحدة البحر المتوسط الجغرافية والحضارية القسم الشمالي من أفريقية، وآسيا الغربية، والوسطى، وأوروبا الشرقية، والغربية، وكانت جميع هذه المناطق ذات مواقع ستراتيجية بالغة الأهمية، وذات تاريخ حضاري عريق، وأهمية تجارية وسياسية ودينية كبيرة. كما ان مياه دجلة والفرات تنبع من جبال تركية وأرمينية. هذان النهران يقطعان جبال العراق وسورية وسهولهما حتى يلتقيا قرب القرنة، حيث (شجرة آدم) الأسطورية، مشكلين النهر العظيم (شط العرب) الذي يصب في الخليج، فيكوّن الامتداد الطبيعي لبلاد وادي الرافدين والجزيرة العربية أو البلاد السعيدة Arabia Felix ودول الخليج. على هذا تتكوّن جملة ثغور، أهمها ثغور بحرية على البحر الأحمر عن طريق خليج عدن، والبحر المتوسط عن طرق عدة، والمحيط الهندي عن طريق بحر عمان، إضافة إلى الطرق البرية عبر البادية السورية والجبال التركية حتى البحر الأسود وبلاد آرارتو والجبال الإيرانية على بحر قزوين، أي بانفتاح هذه البلاد على سائر بلاد العالم القديم.

٢ – أرض أبينا ابراهيم

تفخر بلاد وادي الرافدين بأنها موطن ابراهيم خليل الله وأبي المؤمنين. إذ ان التوراة تؤكد بأن أور الكلدانيين هي موطن ابراهيم. تقع أور على بعد ١٥ كم جنوب غربي مدينة الناصرية ونهر الفرات في منطقة تعرف اليوم بـ(المقير). كانت مركزًا عظيمًا للحضارة السومرية، الحضارة الأولى في العالم، كما انها عاصمة ثلاث سلالات حاكمة. وما تزال آثارها شاخصة، نجد فيها المقابر الملكية، والزقورة، وبعض المعابد، وبقايا القصر، وحيًا سكنيًا فيه «بيت ابراهيم».

ومعلوم بأن ابراهيم رحل إلى أرض حاران فكنعان. كما ان التوراة تتحدث عن الفردوس الأرضي الذي يُعتقد وجوده في هذه المنطقة، لاسيما بسبب ورود إسمي دجلة والفرات بين أسماء الأنهر الفردوسية الأربعة. وقد نوّهنا بشجرة آدم قرب القرنة، كما يرد ذكر بابل ونينوى بتواتر في أسفار العهدين القديم والجديد، وكذلك ذكر دانيال وحزقيال وناحوم وعزرا، وتأتي أحداث سفر يونان، والسبي البابلي والآشوري . . .

فتوفّر كلها دلائل واضحة على وجود تأثير سومري وبابلي وآشوري على العبرانيين، بشكل غير مباشر، أي عن طريق الكنعانيين والحثّيين والحوريّين والآراميّين. هذا كله يقودنا إلى التمكن من إطلاق صفة «أرض مقدسة» على بلاد وادي الرافدين. تمامًا كما نطلق هذه التسمية على بلاد أخرى. وقد كثرت الدراسات التي تتناول علاقات حضارة وادي الرافدين بأسفار الكتاب المقدس.

٣- حضارة وادي الرافدين

إنها أول حضارة عرفها الإنسان، بحيث يمكن القول ان إنسان وادي الرافدين هو صانع الحضارة بفضل ثورة عظمى قوامها الزراعة فالالتصاق بالأرض والاستيطان وتدجين حيوانات أليفة صالحة للأكل والعمل، فكان الاستقرار، ركيزة العمران، ونشأ المجتمع، وعرف العمران البشري ازدهاره بفضل التصنيع والتجارة. وتمت طفرة حضارية باختراع الكتابة وتطور الفنون. وقامت في سائر أرجاء البلاد قرى وأرياف، ثم مدن ودويلات، حتى نشأت أخيرًا ممالك وأمبراطوريات ذات شأن عظيم. وتعاقبت أقوام شتى صنعت من المنطقة مهد حضارات، كانت هي الباعث على نشوء حضارات مصر وديار الشام وبلاد اليونان وغيرها، فتكونت مدنية عالمية نغترف منها جميعًا بفضل إرث بشري زاخر. وما تزال الأصول القديمة مثار بحث وتدقيق، إنما دون التشكيك بقدم حضارة وادي الرافدين وأصالتها، كما باتزانها الإنساني ورقيها المعرفي والعمراني.

٤- أجواء المسيحية المشرقية

في هذه الأجواء عرفت المسيحية انتشارها في بلاد ما بين النهرين، في أواسط القرن الأوّل، وفي عهد الفرثيين على وجه التحديد الذين حكموا البلاد من سنة ٢٥٠ ق م إلى ٢٢٦ م. وعرفت انتشارًا كبيرًا في عهد الساسانيين (٢٢٦-٦١٢ م). صحيح بأن هؤلاء جميعًا أقوام غير مشرقية، لكنهم اتخذوا عاصمة ملكهم في قلب وادي الرافدين، أي في مجمع المدن الذي عرف بـ(المدائن - مذيناثا)، مبتنين عدة مدن على مقربة من بابل القديمة، غير بعيدة من بغداد عاصمة العباسيين والعراق، إضافة إلى عواصم صيفية كانت لهم في منطقة الأحواز (عيلام).

أما الكلام على الحالة الدينية التي كانت سائدة في البلاد لدى ظهور المسيحية، فإن ديانة الفرثيين والساسانيين الرسمية كانت الزرادشتية، نسبة إلى زرادشت القائل بإله خير (آهورمزدا) وإله شر (أهريمان)، والتركيز على النار، كما على عبادة النيرات: الشمس والقمر والنجوم. وكان للكهان أو المجوس تأثير كبير على الدولة والمجتمع، وقد تسببوا في إثارة اضطهادات متكررة وقاسية ضد المسيحيين أودت بحياة الألوف.

ومنذ حملة سنحاريب عام ٧٠٢ ق م على مملكة يهوذا وأسره العديد من اليهود، سكن اليهود قرب نينوى. ثم كان الجلاء إلى بابل، على عهد ملكها نبوخذنصر، عام ٦٠٥ ثم ٥٩٨–٥٩٧ ق م، فازداد عدد اليهود الذين سكنوا بلاد وادي الرافدين وانتشروا في أرجائها. وقد عاد كثيرون منهم اثر هجوم قورش ملك فارس واستيلائه على بابل عام ٥٣٩ ق م. وفضل آخرون البقاء في البلاد الرافدية بعد أن وجدوا العيش فيها طيبًا واصبحوا ذوي رؤوس أموال وأعمال. وفي بابل تكون التلمود الابلي على يد رابي أشي وربابنة آخرين، بعد أن أصبحت بابل حاضرة ثانية لمأثورات اليهود، وإلى برشيجا رئيس مدرسة بمباديته تنسب الاقتباسات التلمودية المعروفة بالتراجيم (جمع توركاما أي التركوم أو الترجوم). وعرف اليهود، كسواهم من أهالي البلاد، «الهيلنة» منذ استيلاء الاسكندر الكبير على المنطقة عام ٣٣١ ق م. والجدير بالذكر أن أصل يهود كرانكور وكوجين في ملبار الهند ناجم عن نفيهم من مملكة فارس إلى هناك في عهد الملك قباذ (٤٨٨–٥٣١ م) وربما قبل ذلك.

ومما عزز الصلات بين المسيحيين واليهود في ديار المشرق: ان المسيح ورسله وتلاميذه الأولين من فلسطين، وأن اللغة الآرامية كانت قد اكتسحت البلاد وأصبحت هي اللغة الرسمية، سواء في الدولة البابلية والآشورية في آخر عهديهما، أم في دولة العبرانيين، بينما ظلت لغة التخاطب في معظم أنحاء الشرق لهجات «سامية» قديمة تطعمت بكلمات آرامية متعددة، فكانت (السورث).

الفصل الثاني

هويّة وبدايات

١ - الاسم

التسمية القديمة والواضحة لهذه الكنيسة هي (كنيسة المشرق) (عيدتا دمذنحا = Church of the East) . أما اسم (الكنيسة الكلدانية) ، فهو ذو امتداد تاريخي حضاري ، تبلور واستقر في القرن ١٦ . هذه التسمية تميزها عن شطرها الآخر (الكنيسة الأثورية) ، التسمية التاريخية الحضارية أيضًا التي عرفت الرسوخ والتعميم منذ أواسط القرن ١٩ . كلتا التسميتين صحيحتان ، ولا يجوز تفضيل الواحدة على الأخرى ، لأنهما تسميتان لكنيسة واحدة في الأصل ، دخلت الأولى ، أي الكلدانية ، في شركة رسمية مع روما منذ العام ١٥٥٣ ، في حين ظلت الأخرى في استقلالية قديمة مستمرة .

ويمكننا تعميم القول بشأن وحدة المسيحية كلها في ديار المشرق ، إذ كانت لا ريب كنيسة واحدة في العصور الأولى ، واستمرت في شركة محبة حتى انفصام عرى الوحدة التامة بسبب تعارض جَرَّتْها إليه خلافات مذهبية وبدع وهرطقات حصلت في صفوفها ، وقد كان أشدّ خلاف ذاك الذي حصل بين كنائس الاسكندرية والقسطنطينية وانطاكية ، سرى في جسم كنيسة المشرق تباعًا عن طريق مدرستي الرها ونصيبين . وهنا أيضًا لا بد من التأكيد أن سبب الخلاف في الأساس إنما كان من الخارج ، لا من الداخل .

٢ - البدايات

عرفت البشرى (الإنجيل) بمولد يسوع المسيح وحياته وتعاليمه ، وانتشرت خارج فلسطين على أيدي رسله وتلاميذه الغيارى في شتى أرجاء العالم . وكان بين الذين آمنوا بكلام الرسول بطرس ، يوم العنصرة (الفنطقسطي) ، بعض سكان ما بين النهرين وغيرهم (أع ٢ : ٨ - ١١) .

ويأتي في التقليد خبر قدوم المجوس من المشرق (متى ١:٢). والنجم شعار البطريركية الكلدانية، كما ان الشمس هي شعار البابلية الأثورية، نور من المشرق، شعار هذه الكنيسة.

وثمة أسطورة جميلة ترجع أصول المسيحية في الشرق إلى أبجر ملك الرها (أورفه) الذي أرسل وفدًا إلى المسيح يسأله القدوم إلى مدينته، ووعد بأن يقاسمه نصف مملكته إذا ما شفي على يده. وشاء فنان يرافق الوفد أن يرسم المسيح فاكتفى يسوع بطبع صورته على منديل. وقد ذكر أبو التاريخ الكنسي أوسابيوس القيصري هذه القصة في الفصل ١٣ من الكتاب الأول من تاريخه.

قصد أدي، أحد التلاميذ السبعين أو الاثنين والسبعين مملكة الرها (Edessa) بعد صعود المسيح إلى السماء، وشفى الملك وعمده هو وحاشيته وأهل مملكته، فغدت مملكة الرها مسيحية منذ أواسط القرن الأول.

وقد ذيلت الأسطورة ببركة خاصة لمدينة الرها، بحسب (تعليم أدي) الذي يرجع في أقدم نص معروف إلى القرن الثالث.

– رواية أبجر ويسوع (تاريخ أوسابيوس القيصري، ١، ١٣):

«الملك أبجارا (أبجر) – الذي حكم الأمم التي وراء نهر الفرات بمجد عظيم – إذ أصيب بمرض عجزت عن شفائه كل حكمة بشرية، وسمع باسم يسوع ومعجزاته التي شهد بها الجميع بلا استثناء، أرسل إليه رسالة مع مخصوص (رسول موفد)، ورجاه أن يشفيه من مرضه. على انه في ذلك الوقت لم يجبه إلى طلبه، ومع ذلك حسبه مستحقًا أن ترسل إليه رسالة شخصية قال فيها: انه سيرسل أحد تلاميذه لشفائه (. . .) ولم يمض وقت طويل حتى تحقق وعده، لأنه بعد قيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماء، أرشد الوحي توما – أحد الرسل الاثني عشر – فأرسل تداوس (تدي، أدي)، الذي كان أيضًا ضمن تلاميذ المسيح السبعين الى أديسا (أي الرها)، ليكرز ويبشر بتعاليم المسيح وعلى يديه تم كل ما وعد به مخلصنا. ولديكم الدليل – المكتوب – على هذه الأمور مستمدًا من سجلاّت الرها، التي كانت في ذلك الوقت مدينة ملكية، لأنه قد وجدت

تلك الأمور محفوظة إلى الوقت الحاضر في السجلات العامة الرسمية المتضمنة بيانات عن العصور الغابرة وعن أعمال أبجر. وليس شيء أفضل من أن تسمعوا الرسائل نفسها التي أخذناها من السجلات الرسمية، وترجمناها حرفيًا من اللغة السريانية». ويذكر نص رسالة لأبجر إلى المسيح، وجواب يسوع، ورواية إرسال تداوس - أدي إلى الرها.

٣- بيّنات التاريخ

والحقيقة أن المسيحية انتشرت في ديار المشرق عن طريق الرها، بفضل رسل قدموا من فلسطين، عبر انطاكية والرها ونصيبين، وبشروا في العراق من شماله إلى جنوبه، وامتدادًا من الخليج وإيران والهند وشرقي آسيا حتى أقصاها، ابتداءً بالشمال الغربي من سورية وجنوب تركية.

وهناك ترابط كنسي وثيق بين الرها وما بين النهرين والعراق والهند، تؤكده شواهد أدبية وأثرية عديدة تجمع بين الرسل الأوائل الذين أرسوا ركائز المسيحية في هذه البلاد.

وقد أبانت الحفريات كنيستين، الواحدة فوق الأخرى، في كوخي قرب سلوقية (سلمان باك)، تعود السفلى إلى القرن الأول أو الثاني، والعليا الشاخصة إلى القرن الثالث أو الرابع. يؤيد الأمر شاهد تاريخي جغرافي (طوبوغرافي)، هو نص قديم حفظه (مجدل ماري، من القرن ١٢)، يذكر تحول نهر دجلة في الأعوام ٧٦ - ١١٦م، ويشير إلى وجود كنيسة قبل تغير مجرى دجلة في المنطقة. لذا فإن أقدم كنيسة في العراق ما تزال آثارها ظاهرة على تل عمر (القاضية أو السيافية)، هي كنيسة كوخي العظمى، وتعود إلى القرن الأول للميلاد، تنضم إليها عشرات الكنائس والأديرة المنتشرة في سائر أرجاء مناطق كنيسة المشرق، أشهرها كنيسة الرها قرب القصر الملكي التي أغرقها فيضان عام ٢٠١م، كما يشهد بذلك تاريخ الرها (من القرن ٣). وأظهرت المكتشفات الأثرية قدم المسيحية في بلاد وادي الرافدين وديار المشرق، عندما اكتُشفت كنائس وأديرة أطراف الحيرة والكوفة وبلد (أسكي موصل) والجبال شمالي العراق وشرقيه، وكنيسة مار توما في كيرالا (الهند)..

٤- رسل المشرق

يعود الفضل الكبير في نشر بشرى الخلاص في ديار المشرق إلى مار توما، أحد الرسل الاثني عشر. ساعده في الرسالة مار أدي أحد الاثنين والسبعين أو السبعين، وتلميذاه أجي وماري. وبينما شملت رسالة أدي وأجي الأقسام الشمالية من بلاد ما بين النهرين، فإن كرازة مار ماري امتدّت حتى أواسط البلاد ومناطق أخرى، بحيث اعتبر بحق مؤسس أقدم كنيسة أصبحت مركزًا لرئيس كنيسة المشرق، أبيها، بحيث وضعه المؤرخون القدامى في مطلع قائمة جثالقة كنيسة المشرق وبطاركتها.

وتذكر الصلاة الطقسية لهذه الكنيسة الرسول توما والتلميذين أدي وماري بصفة متلمِذَي المشرق.

وقد أكمل مار توما الرسول طريقه إلى الهند، مبشرًا في عدة أماكن، إذ يقول أوسابيوس القيصري ان حصة توما في التبشير كانت مملكة الفرثيين (الفصل ذ من الكتاب ٣)، وكانت هذه تمتد من نهر الفرات حتى الهند، ومن الخليج حتى بحر قزوين. وتكللت حياة مار توما بالشهادة، ودفن في ميلابور، ثم نقل رفاته إلى مدينة الرها التي كانت قد أصبحت مملكة مسيحية منذ النصف الأول من القرن الثاني. وترجع أعمال توما إلى الربع الأول من القرن الثالث أي إلى نحو سنة ٢٢٥، وقد تكون بقلم أحد تلاميذ برديصان (١٦٠ – ٢٢٢).

– **من نشيد الجوهرة (أعمال توما)**:

«إذ كنت ولدًا طفلاً أسكن في مملكة (ملكوثا) بيت أبي
في ثراء وأطايب من كانوا يربونني آمنًا.
من المشرق (مذنحا) موطننا، زودني أهلي وأرسلوني
ومن غنى كنزنا جهزوا لي حملاً وفيرًا
كبيرًا كان وخفيفًا بحيث يسعني أن أحمله وحدي
ذهبًا من بيت العليل، وفضة من كزخ الكبرى
وأحجارًا كريمة من الهند، وحللاً فاخرة من كاشان

وجهزوني بألماس يكسر الحديد
وألبسوني الحلة البهية (الزاهية) التي صنعوها لي بحبهم
ونسجوا لي رداء أرجوانيًا بمقاس قامتي
وقطعوا معي عهدًا (حورقانا) وضعوه في قلبي لئلا يمحى:
«إن أنت نزلت مصر لجلب الجوهرة الفريدة،
التي هي وسط البحر، قرب الحية (حويا) ذات الفحيح
فعليك أن ترتدي الحلة البهية، وتلقي عليها الرداء الأرجواني
فتكون مع أخيك ثانينا، وارثًا في مملكتنا».
تركت المشرق ونزلت، ومعي دليلان
لأن الطريق مخيفة ووعرة، وأنا بعد طفل، لكي أقطعها
اجتزت حدود ميسان حيث متاجر المشرق
حتى بلغت أرض بابل، ودخلت أسوار سريج
وانحدرت إلى داخل مصر، وانفصل عني من كانا برفقتي
توجهت نحو الحية مباشرة، وشرعت أحوم حول مأواها
ولما نامت ورقدت، أخذت الجوهرة منها...».

٥- اللغة والشعب

يتكلم أفراد هذه الكنيسة لغات عديدة. لكنهم يستعملون السريانية الرهاوية لغة طقسية. وهذه وليدة الأكّاديّة والبابلية والأشورية، ولاسيما الارامية، فهي لغة من لغات شعوب ديار المشرق. يتحدث سكان هذه الديار لغة بل لهجة شعبية تسمّى (السورث) إجمالاً، ومن ذلك تسمية مسيحيي هذه الكنيسة بـ «سوريايي» أي (سورايي)، وهي التسمية الأكثر شمولاً وقبولاً من سائر التسميات. وتختلف اللهجات المحكية بحسب المناطق، لكنه لسان واحد، لأنهم جميعًا شعب واحد أصلاً. وبالسورث تحدَّثَ المسيح

وأمه مريم ورسله وتلاميذه. وطبيعي أن تحصل تغيرات على اللغة عبر الزمن بفعل احداث مختلفة.

والسريانية من سورية، آسوريا، آشور. وهي لغة الطقوس وبها وضع آباء التراث السرياني والعلماء الذين أنجبتهم كنيسة المشرق مصنفاتهم التي تشكل إرثًا عظيمًا. وعرفت بالشرقية للفظها المفتوح وخطها المنحوت، وبالغربية للفظها المضموم وخطها المائل (سرطو)، يوحد الخطين خط قديم يعرف بالاسطرنجيلي (الخط المستخدم في تدوين الإنجيل)، دونت به الأسفار المقدسة والمخطوطات القديمة.

والجماعة الكنسية المشرقية متكونة من أقوام شتى، هم أحفاد السومريين والبابليين والكلدانيين والآشوريين والآراميين، كما من القبائل العربية التي في العراق والمناطق الشمالية والغربية والجنوبية والخليج، ومن اليهود الشتات، ومن الشعوب الإيرانية والتركية والأفغانية والهندية والصينية والتتارية وغيرها، أي من جميع من احتضنتهم كنيسة المشرق ووحَّدتهم أمًا ومعلمة، في الإيمان والطقوس والرئاسة والشركة، بروحية غلبت عليها مسحة مشرقية، أساسها لغة واحدة وشعب واحد وحضارة واحدة. وحين تشتد الخصائص عبر الزمن، تصبح أيضًا من العوامل التي تؤدي إلى انحسار بعض الأطراف، كما حصل لكنيسة المشرق، منذ القرن الرابع عشر خاصة، فإن «المثاقفة» أمر ليس سهل المنال، والقبول، والاستمرار.

وما يزال الأثوريون، ومعظم الكلدان، وبعض السريان، في أي بلد وجدوا واستقروا، يتحدثون بالسورث لغة أم. وقد وحَّدَ الأثوريون لهجاتهم في أواسط القرن ١٩ في لسان جديد (لشانا خاثا)، بينما حافظ الكلدان على اللغة الفصحى (الكلدانية) في التدوين والطقس، وبقيت السورث لغةَ تخاطب، واستخدموا لغة البلد للكتابة والتأليف.

الفصل الثالث

الحياة الطقسية

١- طقس كنيسة المشرق

يتميز طقس كنيسة المشرق بمسحة رسولية تقليدية، فيها نزعة إلهية قدسية وسرية ترجع إلى الحضارات القديمة في الشرق، السومرية والبابلية وغيرهما، نفذت إليها من خلال تقليد يهودي وكتابي مؤشر في العهد القديم. وللروح القدس دور كبير في طقوس كنيسة المشرق وصلواتها، كما فيها تأكيد على وضع الإنسان الخاطئ ووجوب التماسه الغفران، وإسداء الحمد والثناء لله رب الكل. ويكثر التميز الثالوثي الواحد في الله وتدبيره الخلاق والخلاصي في النصوص الطقسية المشرقية.

يسمى قداس هذه الكنيسة (قداس الرسل) أو بنوع أدق (قداس الرسولين أدي وماري). إنه من أقدم نوافير القداديس في العالم، له ما يشبهه لدى الموارنة (نافور شرار) وفي تقليد تكريت السرياني. فيه من البساطة ما يتيح بروز عناصر مهمة هي المشتركة في أية رتبة قداس آخر. يحيا المشاركون فيه قداس الكلمة الذي كان يقام على المنصة (البيم - بيما) وسط الكنيسة، دلالة على تساوي الجميع ازاء كلمة الله. والتماس المباشر يتيح مشاركة أشد التصاقًا بالكلمة، إذ يتم نصب الكتاب المقدس والجلجلة والصليب الممجد الظافر فوق المنصة، وتتلى قراءتان من العهد القديم (واحدة من التوراة وأخرى من الأنبياء)، ثم قراءة من رسائل مار بولس، ثم يرتل الإنجيل باحتفال مهيب يضفي عليه البخور والشموع مهابة وقدسية وتسبقه هللويا وكلمات تمجيد.

وللتقادم رتبة خاصة كان يقوم بها الشماس الإنجيلي (مشمشانا)، فيها إعداد الخبز والخمر للقرابين، يليها قانون الإيمان بعد ذكر العذراء مريم والرسل والشهداء والقديسين وشفيع الكنيسة، حتى يصعد الكاهن إلى المذبح بصلوات وانحناءات احتفالية، ليقوم برتبة التقديس السري. فالقداس هو سر (رازا) عظيم، يكتمل بفعل ثالوثي واستدعاء الروح القدس (ليأت يا رب روحك القدوس ويستقر على قربان . . . Epiklesis)، ثم يكون

التمام بالكسر والمزج واتحاد شكلي الخبز والخمر، دلالة على موت المسيح وقيامته، فهو الضحية والكفّارة والخلاص. وبعد استغفار الله عن ذنوبنا الشخصية، بعد أن نكون قد تصالحنا مع الاخوة منذ لحظات السلام، قبل بدء النافور، يؤهلنا الرب إلى أن نقف لتلاوة الصلاة النموذج وأن ندعوه بنعمة منه، لا باستحقاق منا، «أبانا الذي في السموات. . .»، وحينئذ يحق لنا أن نتقدم إلى التناول بعد تعطير الأيدي بالبخور واقتبال القربان المقدس تحت شكلَي الخبز والخمر، فنزداد انتماءً إلى جسد المسيح كأعضاء حية في الجسد المقدس. وترفع في ختام القداس صلوات شكر للثالوث على النعم الغزيرة التي يفيضها الله على البرايا. والنفس الظاهر في القداس، كما في صلوات طقوس هذه الكنيسة كلها، شمولي لا يستثني أحدًا، مع تركيز على المحتاجين والخطأة.

ولهذه الكنيسة نافوران يستخدمان في آحاد ومناسبات أخرى، يرجعان إلى ثيودوروس المصيصي ونسطور الإنطاكي بطريرك القسطنطينية، لكنّ النافور الأول هو ما يستعمل عادة في قداديس كنيسة المشرق.

من صلوات قداس أدي وماري:

– «سبحانك يا واجد الضائعين. سبحانك يا جامع المبددين. سبحانك يا مقرب البعيدين. سبحانك يا راد الضالين إلى معرفة الحق. سبحانك ربي لأنك دعوتني أنا الضعيف بنعمتك، وقربتني إليك بحنانك، وجعلتني عضوًا معروفًا في الجسم العظيم لكنيستك المقدسة الجامعة، لأقرب قدامك هذه الذبيحة الحية المقدسة والمقبولة، ذكرى آلام ربنا ومخلصنا يسوع المسيح وموته ودفنه وقيامته، به سررت ورضيت أن تغفر خطايا جميع البشر».

– «مبارك أنت أيها الرب إله آبائنا، ومعظم اسمك ومجيد إلى الدهر. أنت لم تعاملنا بحسب خطايانا، بل أنقذتنا من سلطان الظلام برحمتك الواسعة، ودعوتنا إلى ملكوت ابنك الحبيب يسوع المسيح ربنا، الذي به قضيت على سلطان الموت ومنحتنا الحياة الأبدية التي لا تفنى. والآن أيضًا يا رب، وقد أهلتنا أن نقوم أمام مذبحك الطاهر ونقرب لك هذه الذبيحة الحية المقدسة، أهلنا بحنانك أن نقتبل هذه الموهبة بطهر وقداسة، ولا تكن لنا للدينونة والنقمة، بل للرحمة والحنان، لغفران الخطايا، وللقيامة من بين الأموات،

وللحياة الأبدية. فنكون جميعًا شهودًا جديرين بمجدك، وهياكل مقدسة لسكناك. وإذا ما اتحدنا بجسد مسيحك ودمه، نتلألأ مع جميع قديسيك يوم ظهوره العظيم المجيد. لك وله وللروح القدس المجد والإكرام والشكر والسجود، الآن وكل أوان وإلى الأبد».

٢- السنة الطقسية

تنقسم السنة الطقسية إلى مواسم أو سوابيع (شاووعي):

الأول، موسم البشارة (سوبارا)، يتكون من أربعة آحاد تسبق أعياد الميلاد، هي البشارة إلى زكريا واليشباع البارين، والبشارة إلى مريم العذراء، والبشارة إلى العالم بمولد يوحنا المعمدان، والبشارة إلى مار يوسف، فميلاد يسوع، وتهنئة العذراء، وعيد الختانة (رأس السنة).

تعقب فترةَ الميلاد أسابيعُ الظهور (دنحا – الدنح) باعتلان يسوع المسيح مرسلاً من الآب ومخلصًا، وبدء كرازته العلنية وإسنادها بالفعل والقول، والأمثال والأعاجيب.

ويحتل موسم الصوم (صوما) مكانة خاصة في الطقس المشرقي. فهو زمن التوبة، يمتاز بصلوات إضافية مطولة ذات ألحان شجية، تسبقه ثلاثة أيام طلب، تسمّى (باعوثا نينوى)، تقام خلالها صلوات مسهبة مستمدة من الكتب المقدسة وترانيم مار افرام والملفان نرسي، ينقطع فيها الجميع عن اللحوم والأكل الدسم، ويقومون بشعائر التوبة على غرار ما فعل أسلافهم أهالي نينوى، كما ذكر سفر يونان، ويتهافتون على الكنائس للاشتراك في الصلوات والقداديس. وقد كان هناك باعوث أو ثلاثية طلب أخرى للبتولات (باعوثا دبثولاثا) سقط استعمالها مع الزمن.

ثم يبدأ الأسبوع العظيم بعد الشعانين (أُوشعني) الذي تسحر ألحانه الشجية ألباب المؤمنين، ويطرب لها الأطفال، وتكثر في هذه المناسبة التقاليد الشعبية.

ولخميس الفصح، وجمعة الآلام، وسبت النور صلوات ورتب متميزة تطبع في القلوب آثارًا عميقة، يكللها عيد القيامة (قيومتا) بتعليم شيق وتطواف وترانيم هدفها التركيز على قيامة المسيح والصليب الظافر أو الممجد. ويتخذ أحد العنصرة (حلول الروح

القدس، الفنطقسطي) مكانته المرموقة، إذ يحتفل به بالسجود للتأكيد على التعليم القويم لسر الثالوث، ثم الانطلاق إلى العالم لإعلان حقيقة البشرى، فهو موسم الرسل، يختتم بعيد الاثني عشر رسولاً، وذكرى التلاميذ السبعين (أو الاثنين والسبعين)، مع التأكيد على الرسالة التي يتوجّب على جميع المسيحيين أداءها مجسدين إيمانهم الحي.

ويحل موسم الصيف (قيطا) مع تركيز على وجوب التزام القناعة وعدم الانسياق وراء الماديات، لأنه موسم الحصاد الذي يحمل الفرح لأناس كانوا في أكثرهم مزارعين وأصحاب مهن وحرف وهم ينتظرون الثراء في هذا الفصل من السنة.

بعد هذا الموسم أسابيع مخصصة لإيليا وموسى، تقل وتكثر وفق وقوع العيد الكبير، كما هي الحال بالنسبة إلى أسابيع الظهور (الدنح). وتتشابك أسابيع إيليا مع عيد الصليب وآحاده. فهو أيضًا مجيء ثان. تليها آحاد موسى النبي، حتى تختتم السنة الطقسية بأربعة آحاد تقديس الكنيسة عروس المسيح.

وتذكر كنيسة المشرق العذراء مريم في صلوات الصباح والمساء (صفرا ورمشا) اليومية، وتخصص الأربعاء لآلام المسيح والقديسين، ويعيّد للعذراء مريم بيوم تهنئة (ثاني الميلاد، أو الجمعة الأولى بعد الميلاد)، وحافظة الزروع (في ١٥ أيار)، والانتقال (١٥ آب)، ومناسبات أخرى ولدت بتأثير لاتيني غربي. وتحتفل بإكرام الشهداء والمعترفين برتبة كانت تجري بتطواف إلى بيت الشهداء أو القديسين (بيت سهدي) بعد صلاتي الصباح والمساء كل يوم. وتخصص أيّام جمعة عديدة لذكرى قديسين مشرقيين وغربيين. وقد دخلت بعض الأعياد الحديثة في الكنيسة الكلدانية.

٣ – المواسم

تشتهر مسيحية المشرق بمواسم (شيري) يقيمها مؤمنوها جميعًا أو أهالي منطقة معينة. يحتفلون فيها بإكرام العذراء مريم أو أحد الشهداء والقديسين ومؤسسي الأديرة، وكثيرًا ما تقتصر على شفيعهم الخاص. وتشتمل على القداديس والصلوات وأكلات خاصة وتقاليد شعبية جميلة.

تتخلل موسم الظهور (الدنح) احتفالات بذكرى الرسل والإنجيليين وأشهر القديسين: مار يوحنا المعمدان، ومار اسطيفانس بكر الشهداء، ومار بطرس وبولس، والمعلّمين أي الملافنة (ملفاني)، الآباء السريان (سوريايي)، والملافنة اليونان، وشفيع الكنيسة المحلية، وذكرى الموتى، وتقع أيام الجمعة.

تتعاقب في موسم الصوم مواسم (شيري) كنائس وأديرة، كما في الموصل، كموسم كنيسة الطهرة (العذراء الطاهرة مريم وهي كنيسة الدير الأعلى)، وموسم دير مار كوركيس، ودير مار ميخائيل، مواسم مزارات وأديرة وأمكنة عديدة. وتستمر هذه الاحتفالات في مواسم طقسية أخرى، كما في أزمنة أعياد القيامة، والصيف، والخريف، تتحكم فيها تواريخ تكلل الشفيع بالشهادة أو أحكام أخرى، كالبيئة والمناخ.

وتحتل العذراء مريم المركز الأول من حيث الكنائس والمزارات، كما سنرى في الفقرة المخصصة لها. تليها كنائس ومزارات تقوم على اسم رسول أو شهيد أو قديس، تقام في ذكراها تظاهرات شعبية رائعة وتجمعات كبيرة، إضافة إلى الصلوات والأفعال التقوية. ففي مانكيش يقوم مزار مار توما، وعلى مقربة من عومرا (دير شيش) يربض على قمة جبل مزار مار أدي (مار عدى). وفي أرادن مزار سلطان ماهدوخت، وفي كرمليس مزار الشهيدة بربارة، والشهيد قرداغ في ألقوش، والشهيد مار كوركيس في أماكن كثيرة جدًا: بلون، فيشخابور، شرانش، بيرسفي، شيوز، الموصل... ومار قرياقوس في تلكيف، باطنايا، خرجاوه، دينرتا، كوماني، مار شاعيا في الموصل. ومار عوديشو (عبديشوع) في ديري وكندك ونصيرية. وأفني مارن في تلسقف. ودانيال قرب فايدة. ومار عبدا (عودا) في معلثايا (مالطه قرب دهوك). ومار ايثالاها في دهوك. ومار بويا في شقلاوة. ومار طهمزكرد في كركوك. ومار فثيون في دياربكر والموصل وبغداد. وتتمتع مرت شموني وأولادها السبعة (وقصتها في سفر المقابيين) بمكانة مرموقة فتقام على اسمها مزارات وكنائس في عينكاوه، بلون، سناط، شرانش، خردس، حطاري، دوري، ميزي، بيبوزي، بيوز، مار ياقو، القوش، تلكيف، باقوفا، باطنايا، أرادن، مانكيش، قره قوش، برطله، بعشيقه، وعلى اسمها بنيت أديرة قديمة، كدير قطربل (بين بغداد وعكبرا)، وقلاية في دير مار متى. ويمكننا أن نذكر غير هذه، لكن ما قلناه يكفي كدليل ساطع على مكانة «من أرضوا الله» من شهداء وقديسين في صلوات وشعائر

كنيسة المشرق وأماكن العبادة التي نعتزّ بها.

وتحتل أديرة كثيرة مكانة متميزة لدى مؤمني كنيسة المشرق، وأشهر الأديرة الشاخصة حاليًا والتي تستقطب سنويًا آلاف المصلين والزوار من كل الملل والنحل: دير مار بهنام، مار متى، مار إيليا، مار أوراها، السيدة حافظة الزروع، الربان هرمزد، وجميعها في الموصل وأطرافها. ولا تخلو أديرة بغداد العتيقة من جذب واستذكار، كما اعتاد مؤمنو بغداد، منذ الستينات من القرن الحالي، اثر هجرة الكثيرين من الموصل والشمال إليها، أن يحتفلوا بأعياد شفعاء كنائسهم الأصليين ومواسم أديرتهم ومزاراتهم تخليدًا لتقاليد ورثوها عن جدودهم، ويقلدهم في ذلك من هم خارج العراق أيضًا، لأن هذه المواسم والأعياد قد خلّفت عميق الأثر في نفوس مؤمني كنيسة المشرق.

٤– رتب الأسرار

العماد يتمّ أصلاً بالتغطيس، ولو ان حب الاختصار في الأزمنة الأخيرة جعله بالرسم على الرأس والجبين، وهو يكمل كسرّ انتماء وتنشئة مسيحية بسرّ الميرون، بفضل مسحة الروح القدس. لذا فإن التثبيت أو الميرون يمنح مع العماد ومن قبل الكاهن المعمِّد نفسه، كما كان يمنح القربان أيضًا، لأن العماد والميرون والقربان هي أسرار التنشئة المسيحية، إنما سرت عادة تأخير المناولة إلى الاحتفال بالتناول في سنّ الرشد، واستعاد المؤتمر البطريركي العام في مقرراته عام ١٩٩٥–١٩٩٨ عادة منح التناول للصغار من المعمَّدين.

كانت التوبة تمارس علنًا في السابق، وبرتبة خاصة (طخسا دحوسايا)، ثم دخل الاعتراف السرّي الفردي والمنبر منذ الكثلكة. وللتوبة الجماعية مكانة في طقس القداس المشرقي.

طابع القداس سرّي وقدسي، فهو «رازا» أي سر، فيما يخص عمل الكاهن، وهو شعبي عالمي فيما يخص الصلوات والطلبات والتراتيل والتطوافات، بحيث تظهر بوضوح مشاركة الشعب. وكنيسة المشرق، كغيرها من كنائس التقليد العريق، تأخذ بالمذبح الواحد، والقداس الواحد، بل وبالكاهن الواحد أيضًا كمحتفل بالأسرار الإلهية المحيية والرهيبة، وبوسع كهنة آخرين كثيرين أن يشاركوا الكاهن الرئيس في القداس ذاته.

تشتمل رتبة الزواج على تراتيل تشير إلى عرس المسيح والكنيسة لشد عرى الوثاق الذي يربط بين الرجل والمرأة، وهي تكرس عادات وتقاليد شعبية منها ما هو مشترك ومنها ما يختلف باختلاف المناطق. والرتبة القديمة مطولة وفيها كأس خمر يشربها الختن والعروس ممزوجة ببركة القديسين (حنانا) وصلاة الكاهن المكلل.

أما صلوات مراسيم الدفن وذكر الموتى فهي مسهبة وطويلة. في القديمة منها نسمة فرح القيامة والأبدية. وفي الأحدث عبارات ندب ونواح وعزاء. ولا تخلو أية صلاة طقسية من ذكر للموتى، يظهر منها بيتان كاملان في جميع القصائد المتغيرة (شوحلافي).

وتلحّ صلوات مسحة المرضى على غفران الخطايا وتطهير الأنفس لتحظى بوجه الله في السماء.

وللرسامات موقع كبير في الطقس والقوانين الكنسية والمجامع المشرقية. قديمة هي رتب القارئين والرسائليين والشماسات والشمامسة الإنجيليين والكهنة والأساقفة والجثالقة البطاركة. وقد كان للأركذياقون والخورأسقف والمطرافوليط مهام رسمية في كنيسة المشرق، ولكل منهم رتبة طقسية تظهر عظمة الدرجة وأهمية الخدمة التي يضطلعون بها. وواضح هو دور الروح القدس في الأسرار كلها والرسامات، فهو مكمل وتثبيتي (شوملايا)، بفضل الصلاة الرئيسة التي يستدعى فيها الروح لكي يحل ويكمل السر، كما انه كان على الأسقف المرتسم أن يمضي لدى الجاثليق لكي يكمله.

٥- الصلاة الطقسية

تشتمل الصلاة الطقسية على صلاتين شعبيتين: صلاة المساء أو الغروب (صلوثا درمشا)، وصلاة الصباح (صلوثا دصفرا).

يبدأ اليوم الطقسي بصلاة المساء التي تتمحور حول ما يعرف بـ(مريا قريثاخ) أو مجموعة مزامير هي المزامير ١٤١ (١٤٠)، ١٤٢ (١٤١)، ١١٩ (١١٨)، ١٠٥ - ١١٢، و١١٧ (١١٦)، تسبقها ترتيلة (عونيثا دقذم) وتليها ترتيلة أخرى (عونيثا دباثر)،

إضافة إلى نشيد (لاخو مارا = إياك يا رب الكل)، يرتل بالتطواف والبخور، ثم مناداة (كاروزوثا)، مع ترتيلة (قديشا = قدوس الله) والترتيلة الملوكية (عونيثا دباساليقي) المختلفة باختلاف الأسابيع، مشفوعة كلها بصلوات الكاهن، وصلوات ختام، فالبركة.

وتبدأ جميع الصلوات والقداس والأسرار الأخرى بالبشرى الإنجيلية «المجد لله في العلى، وعلى الأرض السلام، والرجاء الصالح لبني البشر، كل حين إلى الأبد» (تشبوحتا لالاها بمرومي . . .)، ونلقاها لدى الموارنة (صلوات المساء والليل والصباح)، والسريان (صلاة نصف الليل في الطقس التكريتي، وفي بداية صلاة الستار) والطقس البيزنطي (في صلاتي الصباح والمساء). وقد أدخلت «الصلاة الربية» (أبانا . . .) بعدها مع الردة «قدوس. قدوس. قدوس أنت». هذا أضيف فيما بعد إلى نهاية القداس والصلوات.

وتتمحور صلاة الصباح حول المزامير ١٠٠ (شباح لمريا = سبحوا الرب)، و٩١، ١٠٤، ١١٣، ٩٣، ١٤٨–١٥٠، ١١٦، ومزمور ٥٠ (إرحمني)، وتراتيل النور، وتسبحة، ومناداة مع (قديشا = قدوس الله)، وترتيلة (لاخو مارا = إياك يا رب الكل . . .)، وصلوات الكاهن والختام والبركة.

وتختلف صلاتا المساء والصباح في الآحاد والأعياد عنها في الأيام الاعتيادية أو البسيطة (يوماثا شحيمي)، إذ تصبح في الآحاد والأعياد أكثر طولاً واحتفالاً، لاسيما بإضافة ترتيلتي نور لمار افرام ونرسي، ونشيد حننيا ورفاقه.

تقسم صلاتا المساء والصباح إلى أسبوعين وجوقين: الأوائل (دقذمايي) والأواخر (دأحرايي). وهناك تراتيل لأيام الأسبوعين في صلاة المزامير وصلاة محددة، وثمة تسبحات (تشبحاثا) لكل من أيام الأسبوع في صلاة الصباح. وقد ذيلت صلاتا المساء والصباح بتراتيل للشهداء (قالي دسهدي) في سائر أيام الأسبوع، عدا الآحاد، وكانتا في الأساس رتبة خاصة بالشهداء، كانت تجري بتطواف إلى بيت الشهداء (بيث سهدي).

ودخلت في مجموعة الصلوات السنوية (حوذرا) صلوات أخرى بتأثير رهباني، كصلاة الليل (لليا)، والجلوس (موتبا)، والسهر (شهرا)، وصلوات أخرى كصلاة

الشبع (سوباعا) أيام الصوم، والطلب (باعوثا)، والشهور (قالي دشهرا، تتلى مطلع كل شهر).

وللأعياد والقديسين صلوات خاصة وطويلة في معظم الأحيان. وللمزامير دور كبير جدًا في صلوات كنيسة المشرق. وطبيعي أن تتكوّن الصلوات الطقسية عبر الأجيال، يؤلفها أو يجمعها آباء وجثالقة بطاركة ورهبان، ويقرّها الرؤساء الكنسيون وتحدّدها المجامع والقوانين الكنسية. ويعزى إلى البطريرك إيشوعياب الثالث (٦٤٩–٦٥٨) تنظيم الطقوس بمؤازرة عنانيشوع الراهب ورهبان الدير الأعلى (دير مار كبرييل وابراهيم في الموصل)، لذا تحمل المخطوطات عادة إسم هذا الدير، المسمى بالدير الأعلى (ديرا عليتا) مؤكدة بأن الرتب والصلوات المدوّنة طقسيًا هي «بحسب طقس الدير الأعلى» (أخ طخسا دديرا عليتا) توثيق لرسميتها.

ويغلب الطابع الرهباني على الصلوات الطقسية التي أضيفت إلى صلاتي الصباح والمساء، ولا عجب، فالصلاتان المذكورتان هما الصلاة الجماعية لجمهور المؤمنين، فيهما تركيز على مزامير معينة ثابتة، وتراتيل مختصرة (٣ – ٥ أبيات)، وصلوات الكاهن، تصاحبها الصلاة الربية مع ملحقاتها (قدوس، قدوس، قدوس أنت . . .)، وترتيلة (لاخو مارا = إياك يا رب الكل . . .) وترتيلة (قديشا = قدوس الله)، والمناداة (كاروزوثا)، وصلوات ختام. بينما تكثر المزامير المتسلسلة في الصلوات الرهبانية (صلوات الساعات الأخرى)، والتراتيل المطولة، بأبيات عديدة، وبعض القصائد التعليمية الشارحة (مداريش).

– ترتيلة لاخو مارا: «لك يا رب الكل نعترف. وإياك يا يسوع المسيح نمجد. فأنت هو باعث أجسادنا، وأنت مخلص نفوسنا».

– ترتيلة قديشا آلاها: «قدوس الله. قدوس القوي. قدوس الذي لا يموت. إرحمنا».

الفصل الرابع

جغرافية كنيسة المشرق

١- جغرافيّة كنيسة المشرق قديمًا

نمت المسيحية في بلادنا كحبة الخردل. وامتدت عبر الفرات حتى أقاصي الشرق. واقتضى انتشارها سنوات بل قرونًا. فقامت الأبرشيات في مناطق وبلدان وممالك شتى، وعاشت فترات ازدهار ونشاط وحضور إنجيلي، كما عرفت نكسات وانحسارًا حتى التلاشي في الأرجاء النائية المسماة بـ«الأبرشيات الخارجية»، ربما لأنها قامت خارج الجسم المشرقي الأشد تلاحمًا في الداخل.

بلغت أبرشيات كنيسة المشرق على مدى عدة قرون نحو ٢٥٠ أبرشية، وزعتها مجامعها الكنسية الرسمية على أبرشية عظمى هي أبرشية الجاثليق البطريرك (Catholikos Patriarcha)، ثم على أبرشيات مطرافوليطية يترأسها مطران (مطرافوليط) مدينة مهمة (Metropolis)، ولكل منها أبرشيات أسقفية يدبرها أسقف (Episkopos)، يعاونه كهنة الرعايا (قسان أو قسيسون = قشيشي = presbyteroi) ورؤساء أديرة محلية كانت تنتشر بكثرة خارج المدن والمناطق السكنية.

٢- الأبرشية البطريركية

تقع الأبرشية البطريركية في المنطقة المعروفة في التراث الكنسي بالآرامية (بيث آرامايي)، مركزها المدائن (مدن سلوقية وطيسفون واسبانير وكوخي وغيرها). تمتد جنوبي بغداد وأطرافها، ويدبرها الجاثليق البطريرك أبو الآباء ورأس كنيسته الخاصة. وكسكر (كشكر)، واسط الحالية، هي واحدة من أبرشياتها الأسقفية، ويقوم أسقفها بتدبير الكرسي البطريركي عند وفاة الجاثليق البطريرك رئيس الأبرشية العظمى، ويعنى بأمر انتخاب الأب الجديد لكنيسة المشرق. وأسقفيات الأبرشية البطريركية الأخرى هي: السن (شنا) الواقعة عند التقاء الزاب الصغير بدجلة، والطيرهان بين تكريت والسن، ومسكن

(مشكاني)، وكرمة أطراف تكريت، والدسكرة (أسكي بغداد)، وعكبرا بين بغداد وسامراء، ورادان بين نهر رادان وديالى، ونهر الدير، وبادرايا على بعد ٥٠ كم شرقي بغداد، وباكسايا، والحيرة (مملكة العرب)، وعاقولا (الكوفة)، ونفر (نيبور)، والزوابي (النعمانية)، والنهروان، والنيل، وفيروزسابور (الآنبار)، والرحبة (بين الرقة وعانة). فهي أبرشية واسعة جدًا.

٣ – **الأبرشية المطرافوليطية** التي تلي البطريركية هي أبرشية الأحواز (الأهواز، بيث هوزايي) أو عيلام، وقاعدتها بيت لافاط أو جنديسابور. تتبعها أسقفيات سوستر، الشوش (سوسه)، هرمزد أرداشير، كرخ ليدان وغيرها.

٤ – والأبرشية الثالثة هي **أبرشية ميسان** (ميشان) ومركزها فرات ميسان (قرب البصرة). وأسقفياتها: كرخ ميسان، ريما، نهر كول، ايبلا (ابله) وغيرها.

٥ – والرابعة **أبرشية باجرمي** (بيث كرماي)، مركزها كرخ سلوخ (كركوك)، وأسقفياتها: شهرقرد، خربة كلال (جلال)، لاشوم، تحلي، ماحوز أريون (البوازيج)، دارا، بيت نيقاطور، بورزان (أطراف السليمانية).

٦ – والخامسة **أبرشية حدياب**، مركزها أربيل، وأسقفياتها: حبتون في الجبل على ساحل الزاب الكبير، بابغش (بياو) شمال غربي راوندوز، برحيس، دبرنيوس، دبر نحسان، رامونين، بامهرقد.

٧ – وكانت **أبرشية نينوى** أيضًا تابعة لحدياب في الأجيال الأولى، ثم ما لبثت أن غدت أبرشية مطرافوليطية مستقلة، قاعدتها الموصل (حسنا عابورايا = الحصن العبوري)، تتبعها أسقفيات: الحديثة (حمام العليل)، التيمن (ما بين سنجار وشرقاط)، بانوهذرا (نوهدرا، وتشمل منطقة دهوك وزاخو)، معلثايا (مالطه في مدخل دهوك)، حنيثا (بامتداد العمادية)، داسن (في جبال كارا)، المرج (عقرة والزيبار)، سالاخ، عين سفني (الشيخان).

٨ – تليها **أبرشية باعربايا** (بيث عربايي)، وتمتد من بازبدي (بيث زبداي، جزيرة ابن عمر)، قردو (باقردي)، ومركزها ثمانون، وأسقفياتها: باسكايي (مكس) شمالي

آثار نمرود في ملتقى نهرَي دجلة والزاب الكبير

رأس بشري لثورٍ حارس أبواب المدينة

تمثال في الحَضَر، وهي مدينة قديمة بين دجلة والفرات

(ق ١ ق. م.)

بهتان (بوتان) جنوبي بحيرة وان، ارزون ومن مدنها سعرد (سعرت)، اوستان أرزون، بار حيمايي، وأطراف ماردين، آذورمية (بين الموصل ونصيبين)، وبلد (أسكي موصل)، وكفر زمار، وسنجار، وكانوش (كندس).

٩ - **أبرشية فارس**، يحدها الخليج جنوبًا وفرمانية غربًا والأحواز شرقًا ومادي شمالاً. مركزها ريو ارداشير، ومن أسقفياتها: اصطخر، فيه سابور، كيش، درابكرد، كازرون، مسكن قردو (مشكنا دقردو)، ارداشير كور (فيروز آباد).

١٠ - **مقاطعة مادي** (جبل العجم)، يحدها بحر قزوين شمالاً وخراسان شرقًا وآذربيجان غربًا والأحواز جنوبًا، وفيها مطرافوليطيتان: الري (بيث رازيقايي، وتبعد ٤٥ كم عن طهران)، وأسقفياتها قاشان، قم وأخرى. والثانية مطرافوليطية حلوان، وأسقفياتها همدان (أقبطان)، نهاوند، مسبذان، بلاشفر، شهرزور، أصفهان، دينور.

١١ - **أبرشية آران** أو كرجستان، بين البحر الأسود وبحر قزوين. مركزها بردعة. وأسقفياتها كرج، اللان (في القوقاز)، بيدانكران (شمالي آذربيجان)، وتشمل أيضًا جزءًا من أرمينية.

١٢ - **أبرشية الديلم وأبرشية كيلان** على ضفاف بحر قزوين، تتبعهما موقان وأسقفيات أخرى.

١٣ - **أبرشية مرو** (في خراسان)، أسقفياتها طوس (شمال غربي مشهد)، مرو الرود، جرجان، دعبر ستاي، سرخس، ابرشهر (نيسابور)، ابور، أمول (في طبرستان).

١٤ - **وأبرشية هراة** (هرات) في خراسان أيضًا. وأسقفياتها بوسنج (كوريان)، قدس (قدستان)، وكان مطران هراة يدبر أسقفيات سجستان في أفغانستان.

١٥ - **أبرشية سمرقند**، وأبرشية تركستان في كشغر.

١٦ - **أبرشية أنكيمالا** في كيرالا (جنوبي الهند، ساحل الملبار)، يتبعها نحو ١٢ كرسيًا أسقفيًا.

١٧ – **أبرشية الصين** في كومدان وسرج (سي نغان فو و لويانغ)

١٨ – **أبرشية في الشام** في أجزاء منها، **وأبرشية في القدس** .

١٩ – وهناك أماكن أخرى يصعب تحديدها وتحديد الأبرشيات، لكنها جميعًا تدل على سعة رقعة كنيسة المشرق في العصور الخوالي، لا سيما منذ القرن الخامس وحتى الرابع عشر للميلاد .

وسوف يأتي لاحقًا التحديد الجغرافي والسكاني لكنيسة المشرق في أيامنا .

الفصل الخامس

شركة ومعاناة ومركزية

١ - معاناة واستشهاد

مما أقضّ مضاجع علماء التاريخ تَقصّي أسباب شن اضطهادات دينية هي في نهاية الأمر لدوافع سياسية، وتكمن الصعوبة في تبرير تلك الإجراءات القاسية شرعًا وقانونًا. هذه هي الحال بالنسبة إلى الاضطهادات الرومانية ضد المسيحيين حتى سلام قسطنطين عام ٣١٣م، وهذه هي حال الاضطهادات الفارسية التي حاولنا دراستها في بحث خاص عام ١٩٨٠.

اشتدت الاضطهادات الفارسية ضد المسيحيين المشرقيين في القرون الثالث والرابع والخامس للميلاد. ومهما قيل في إرجاع دوافعها إلى الكهان المجوس، أو إلى اليهود في المملكة، فإننا نرى أن السبب الحقيقي سياسي، ذاك ان ملوك الفرس رأوا في المسيحية خطرًا على منصبهم وحكمهم، فأعملوا سوط الاضطهاد لإزالة هذا الخطر المحدق، متخذين ذرائع شتى، أقواها ان المسيحية وليدة منطقة تابعة لحكم الرومان أعدائهم الألدّاء، فالمسيحيون موالون للرومان أو منجذبون أقلّه إليهم، فيحق بالتالي إلحاق العقوبات بهم، بل إصدار القرار بإبادتهم.

ونحن لو تعمّقنا قليلاً، لاتّضحت لنا الصورة وبانت الأسباب. فالمسيحية إنما جاءت ديانة حب وسلام واخاء، انتشرت بقوة مبادئها ومثلها وقيمها، وهذا منطق ينافي منطق القوة، والتفريق، والعداء، ولا عجب، فحتى اليوم لا ترضى الدول ولا الحاكمون أن يتعاطف رعاياهم مع دول ونظم معادية. فليس غريبًا أن يعتبر حكام الرومان ومن ساندهم، الديانة الجديدة أي المسيحية، خرافة مستحدثة، وأن يصفوا أتباعها على أنهم مثيرو مشاكل تتنافى مع ما تَعَوَّد الناسُ عليه من أعراف وتقاليد. وقد كان من السهولة بمكان التصدي لأتباع الديانة الجديدة، وهم بعد ما يزالون قليلين وضعفاء، وأن يوغروا صدور الشعب ضدهم بحجة أن المسيحية تريد خلق مجتمع جديد، غريب المفاهيم والقيم

والعادات، وكأنهم قوم أو جنس آخر، يختلف عن جسم المجتمع الاعتيادي ويعكّر صفو حياته، وهذا ما لا يطيقه الشعب الروماني الذي كان يعتبر ذاته محور التمدن والكرامة، متمتعًا بامتيازات خاصة لا تحق للشعوب الأخرى التي هي في أكثرها همجية بربرية.

ينطبق هذا على حياة المسيحيين الأوائل، فقد كانوا فعلاً غيورين على وديعة الإيمان، متحمسين لمثلهم وقيمهم، ساعين إلى تجسيدها بكل صرامة، سالكين حياة بطولة، فلا يشاركون الآخرين في الملاهي والملاعب، ويمتنعون عن حضور الأعياد والاحتفالات الشعبية لئلا يضطروا إلى القيام بشعائر تنافي إيمانهم ومتطلباته، وكانوا يعزفون أيضًا عن تقلد مناصب أو وظائف رسمية، أو يتركونها منذ ساعة اقتبالهم العماد. بل هناك ما هو أكثر من ذلك، إذ ان إيمانهم كان أشبه بجمرة تلتهم أعماقهم فيسعون غيارى إلى نشر نور الحق وإعلان بشرى الملكوت. وباهتداء الكثيرين على أيديهم، لا سيما من النبلاء والأشراف وذوي المناصب وأبناء الأمراء والملوك، كان الغضب يشتد ضدهم وينقلب عداء لا يوقفه إلا الإيقاع والتنكيل بهم بشتى طرق التعذيب بكل قسوة. نضيف إلى ذلك نزعة تعصبية مغروسة تاريخيًا لدى الفرس، مناوئة خاصة لكل ما ليس بإيراني. ومعلوم بأنّ للتعصب القومي والحضاري تأثيرًا شديدًا على المجتمعات البشرية.

لذا فإن التحريك اليهودي ضد المسيحيين وتحريك كهان المجوس هما عاملان ثانويان، ولو انهما شكلا ذرائع مباشرة. نضيف إليها ضعف الحكم الفارسي بين الفترة والأخرى، أو الحاجة إلى المال، أو إلى توحيد الصف الوطني لمجابهة العدو – والعدو في هذه الحالة هم «المسيحيون» (الرومان) –. هذه وغيرها من عوامل ساعدت لا شك على شن الاضطهاد ضد الرعايا المسيحيين في المملكة الفارسية، وأعطت مجالاً لتبريرات توغر قلوب غير المسيحيين ضد هذه الشريحة الجديدة في المجتمع.

لا يجمع المؤرخون على تحديد أول اضطهاد شنه الفرس المجوس على المسيحيين. فمنهم مَن يرجعه إلى أواخر القرن الأول للميلاد، بينما يبعده غالبيتهم إلى القرن الثاني. وقد كان الشهداء المسيحيون المشرقيون الأوائل من منطقتي الرها وبابل منذ أيام حكم الفرثيين، الذي انتهى عام ٢٢٤ م. غير ان الاضطهادات اشتدّت ضراوتها في عهد الساسانيين (٢٢٦ – ٦٣٢)، وعرفت الاتساع بحيث شملت مملكة الفرس كلها، وكان

أقساها ما عرف بالاضطهاد الأربعيني أيام حكم سابور الثاني ، وذلك منذ عام ٣٣٩ وحتى وفاته سنة ٣٧٩ .

وطبيعي أن يعمل المسيحيون على جمع أجساد الشهداء وأن يحافظوا على رفاتهم . وينسب إلى مار ماروثا مطران ميافرقين جمع عظام شهداء وقديسين عديدين ، كما ينسب إلى أحا الجاثليق (٤١٠-٤١٥) زيارة أضرحة الشهداء والبحث عن ذخائرهم وتقصّي أخبارهم ، حتى انه جمع أعمالهم في كتابه الذي ألّف نواة (سير الشهداء والقديسين) وخلّف لنا عدة طبعات وترجمات ، أشهرها طبعة السمعاني والأب بولس بيجان . فقامت مزارات عديدة في البلاد تكريمًا لهم . وخصصت كنيسة المشرق جزءًا خاصًا في كل كنيسة أطلق عليه اسم «بيث سهدي» أي بيت أو موضع الشهداء . كما تبلورت مع الأيام صلوات وتراتيل بل رتبة خاصة تخليدًا لذكراهم . أما أعمالهم فهي كسائر أعمال الشهداء والقديسين مدونة وفق الأجناس الأدبية المعروفة في علم السير (Hagiographia) .

نختار مقاطع من المقالة (الميمر) ٢٥ للملفان نرسي (٣٩٩-٥٠٣):

«الردة: مبارك مَن عظّم ذكر شهدائه ، ها هنا وفي السماء» .

«أبيات: وضع يسوع شهود صلبه في كل مكان ، وفي كل موضع غرس راية صليبه . أشرقت شمس كرازته على الأرض كلها ، بأشعتها بدد الظلمات من على الأرض . ألقى شباك تعليمه في خضم بحر البشر ، واصطاد الأمم كلها وقواتها . اقتبل البشر بشراه بكل قلوبهم ، حبًا به احتملوا كل العذابات والإساءات . بسببه أسلم الأخ أخاه إلى الموت ، بحيث لم يبقَ بيت واحد خلوًا من الانقسام . . فقد علّمنا بصراحة قائلاً: «لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض ، لم آتِ لأحمل السلام ، بل الحرب» ، جئت أبشر الناس برسالة جديدة ، فمن يطيعني ويقبلني يكون مبغضًا ، ومن يعترف بي ويحفظ كلامي يتنكر لأبيه . من يقبلني ويؤمن بي ، يترك أمه ويتنكر لجميع أفراد عائلته ، وينكرونه هم أيضًا . يصلب جسده ليل نهار من أجل العالم . يحمل صليبه على حقويه ويخرج بصحبتي . يبغض ذويه وما حواليه ويتعلق بي . إن كان غنيًا فإنه يحتقر الغنى ويصبح فقيرًا . وإذ يتجرد كليًا ، يستحق أن يكون لي تلميذًا . إن كان عالمًا ودنا من بساطة تعليمي ، عليه أن يهجر حكمة هذا الدهر ويأتي إلي . إن كان مقتدرًا راغبًا في كنف

مقدرتي، عليه أن يتتلمذ لي بتواضع يليق بربوبيتي. إني أتيت فاتحًا الباب الضيّق للناس، إنه ضيّق جدًا، وليس من السهل الدخول فيه. فكل من يدعي انه تلميذي يقوى على تكميل الوصية التي أطالب بها . . .

«هذا هو الزرع الذي زرعه ربنا في قلوب البشر، وقبله الشهداء بحب يلائم تعليمه. فهم، إذ كانوا أحياء، ماتوا عن هذا الدهر، وعاشوا للمسيح، لا للعالم. لم يسحرهم الغنى، ولا خيور هذا العالم. لم يصدّهم المجتمع ولا ذووهم. رأوا في موت يسوع سبب حياتنا، فاستمدوا منه قوة، مكنتهم من احتقار أي موت. رأوه مسمرًا في أعلى الجلجلة من أجل خلاصنا، فدفعوا بثمن حياتهم ثمن ما تعاهدوا عليه. احتمل الشهداء آلام الموت ولم يهابوا. ماتوا مثل يسوع عن العالم لكي يحيوا معه. موت يسوع صيّر الموت رقادًا، بقيامته قضى عليه وألغى بطشه. موت يسوع منح القوة للكائنات الجسدية. مجدهم به، وبقوته احتقروا بأس الموت وزدلوه. بهذا كله صرخ الشهداء في وجه المضطهدين وقالوا: «نحن نؤمن بموت يسوع وقيامته. نعترف بأنه مات حقًا وقام حقًا، وبأن الرب الطيب لن يفصلنا عن ربوبيته. لقد عاينا قيامته من القبر بمجد عظيم، فلن نستبدله بسيد آخر ليكون هو الحقيقي. إن كنتم تشكون بهذا، أيها المضطهدون، فإننا نقرن الفعل بالشهادة، إذ ليس بالكلام وحده اعترافنا بربوبية يسوع، بل اننا للتألم معه وتحمل كل الآلام نحن مستعدون، لا بالكلام وحده، بل بالموت نجعل حبنا كلامًا من أجله. ليس بوسع السيف أن يبتر حبنا ليسوع، ولا يقوى أي تعذيب على زعزعة إيماننا».

«هذا ما قاله الأبطال أمام المضطهدين، ولم يقلقوا، لم يضعفوا أمام ظالمي العدل. لقد احتمل الشهداء الموت الجسدي بأمل الحياة. ذكراهم حية إلى الأبد».

٢ – وحدة وحياة

كان العالم الأوسطي في فجر المسيحية منقسمًا إلى قسمين كبيرين: قسم تحكمه الامبراطورية الرومانية، وآخر تسيطر عليه مملكة فارس. وكانت هناك بلدان أخرى خارج حدود هاتين الدولتين المسيطرتين على ما عرف بالشرق والغرب. وغالبًا ما شمل (تاريخُ الكنيسة) المسيحيةَ الواقعة ضمن حدود المملكة الرومانية. لذا تأتي «انعزالية» كنيسة المشرق، ومن ثم خصوصيتها، من وقوعها في الأرجاء غير الرومانية، ابتداء بنهر الفرات

ومدينتي نصيبين والرها في الشمال والشمال الغربي، وامتدادًا حتى أواسط آسيا وشرقيها. وكانت الرها ونصيبين نقطتي تماس بين المسيحية «الغربية»، من جهة، والمقصود بها الغربية والشرقية معًا، إنما الواقعة ضمن حدود المملكة الرومانية، وبين المسيحية «الشرقية» من جهة ثانية، أو بالأحرى «المشرقية» أي شرقي الفرات فما بعد ذلك باتجاه الشرق والجنوب.

وبالنظر للعداوة التي كانت مستحكمة بين المملكتين الرومانية والفارسية، اضطرت كنيسة المشرق إلى العيش في حالة شبه قطيعة مع كنائس الامبراطورية الرومانية التي ما لبثت أن نعمت بحرية الدين، بل أصبحت كنيسة دولة، واتخذت لها كراسي في أشهر مدن المملكة: روما (رومية)، الاسكندرية، انطاكية، قيصرية، ثم القسطنطينية. بينما ظلت كنيسة المشرق أقلية نسبيًا في دولة تدين بالمزدية، وفي عزلة إجبارية عن الكنائس الأخرى، بسبب وقوعها في ظل حكم على نزاع مع الرومان. وكان لكنيسة المشرق أن تمتد شرقًا وحتى جنوب آسيا وأقصاها، ولكن بأعداد غير كبيرة، نسبة إلى سكان تلك البلاد والمناطق، فلم تصبح في أي من المناطق والبلاد كنيسة دولة. وقد تسببت العداوة التي استمرت أجيالاً بين الفرس والروم في شن اضطهادات على مسيحيي كنيسة المشرق، كانت تشتد حينًا وتخف حينًا آخر، سقط ضحيتها ألوف الشهداء، كان أطولها وأقساها الاضطهاد الذي سمي بالأربعيني (٣٣٩ – ٣٧٩) أيام حكم سابور الثاني، كما ذكرنا سابقًا.

ولا ينبغي أن نتصور تكوين الكنائس تفرعًا لكنيسة أم ولّدت الكنائس المتعددة. فإن أية خلية مسيحية، وكل مسيحي مؤمن، هو كنيسة المسيح، لأنه حيث يجتمع اثنان أو ثلاثة باسم المسيح، يكون حتمًا بينهم. وما الشركة الكنسية سوى نتيجة طبيعية لحقيقة الجسد. فكلنا جسد واحد، رأسه المسيح، وكل واحد منا عضو للآخرين. وقد كان نمو التكوين الكنائسي للبطريركيات طبيعيًا، وفق عدة معايير ذات أصول ترجع إلى تقليد رسولي وكنسي قديم، هو واحد في الأصل. ولم تكن كنيسة المشرق يومًا تابعة لأية بطريركية، إلا من باب الشركة والوحدة في الأساس: بالإيمان والأسرار والتقليد الرسولي الشامل. وهي، كأية كنيسة أخرى، رسولية، كما أنها كنيسة أم أيضًا، لأن كل جزء في كنيسة المسيح هو الكنيسة كلها، وحيث الأسقف فهناك الكنيسة، على حد تعبير القدّيس الشهيد أغناطيوس الإنطاكي.

لذا نرى كنيسة المشرق، رغم العداوة المستفحلة بين الروم والفرس، تخرج مرارًا من عزلتها الإجبارية إلى لقاء كنيسة الغرب وكنائسه، بوفادات رسمية، أو لمزيد من الاطلاع والدراية، أو لتجسيد الشركة واقعيًا بين مختلف الكنائس: الإنطاكية، البيزنطية، الاسكندرية، الرومانية، مع البقاء في خصوصية حفظت فيها تقليدًا رسوليًا بشكل واضح.

٣ – علاقات شركة ووحدة

تريد بعض مصادر كنيسة المشرق هذه، وبعضها قديم بل رسمي كالمجامع المشرقية، أن تكرس الصِّلات الوحدوية بين كنيسة المشرق وكنيسة الغرب من خلال وثائق مبنية على وقائع مثيرة، هي «رسائل الآباء الغربيين» كتبها أساقفة–بطاركة كنائس الغرب (انطاكية، الاسكندرية، روما، القسطنطينية وغيرها من الكراسي)، إلى الرؤساء الكنسيين ومؤمني كنيسة المشرق لدرء أخطار السفر عنهم وعدم تعريضهم للعداء الفارسي، وبالتالي السماح لهم برسامة «جثالقتهم» في ديارهم. ويرى النقاد عدم صحة هذه الكتابات، وانها تبرير لاحق لعزلة إجبارية لا ينبغي تصعيد أبعادها لكي تنفي الشركة الكنسية ووحدة الكنائس. كما للآخذ بسهولة بـ«رسولية» كنيسة المشرق وقدمها، وفق عقلية سادت قرونًا.

لقد كان الاتصال الرسمي الأول من خلال ماروثا أسقف ميافرقين، الذي يرتبط بالديار المشرقية بلغته وثقافته. قصد المدائن حيث اتصل برئيس كنيسة المشرق الجديد مار اسحق عام ٣٩٩، ثم عام ٤٠٨–٤١٠، وتمكن من العمل على عقد أول مجمع مشرقي رسمي عام ٤١٠، وقد كان مجيئه أيضًا بوفادة من قبل الملك الروماني اركاديوس حاملاً تهانيه إلى ملك الفرس الجديد يزدجرد الأول، ثم من قبل الملك ثيودوسيوس، الأمر الذي سوف يسهل مهمة جاثليق كنيسة المشرق مار يهبالاها فيقوم في السنة ١٩ للملك يزدجرد (عام ٤١٨) بمهمة رسمية إلى الملك ثيودوسيوس لأجل السلام والصلح بين الامبراطوريتين. وسرعان ما تنقلب الأمور على المسيحيين الذين في مملكة فارس بسبب هدم معبد مجوسي من قبل أحد الكهنة ومساندة أسقفه عبدا، فيسقط مسيحيون كثيرون ضحية اضطهادات زادتها عنفًا العداوة المستفحلة من جديد بين الفرس والروم في أواخر

عهد يزدجرد وأيام بهرام الخامس (٤٢٠-٤٣٩). إنما، بعد حرب دامت سنة، عام ٤٢١، عقدت معاهدة صلح وسلام عام ٤٢٢ دامت نحو قرن، تعهد خلالها الطرفان منح حرية الدين في المملكتين، أي للمسيحيين في المملكة الفارسية وللزرادشتية في المملكة الرومانية. لكنّ سياسة يزدجرد الثاني (٤٣٨-٤٥٧) لم تبقَ سموحة تجاه المسيحيين، إذ شن اضطهادات قاسية ضدّهم بسبب تحول عدد لا يستهان به من كبار المجوس إلى المسيحية وتركهم دين الدولة الرسمي. ولم تخفّ أيام فيروز (٤٥٩-٤٨٤) بسبب القرار التيودوسي القاضي بمنع الزرادشتيين الذين في مملكة الروم من ممارسة شعائرهم الدينية، حتى ان الجاثليق بابوي نفسه اعتقل، ولم يطلق سراحه إلا اثر عقد معاهدة السلام بين الفرس والروم عام ٤٦٤، وتنفّس المسيحيون المشرقيون الصعداء، حتى إعلان الزرادشتية ديانة وحيدة ومحاولة الجاثليق بابوي الاتصال بالامبراطور زينون واتهامه بالتجسس والحكم عليه بالإعدام عام ٤٨٣. واعترى المسيحيين الرعب، إلا ان اغتيال فيروز واستلام فالش الحكم عام ٤٨٤ أنهى الحالة الصعبة. وسار أخوه قباذ (٤٨٨-٥٣١) على خطاه، مع تشديد على المزدية، حتى كانت سياسة كسرى الأول أنوشروان (٥٣١-٥٩٧) المشهورة بالانفتاح والتسامح الديني، ولو ان مضايقات بل اضطهادات هنا وهناك حصلت ضد المسيحيين المشرقيين بسبب حرب الروم والفرس عام ٥٤٠، وقد كان الجاثليق مار آبا أحد ضحايا تلك الفترة، فنفي.

لكننا بالضبط مع مار آبا يمكننا إيضاح نظرة كنيسة المشرق إلى الكنائس الأخرى، وإيمانها بالشركة علامة كبرى للوحدة الكنسية، مع بقاء خصوصية المذهب «التيودوري - النسطوري» مؤشرًا يميز كنيسة المشرق عن الكنائس الأخرى، «المونوفيزية» و«الخلقيدونية».

ويجدر التنويه باحتضان كنيسة المشرق «ديمتريانس» الأسقف الانطاكي في الأحواز، اثر جلب سبايا روم في عهد سابور الأول، منهم الامبراطور فالريانس نفسه (خلال الغزوات الثلاث في السنوات ٢٤٤-٢٦٠)، واسكانهم مدنًا حديثة التشييد بإسهام السبايا الروم أنفسهم، كمدينة جنديسابور (كوندي شابور)، وتشييد كنيستين في ريو أرداشير (إيران شهر)، واحدة للمشرقيين من الفرس (كرمان) يصلون بالسريانية، وأخرى للروم البيزنطيين يصلون باليونانية. وهي من الإشارات القديمة الدالة على تعايش

كنسي فيه من الشركة والوحدة، ليس على صعيد اللغة وحسب، إنما أيضًا على صعيد الطقس، بل وعلى صعيد الانتماء إلى كنيستين مختلفتين، وليس كما كان يحصل مثلاً في القدس، وأماكن أخرى، إذ كانت الصلوات والتعليم باليونانية والسريانية (كما تذكر السائحة إيجريا، ٣٨٤ – ٣٨٦)، إنما وفق طقس واحد، وضمن رئاسة الكنيسة الخاصة عينها.

وسوف نبيّن بوضوح في فصل المجامع والمجمعية ان كنيسة المشرق لم تعش لحظة تعقيد من الشركة الكنسية. فهي ستقبل بفرح أعمال مجمع نيقية المسكوني، كما جاء بها مار ماروثا عام ٤٠٩–٤١٠، كما انها ستقبل أعمال وقوانين مجامع «غربية» عديدة في مجمع مار يهبالاها عام ٤٢٠ بالرغم من انها لم تشترك فيها.

ويمكننا من خلال هذه القناعة أيضًا أن نشرح لجوء «المصلحين» من أتباع كنيسة المشرق، إلى كنيسة روما، على عهد مار سولاقا عام ١٥٥٢–١٥٥٣، ولو ان الدوائر الرومانية اعتبرت المسألة قضية وحدوية بمفهوم روماني غربي.

ويمكننا الإكثار من الأمثلة، لكننا نكتفي بما يقوله الطقس: انه على أساس إيمان شمعون الصخرة بنى الرب كنيسته، فلن يقوى الشيطان عليها، لكنه يغوي أبناءها ليوجهوا سهام الحسد نحو بعضهم بعضًا، بسبب المجد الباطل. لذا فالصلاة هي في طلب الأمن لجميع أبنائها (الأحد ٢ من تقديس الكنيسة، ترتيلة السهر).

٤– مركزية وشركة

وهذا ما حصل أيضًا للبطريركيات الأخرى حيث تكوّنت وحدات كنسية جمعت عدة أبرشيات في رقعة تميزت بخصوصية تقليد رسولي، إضافة إلى اعتبارات شتى، منها الموقع السياسي للكرسي البارز، وليس قبل مجمع خلقيدونية (٤٥١م) أقله بشكل رسمي واضح. هكذا أيضًا تبلور كرسي المدائن واتخذ كوخي مقرًا رسميًا له، منذ مطلع القرن الرابع، أيام مار فافا، بحيث دانت لأسقف أو رئيس أساقفة المدائن (سلوقية – طيسفون – كوخي)، سائر أبرشيات وكنائس ديار المشرق، من نصيبين والرها حتى العراق وإيران والخليج وتركستان وأفغانستان ووسط آسيا وشرقيها وجنوبها، فأصبح الجاثليق البطريرك

الذي في المدائن أبًا ورئيسًا لكنيسة المشرق جمعاء. ولم يلق رئيس كرسي المدائن الكنسي معارضة إلا من قبل أسقف العاصمة الصيفية لملوك الفرس في الأحواز، إذ كانت المنافسة تصل أحيانًا إلى حد النزاع على الأولوية في الرئاسة، إنما كانت الأرجحية دومًا لصالح رئيس كرسي المدائن، كرسها بعمق مجمع مار داديشوع عام ٤٢٤.

ولدى تأسيس بغداد، انتقل كرسي بطريركية المشرق إليها، على عهد حنانيشوع الثاني، وبخاصة في عهد طيمثاوس الكبير (أواخر القرن ٨). وبسقوط بغداد على أيدي المغول، انتقل البطريرك المشرقي إلى شمالي البلاد (أربيل، كرمليس، ألقوش، دير الربان هرمزد). ومنذ عام ١٥٥٣ أصبح للبطريركية بطريركان: كلداني (كاثوليكي) في دياربكر والموصل خاصة، وقديم (نسطوري) ألقوش (دير الربان هرمزد) وقوجانس (جبال حكاري). وعاد بطريرك الكلدان في الستينات إلى بغداد، بينما سكن بطريرك الأثوريين منذ الحكم الوطني العراقي (عام ١٩٢٢) في الولايات المتحدة الأمريكية (شيكاغو)، ثم انفسخ الأثوريون إلى رئاستين عام ١٩٦٤.

ليست البطريركيات في الكنيسة القديمة أربعًا لا غير، وجميع الكنائس الأخرى تابعة لها وجوبًا كفروع. إذ للمشرق جاثليقية بطريركية، وللأرمنية كذلك. وقد جرى أكثر من تحول في كرسي القدس (أورشليم). والقول بكنيسة أم وبأن الكنائس الأخرى كفروع، هو قول لم يعد يأخذ به أحد اللاهوتيين الكنائسيين في أيامنا. الكنيسة هي كنيسة كنائس، وفي كل كنيسة نلقى كل الكنيسة، وليس جزءًا أو فرعًا. والكنيسة جمعاء، بسائر المؤمنين والانتماءات والتقسيمات التي لا بد منها مدعوة نحو شركة الجسد الواحد، ونحو إتمام وحدتها في المسيح.

وتدعم كيان بطريركية المشرق مصادر تاريخية مشرقية كثيرة، كالمجامع المشرقية والمصادر القانونية الرسمية، والمجدل بنسخه ونصوصه، والنحلة لجبرائيل البصري، والتاريخ السعرتي، وعبدالله ابن الطيب، وإيليا برشينايا، وعبديشوع الصوباوي في تآليفه القانونية. ولا تنفيها مصادر شرقية وغربية عديدة.

وقد ألمحنا أنه لا صحة لما أسمته مصادر كنيسة المشرق «رسائل الآباء الغربيين»، إذ لا تذكرها وثائق كنائس الغرب ولا تدعي علاقة رئاسية تتحمل التبعية والتفرع، كما شاء

كتبة متأخرون أن يستنتجوا، متأثرين بمنظور كنائسي غير كتابي ورسولي أصيل، وقد أظهر المجمع الفاتيكاني الثاني والدراسات اللاهوتية الحديثة ضعف إسناد نظرة تقول بكنيسة أو كنائس أم، وكنائس فروع.

يؤكد مجمع مار داديشوع الجاثليق، المنعقد عام ٤٢٤، وجهة النظر المشرقية، مشددًا على استقلالية كنيسة المشرق مدة تسبق الجدالات اللاهوتية ومجمع أفسس (المنعقد عام ٤٣١) وما تلاه من أحداث عملت على تجزئة المسيحية في الغرب، ثم سرت على المشرق، مع ان كنيسة المشرق لم تكن حاضرة فيها، بسبب عزلتها، فلم تشارك في المجامع المسكونية التي عقدت في المملكة الرومانية.

هذا لا يعني مطلقًا نفي انتشار المسيحية في ديار المشرق عن طريق القدس وانطاكية، كما عن طريق الرها (أورهاي، اديسا) وعبر قنوات أخرى. إنما ينبغي عدم اعتبار ذلك تبعية رئاسية. فالجسور متعددة لنقل البشرى. وتكوّن الخلايا والجماعات المسيحية الأولى أمر طبيعي، حتى اجتماع كل مجموعة في جسم تحدده المواقع الجغرافية وأهمية المواقع في مدن ذات شأن. ولم يتبلور الانتماء الانطاكي لدى المشارقة الغربيين (السريان) إلا بعد أحداث أفسس وخلقيدونية، وسقوط مناطق عديدة من التي كانت في ظل المملكة الرومانية تحت حكم العرب المسلمين، وانفتاح المشرق على العالم المتوسطي بانتهاء حكم الفرس، وحصول شقاق كنسي بسبب تفسيرات مختلفة حول سر المسيح.

٥ – الاختلاف لا الخلاف

الاختلاف والفرقة هما لأسباب يعتبرها المتخصصون اليوم وليدة نزعة بشرية، لا إيمانية جوهرية، لذا يمكن تلافيها. أما البدع والهرطقات فلها شأن آخر.

أول اختلاف حصل بين الكنائس في «الغرب»، بحسب التسمية المشرقية، كان حول لاهوت المسيح، قام بين نسطور الانطاكي بطريرك القسطنطينية وقورلس بطريرك الاسكندرية ومداخلات يوحنا بطريرك انطاكية الذي حاول إصلاح البين دون نجاح، وذلك في الثلث الأول من القرن الخامس. فكانت الحرومات في مجمع أفسس سنة ٤٣١، ثم في مجمع مونوفيزي في أفسس عام ٤٤٩، ثم في مجمع حاول أن يكون

تصحيحيًا وانعقد في خلقيدونية عام ٤٥١ . وعلى الرغم من ان كنيسة المشرق لم تشترك في أي من هذه المجامع ، فإن مقررات المجامع سرت عليها بتأثير أساتذة مدرسة الرها – نصيبين ، أكاديميتها العظمى ، إذ تبنى القسم الأكبر منها مذهب القائلين بالطبيعتين (ديوفيزية) والاقنومين في المسيح الواحد ، وسرعان ما سموا بـ«نساطرة» نسبة إلى نسطور الذي حرمه مجمع أفسس ، بينما نلقاهم رسميًا في خط تيودور المصيصي (المتوفى عام ٤٢٠) . وفضّل قسم آخر ، سواء من هذه الكنيسة كما من كنائس «شرقية» أخرى ، مذهب القائلين بالطبيعة الواحدة (المونوفيزية) في المسيح . وسمّوا «يعاقبة» ، نسبة إلى يعقوب البرادعي الذي نشر المذهب في عدة مناطق منها أجزاء من ديار المشرق أيضًا .

وقد بات واضحًا اليوم أن تباين المصطلحات الفلسفية (الارسطوطالية أو الافلاطونية والافلوطينية) والتحليل اللاهوتي المختلف ، نظرًا لتبنيه هذه الفلسفة أو تلك ، هما في أساس خلاف أدى إلى تكفير الواحد للآخر ، بل إلى منازعات مؤذية للطرفين استمرت أجيالاً ، وكانت معثرة لغير المسيحيين ، وبعيدة كل البعد عن روح الحوار والتفاهم والمحبة . لذا كان لا بد اليوم من العمل على الجمع والتوحيد بفضل القواسم المشتركة بين الجميع .

ثم كان الانشطار الآخر بسبب الشركة الرسمية مع روما عام ١٥٥٣ ، حين لجأ قسم من أتباع كنيسة المشرق إلى روما في ظروف حرجة ، دفع إليها ما أصاب الإدارة الكنسية من انحلال ، جرّ إلى القيام بانتفاضة ، حتى أسفر «الاتحاد» مع روما إلى نشوء الكنيسة «الكلدانية» ، وسميت الكنيسة الأخرى بالكنيسة «الآثورية» . والتسميتان ، كما نوهنا في حينه ، مستمدتان من حقيقة تاريخية حضارية ، تبلورتا اثر تنامي الوعي القومي في العالم . والكنيستان اليوم في سعي حثيث نحو استعادة الوحدة من خلال الأصل الواحد والتراث الكنسي المشترك وتوقيع اتفاقيات ولقاءات ولجان مشتركة .

وحصل للسريان المغاربة الأمر عينه بعد أكثر من قرن ، فكانت كنيسة سريانية «أرثوذكسية» ، وأخرى «كاثوليكية» ، في القرن ١٧ .

والحقيقة الناصعة: ان كنيسة المشرق واحدة في الأصل والجوهر . وما اختلافات الأطراف سوى ثانوية . لذا ينبغي ألاّ تحول دون تحقيق الأمنية القصوى في أن تجتمع يومًا في كنيسة مشرقية واحدة هي جسد المسيح والكنيسة الأم والمعلمة ، ذات خصائص

مشرقية وتراث سرياني - آرامي، كلداني - آثوري، يشمل آخرين أيضًا، كالموارنة والملباريين والملنكاريين ومسيحيي مار توما في الهنود. ولن يعني هذا الاتحاد ذوبان طرف في آخر، بل احتفاظ الجميع بما تبلور عبر الأجيال من خصوصية وإرث، فهو ثراء، مع العودة إلى الأصالة والنزوع نحو تحديث مبدع.

الفصل السادس

مجمعية كنيسة المشرق

١ – مجامع كنيسة المشرق

الكنيسة جسد، رسلها جماعة ومراتب، حياتها جماعية ومشتركة. لذا برزت «المجمعية» (synodality) فيها. نلقاها واضحة في كنيسة المشرق منذ محاولات التجمع في مركزية موحدة، كما في اجتماع المدائن أيام مار فافا عام ٣١٧، وقد أعطاه مجمع مار داديشوع (سنة ٤٢٤) الحق، رغم الإشكالات التي حصلت، لأنه الأب العام لكنيسة المشرق.

ثم توالت المجامع في حياة كنيسة المشرق: رسمية على الصعيد الجاثليقي البطريركي، منذ عام ٤١٠، كما وثقها جامع المجامع المشرقية (السنهادوسات Synodicon)، فكان المجمع الرسمي الأول أو سينودس مار اسحق عام ٤١٠ في المدائن، الذي قبلت فيه كنيسة المشرق أعمال مجمع نيقية المسكوني، ثم كان مجمع مار يهبالاها، عام ٤٢٠، حيث قبلت كنيسة المشرق المجمع القسطنطيني (عام ٣٨١) ومجامع خاصة عديدة (أنقرة غلاطية عام ٣١٤، قيصرية في قبادوقية عام ٣٢٠، غنغرة عام ٣٤٥، أنطاكية عام ٣٤١، اللاذقية عام ٣٤٣). ثم انعقد مجمع مار داديشوع (عام ٤٢٤ في مركبثا دطيايِي، ربما الحيرة) وفيه تأكيد على خصوصية كنيسة المشرق واستقلالها الرئاسي بمفهوم يقرب كثيرًا إلى الطروحات المعاصرة في «الكنائسية» (ecclesiology) بفضل أصالة كتابية ومفهوم الأبوة في السلطة. وكان مجمع آقاق عام ٤٨٦ في أعقاب مجمعين غير رسميين عقدهما برسوما أسقف نصيبين وألغاهما هذا المجمع. ثم مجمع مار بابي عام ٤٩٧ فيه تبنت كنيسة المشرق رسميًا الانتساب إلى الخط التيودوري، تمهيدًا لقبول الخط النسطوري الذي عرفت به لاسيما من قبل الطرف المونوفيزي أولاً ثم عبر التاريخ. وانعقد مجمع مار آبا المصلح الكبير، عام ٥٤٤، فيه أزيلت الازدواجية أو الثنائية الرئاسية، على صعيد الرأس والأب العام، وخاصة على صعيد أساقفة الأبرشيات، ووضعت قوانين تؤكد على الأخلاق المسيحية لاسيما بشأن الزواج. وكان مجمع مار يوسف عام ٥٥٤ وفيه قوانين رائعة تحدد

الضوابط التي على الرئيس الأعلى أن يتقيد بها، وإن لم يكن البطريرك نفسه من هذا الطراز. وكانت مجامع أخرى رسمية: مجمع مار حزقيال عام ٥٧٦، ومجمع مار ايشوعياب الأول عام ٥٨٥. ومجمع مار سبريشوع عام ٥٩٨، ومجمع مار غريغور عام ٦٠٥، واجتماع أساقفة المشرق في البلاط الفارسي وردّهم على الأساقفة المونوفيزيين، عام ٦١٢، ومجمع مار كوركيس عام ٦٧٦، ومجمع مار حنانيشوع الثاني عام ٧٧٥. وتتوقف أعمال المجامع في الكتاب الرسمي للمجامع، ربما لأن أول جامع له هو البطريرك طيمثاوس الأول الكبير، الذي هو نفسه عقد مجمعين خلال رئاسته الطويلة (٧٩٠–٨٢٨)، ثم رتبها البطريرك إيليا الأول (١٠٢٨–١٠٤٩)، حتى كرس خلاصتها البطريرك طيمثاوس الثاني في مجمعه المنعقد عام ١٣١٨، معتبرًا كتابي عبديشوع الصوباوي مطران نصيبين وأرمينية والعلامة الشهير دستورًا قانونيًا لكنيسة المشرق، وهذان الكتابان هما (مجموع القوانين المجمعية) و(نظام الأحكام الكنسية). وتتضمن هذه المجامع، صور أو صيغ إيمان، وقوانين تتناول الإيمان والمعتقد، والأخلاق والنظم، والطقوس والعادات؛ كما تحتوي على قوائم الأساقفة الموقّعين ووقائع تاريخية، نستدل منها على الأبرشيات التي كانت قائمة آنذاك وكان أصحابها حاضرين، وعلى أحداث لا نلقاها في مصادر أخرى. فهي لذلك وثيقة تاريخية من الدرجة الأولى.

٢ – نصوص مجمعية

١) من مجمع مار اسحق (٤١٠ م):

ق ١: «حين يرسم الأسقف، يجتمع الأساقفة إلى المدينة، ويسألون برويّةٍ باحثين عن رجل: يعين المساكين، يستضيف الغرباء، يريح المتضايقين، يشبع اليتامى والأرامل، لا يعطي فضته بالرباء ولا يقبل رشوة، لا يحابي في القضاء، يبعد عن نفسه الكبرياء والشراهة، يلهج بالكلام الحسن والحكمة وعلم الكتب المقدسة ليلاً ونهارًا، وله دراية وتمييز لإصلاح كل الواجبات (المهام) الكنسية الضرورية للخدمة. وحين يجتمع الأساقفة والشعب في الكنيسة أمام المذبح، ساعة تقديم القربان (القداس)، يضعون الإنجيل على رأسه، ويبسطون يمناهم عليه جميعًا، ويتلو المترئِّس بينهم صلاة الرسامة (استدعاء الروح القدس). ثم يمضي الأسقف المرتسم، ومعه رسالة من الأساقفة الذين رسموه، لكي يكمله المطران الكبير، جاثليق سلوقية وطيسفون».

مدخل كنيسة دير مار ميخا في ألقوش (ق ١٥)

الباب الملوكي لكنيسة مار ميخا – ألقوش

(ق ١٥)

الباب الملوكي لكنيسة مار ميخا – ألقوش

تفصيل (ق ١٥)

مخطوط سرياني قديم في مكتبة الرهبان الكلدان الأنطونيين في بغداد (ق ١٢)

رؤيا حزقيال،

من مخطوط سرياني للكتاب المقدّس (سنة ١٠١٣) في كنيسة مار توما للسريان الكاثوليك – الموصل

ق ٢: «أن يجتمع الأساقفة مرتين في السنة، أن يكون اجتماعهم في مجمع (سينودس)، لكي تبطل كل الخلافات والشكاوى في الكنيسة العظمى».

ق ٩: «ليقرأ كل يوم أحد الإنجيل وكتب أخرى، وتتلى كلمة الله حتى الساعة الثالثة والرابعة، ثم يقرب القربان (القداس)».

٢) من مجمع مار داديشوع (٤٢٤ م):

«ليس للمشرقيين أن يشكوا بطريركهم حتى أمام البطاركة الغربيين. وانّ أيّ حكم لا يمكن فَضّه أمامه، يكون محفوظًا لمنبر المسيح. قد حدّدنا وشرّعنا هذا العهد بشكل غير قابل الانحلال والطعن، إذ اننا حددناه بقوة الثالوث الأقدس. وبكلمة الثالوث، لا يحق لأحد أن يعقد مجمعًا ضد الجاثليق، ولا أن يثير مشاحنات وخلافات وشقاقات، ولا أن يكتب رؤوس شكاوى ووشايات ضده... ولا يمكن لأحد أن يفكر ويقول لأي سبب كان، أنه بوسع جاثليق المشرق أن يقاضى من قبل الأدنى منه، أو من قبل بطريرك نظيره، بل انه هو الذي يحكم على من هم أدنى منه، وقضاؤه محفوظ للمسيح، الذي اختاره، ورفعه، ووضعه في رأس كنيسته. إذ هكذا طاب لعظمته الأزلية أن تدوم سيادته المتسلطة على الكل وأن تحترم رئاسة كنيسته. لذا فإن أي تلميذ وتابع له، بوسع الجاثليق أن يدعوه إلى القضاء ويحاكمه، وعليه أن يقبل طوعًا أي قرار يصدر عنه. ونحن الأساقفة جميعًا، وكل من يأتي من بعدنا، نقبل ولو كنا بعيدين، ونؤيد ونحن قريبين، كل ما تصنعه أبوّتك وسائر الذين يأتون من بعدك ويلزمون كرسيك».

٣) من مجمع مار آبا (٥٤٤ م):

– من الرسالة الأولى: «بنعمة الله... انحلت وبطلت بشكل تام، ثنائية الرئاسة، التي هي مرذولة أمام الله، وسمجة من قبل الناس، كامرأة رجلين، وكجسد ذي جمجمتين، تلك التي سيطرت منذ خمس عشرة سنة ونيف في سائر كنائس مملكة الفرس المجيدة برمتها، وفي كل المشرق والجهات المتاخمة، بسبب تهاون الأنانيين الذين لم يخشوا إفساد القوانين الرسولية، أولئك الذين حتى الشياطين يرتعدون منهم، هم والشيطان سيدهم. لقد صلحت مجددًا وحدة التدبير (الرعاية) في كرسي البطريركية المقام، وفق التقليد الرسولي، في سلوقية وطيسفون، المدائن الشهيرة، بيث آرامايي.

وقد سرنا في تدبير هذا الكرسي الرسولي والأبوي، وقلدنا وضع اليدين (الرسامات) الروحي، والتقليد القانوني، والقرار دون محاباة وجوه، لجميع الحالات وسائر مراتب خدمة الكهنوت الرسولي، في كل بلد ومدينة، في سائر ديار مملكة الفرس وكل المشرق والجهات المتاخمة أجمع».

٤) من مجمع مار يوسف (٥٥٤):

ق ١٤: «وقيل هذا أيضًا: انه عندما يموت أبو الآباء، أي البطريرك، ينبغي أن يشترك جميع المطارين (المطرافوليطيون) في الانتخاب، سواء برسالة خطية، أم بوضع اليد، لكي يختار من هو في الأبوة الكهنوتية العظمى برضى الجماعة كلها، هذا في زمن السلام. . . لذا رسمنا بأن يختار أقليروس ومؤمنو مدينتي سلوقية وطيسفون (المدائن) رئيسًا، مع أساقفة منطقة هذا الكرسي (البطريركي، كوخي). . . وعلى جميع المناطق أن تقبل بفرح وإرادة طيبة مَن أقيم رئيسًا ومدبّرًا بنعمة الروح القدس، وعلى جميع الأساقفة أن يحترموا ويوقّروا خطّيًا الأب الروحي الذي هو البطريرك، كتلاميذ حقيقيين، بالاحترام المتوجب على الأبناء؛ وعلى البطريرك نفسه أن يحترم هو أيضًا أخوته وأبناءه جميعًا».

٥) من مجمع مار ايشوعياب (٥٨٥م):

ق ١٣: «في الاتحاد العفيف والشرعي اللائق بالمؤمنين (أهل البيت) الذين ينبغي أن يتّحدوا شرعًا، لا كالبهائم:

ان التعليم الإلهي الموجه بشكل ما إلى أبناء العهد القديم، وإلى أناس مكملين بالجديد، قد رتب بفضل الأنبياء والرسل، الحياة الفاضلة الشريفة التي تليق بالعائلة، وحدد في الوقت عينه القانون الخاص بتنظيم الزواج ووقاره، لكي لا يتمثل البشر بالبهائم العجماوات البكماء التي لا تحتسب عليهم أفعالهم خطايا أو أفعال عدل (بر)؛ بل ككائنات عاقلة ومتميزة، كالذين هم في بيت (الله)، بفضل النظام والشريعة، ليسهل عليهم التقدم بنفع، والابتعاد بتمييز، وهم مكملون برعاية مشيئة الله.

فإن الزواج قد وضع بفعل خلاق من قبل حكمة الباري، لقيام قبائل جنسنا واستمرارها. فلا يحق لهم أن يشوهوه، كغير المؤمنين، مخالفين الشرائع ككائنات

منزوعة من العقل، بل عليهم أن يكرهوا العهر، وأن يحبوا عفاف الزواج الشرعي الذي يحافظ معًا على حب الله للمتزوجين، وحب المتزوجين بعضهم لبعض، كما حصل في بدء الخليقة في أصل العالم، وكما نظم في إنجيل ربنا، وكما يقتضيه الوضع المرتب في الجسد البشري.

فليس ثمة جسد له رأسان، ولا رأس له جسدان، كما لا يوجد إلا كنيسة واحدة للمسيح الواحد، ومسيح واحد للكنيسة الواحدة التي هي جسده، كما هو مكتوب (أف ١ : ٣٢) «لقد أعطي من هو فوق الكل رأسًا للكنيسة التي هي جسده». هكذا لا يوجد امرأة لها زوجان، لأن الطبيعة والشرع يعتبران الأمر شناعة، ولأنه لا يطيب لأي زوج كان أن يعلو سريره رجل غريب يدنس مضجعه. وهكذا لا تستَحِبّ الزوجة أن تعلو غريبة سريرها وتدنس مضجعها. وليس ثمة بيوت تدخل إليها امرأتان أو ثلاث لزوج واحد، إلا ودخلت هذا البيت خلافات وكراهية وعداوة تهدم الخصب وتبيد الحياة بسبب غواية الشيطان المهلك، مفسد الشرائع...».

٦) من مجمع مار طيمثاوس الثاني (١٣١٨ م):

ق ٢: «ينبغي أن يعنى الرعاة ومدبّرو الكنائس بترسيخ التعليم الكنسي عناية بالغة. وعليهم أن يقيموا في جميع الكنائس معلمين خبراء، يخشون الله، ويهتمون كل الاهتمام بتعليم التلاميذ وتهذيبهم. كما عليهم أن يحرصوا، بكل اجتهاد وتركيز، دون تقاعس وإهمال، لكي يجني التلاميذ ثمار العلم والمعرفة في مدة وجيزة من الزمن.

وعلى المؤمنين العلمانيين أن يتعهدوا أولادهم لكي يتربّوا في خشية الله، وفق النظام الموضوع بكلمة ربنا، لأن هذا هو أساس المسيحية. وليذكروهم بكلام الرسول السماوي: «أيها الآباء، لا تغيظوا أبناءكم، بل ربّوهم بتربية ربنا وتعليمه» (أف ٥ : ٤).

وليعلم (الجميع) أن أية كنيسة ليس فيها تلاميذ، هي أشبه بالمرأة العاقر التي لا أولاد لها، وان ميراثها يؤول إلى الغرباء. وانه بقدر ما يزداد التعليم ويقوى، ينمو الإيمان، وبالعكس، بقدر ما يزداد الجهل، تتضاءل خشية الله وتضعف المسيحية.

لذا علينا أن نحترم تعليم ربنا أكثر من حياتنا نفسها. ومن يجهل ذلك، فإنه عدو

للمسيح، ويكون تحت حكم ربنا، ويُشجَب من الكنيسة المقدسة».

ق ٣: «على الأساقفة ومدبري الكنيسة أن يفرضوا النظام في سائر الكنائس، على الكهنة، والخدم (الشمامسة)، والجماعات المكرسة، والمؤمنين؛ فلا تهمل صلوات المساء، والصباح، والأسرار (القداديس)، بل يظل (الجميع) مستعدين، وساهرين الأوقات اليومية كلها (الساعات)، لإتمام الخدم الكنسية باجتهاد، دون تقاعس، وفق كلام الإنجيل، فإنه بشأنهم قيل أن يصلّوا دومًا ولا يملّوا (لو ١٨ : ١)، كما أوصى بولس الإلهي أيضًا (وقال): «واظبوا على الصلاة، وكونوا فيها ساهرين، وشاكرين» (كول ٤ : ٢)، لاسيما في زمن المعاناة، إذ في الضيق نلجأ إلى الله لننال الرحمة، ونلقى نعمة العون في زمن الشدة، كما فعل حزقيال ويونان والنِينَوِيّون، ودانيال، وآل حننيا.

مَن يُهمِل هذا يُقصَى عن الله، ويسلَّم إلى هلاك بائس، كما يقول القديس اسحق النينوي: «من لم تكن صلاته حاضرة، لن يكون رجاؤك في فكره؛ ومن لا رجاء له، لا وجود له، لأنه ميت فعلاً».

من يمتهن هذا، يكون تحت ربنا».

٣ – المجمعية خاصية مميزة والسلطة الكنسية أبوة وخدمة

مجمعية كنيسة المشرق هي حصيلة نظرتها الكنائسية التي تعكس أصالة إنجيلية ورسولية فيها من اللقاء والشركة والمقاسمة، لم تقوَ على محوها نزعة سلطوية داخلتها لأسباب تنظيمية وتأثيرات اجتماعية، لاسيما بعد أن أصبحت مسيحية المملكة الرومانية ديانة رسمية. منذ عهد قسطنطين، أولت الكنيسة مكانة مرموقة دينيًا ومدنيًا، فأضعفت الروحية فيها لاسيما لّما نزعت إلى الدراسة والاجتهادات، والدرجات والمناصب والوظائف الزمنية. وطبيعي أن تضعف هذه السلبيات كنائس «الغرب»، بينما لم يكن لها أن تثقل على كنيسة المشرق كثيرًا، لأنها لم تصبح يومًا ما كنيسة دولة، ولا على تماس مباشر دائم بكنائس الغرب، ولم تكن يومًا كنيسة وطنية، بحيث تمكنت من ترسيخ خبرات خاصة بها وحدها، دون أن يعني هذا أنها تنكرت للزمني، أو للأصل الحضاري والأرض والتراث، ولا للمواطنة والمجتمع المدني، إذ نلقاها في أكثر مناسبة تعلن ولاءها

للسلطة، ولا تتهرب وتهاجر أيام الاضطهاد والرفض، بل تبقى صامدة ولو على حساب نفسها، ونلقاها خاصة تساهم في إثراء البلاد والمجتمع ثقافيًا وخلقيًا وروحيًا وعمرانيًا.

مفهوم السلطة في كنيسة المشرق أبوي، فالمحبة هي المحرّك الأول، تتحلّى بروح الخدمة والبذل على مثال الراعي الصالح. لذا فإدارة الكنيسة تدبير يرجع في آخر الأمر إلى تدبير الله الخلاّق والمخلّص والهادي. وجماعة المؤمنين تشارك فعليًا في اختيار المسؤولين الأولين في الكنيسة: البطريرك، المطارين، الأساقفة؛ بينما تترك لهؤلاء اختيار معاونيهم. وتسمي مصادر هذه الكنيسة الجاثليق البطريرك أب الآباء وراعي الرعاة، مغدقة عليه صفات تبجيلية شتى، لأنه علامة الوحدة والشركة داخل كنيسته ومع الكنائس الأخرى التي تجتمع آخر المطاف في جسد المسيح الروحي والمتجسد.

إضافة إلى المجامع الرسمية التي يحضرها المطارين والأساقفة، أو مَن يمثّلهم عند الضرورة، برئاسة الجاثليق البطريرك، وقد تطرّقنا إليها، هناك مجامع انتخابية، سواء لانتخاب البطريرك أو المطارين أو الأساقفة، وكذلك اجتماعات الأساقفة ومعاونيهم لدى المطران كبيرهم، واجتماع الإكليروس والرهبان ووجهاء الشعب لدى الأسقف، مرة أو مرتين في السنة. ويشترك المؤمنون العلمانيون في المجامع الانتخابية والاجتماعات الأخرى، عدا السينودوسات الرسمية، عن طريق ممثليهم من الوجهاء والشخصيات، بشكل طبيعي، دلالة على وحدة أعضاء الجسد وكرامتهم جميعًا.

وإبّان الوهن الكنسي أيضًا كان يتمّ اللجوء إلى الاجتماع، كما حصل لدى اختيار سولاقا بطريركًا بديلاً. وتنفيذًا لخطة شملت معظم الكنائس الكاثوليكية الشرقية، عقد القاصد الرسولي بلانشيه مجمعًا كلدانيًا عام ١٨٥٣ في دير الربّان هرمزد، إلاّ انّ المشاكل التي حصلت بين البطريرك مار يوسف أودو وروما حالت دون تثبيته وإقرار أعماله، على عكس ما جرى للموارنة والسريان والروم الملكيين.

وكان أن أعلن غبطة أبينا البطريرك مار روفائيل الأول بيداويد عن الرغبة في عقد مؤتمر عام للكنيسة الكلدانية، لتحريك كل القوى واستنفار الجميع، وتحقيق تجديد شامل، ورفع شعار (انبعاث، حياة، تجدد)، لكي تنهض شرائح الكنيسة بأسرها وبكامل طاقاتها وإمكاناتها، فتتدارس الأمور، وتتدارك الأوضاع، بعد أن عصفت بمؤمني هذه

الكنيسة أحداث مزقتها وأضعفتها طوال أجيال، وبعد انتزاعها من بلدان وانتشارها في بلدان جديدة، ولمواجهة المتغيرات والمستجدات الحديثة، بغية اكتشاف الأصالة، واستعادة الحيوية، من خلال وقفة تأملية، ورؤية واضحة، وبرمجة مشاريع موضوعية، للتوجه بحماس في مسيرة مستقبليّة نيّرة، واضعةً نصب الأعين انقلابية المجمع الفاتيكاني الثاني. وكان انعقاد المؤتمر البطريركي العام للكنيسة الكلدانية في ١٦ – ٢٠ تشرين الأول ١٩٩٥. وبعد تلكُّؤ وتردّد، أقرت الأعمال رسميًا في سينودس الأساقفة المنعقد في لبنان في أيار ١٩٩٧، وصدرت الأعمال في عدد خاص من مجلة (نجم المشرق) لسان حال البطريركية الكلدانية (أيلول ١٩٩٨).

وكما كانت المجمعية والمجامع إصلاحية وتجديدية عبر تاريخ هذه الكنيسة، نأمل أن يكون هذا المؤتمر أملاً كبيرًا يبعثُ نفحاتٍ بل دماءً جديدةً في جسم كنيسة المشرق الكلدانية، مع ما سيصدر أيضًا عن لقاءات الوحدة بين الكنيستين الكلدانية والأثورية، بل بين سائر كنائس العراق.

الفصل السابع

بطاركة عظام

١ – قائمة جثالقة وبطاركة كنيسة المشرق

لا يسعنا أن نتحدث هنا عن سائر جثالقة وبطاركة كنيسة المشرق، ونحن ممن لا يقصرون التاريخ على حياة الأشخاص العظام وحسب، كتاريخ الملوك في التواريخ المدنية، وتاريخ البابوات والبطاركة في تواريخ الكنيسة. إنما من المفيد إدراج قائمة يرجع إليها من يودّ الإطّلاع على سلسلة الرؤساء الأعلين لكنيسة المشرق. وقد اعتمدنا قائمة الكردينال تيسران مع تعديلات استقيناها من كتاب لامبرت (البطريرك يوسف الأول)، ومقال الأب سرهد جمو في مجلة (بين النهرين) عدد ٩٥-٩٦، السنة ٢٤ (١٩٩٦)، وأبحاثي. وأشفعناها برسم ملامح ستة بطاركة عظام، كان في الإمكان أن يكونوا عشرة وأكثر.

١- يضع المؤرخون القدامى (المجدل لماري بن سليمان. المجدل لعمرو – صليبا، إيليا برشينايا وغيرهم جزئيًا) مار توما، مار أدي، ومار أجي كأوائل، لكنهم يعتبرون مار ماري أول السلسلة، ويضعون بعده ابريس، ابراهيم الأول، يعقوب الأول، احادابوي، وشحلوفا. لكننا ما نزال مع هؤلاء في عداد أشخاص لا نعتقد أن الرئاسة العليا دانت لهم بشكل رسمي معترف به. لذلك فإننا نرجّح البداية الرئاسية مع:

٢- فافا، الربع الأخير من القرن ٣ ومطلع القرن ٤ وفي كرسي المدائن.

٣- مار شمعون برصباعي، استشهد في ١٧ نيسان ٣٤١.

٤- مار شهدوست، ٣٤٢.

٥- مار بربعشمين، ٣٤٨.

– شغور الكرسي – ٣٤٨ – ٣٨٨.

٦- مار تومرصا.

٧- مار قيوما، استقال عام ٣٩٩ .

٨- مار اسحق، ٣٩٩ - ٤١٠ .

٩- مار أحي، ٤١١ - ٤١٤ .

١٠- مار يهبالاها الأول، ٤١٥ - ٤٢٠ .

١١- مار معنا، ٤٢٠ .

١٢- مار فرابوخت، ٤٢٠ .

١٣- مار داديشوع، ٤٢١ - ٤٥٦ (مجمعه في مركبتا) .

١٤- مار بابوي، ٤٥٧ - ٤٨٤ .

١٥- مار آقاق، ٤٨٥ - ٤٩٦ .

١٦- مار بابي، ٤٩٧ - ٥٠٣ .

١٧- مار شيلا، ٥٠٥ - ٥٢٢ .

١٨- نرسي واليشع، ٥٢٤ - ٥٣٧ أو ٥٣٩ .

١٩- مار بولس الأول، أحد الشعانين ٥٣٧، والأصح ٥٣٩ .

٢٠- مار آبا الأول، كانون الثاني ٥٤٠ - ٢٩ شباط ٥٥٢ .

٢١- مار يوسف، أيار ٥٥١ - ٥٦٦ .

٢٢- مار حزقيال، كانون الثاني ٥٦٧ - ٥٨١ .

٢٣- مار ايشوعياب الأول الارزني، ٥٨٢ - ٥٩٥ .

٢٤- مار سبريشوع الأول، ٥٩٦ - ٦٠٤ .

٢٥- مار غريغور، نيسان ٦٠٥ - ٦٠٩ .

- شغور الكرسي، ٦٠٩ - ٦٢٨ (اجتماع الأساقفة عام ٦١٢) .

٢٦- مار ايشوعياب الثاني الجدالي، ١١ أيار - ٣٠ آب ٦٢٨ - ٦٤٦ .

٢٧- مار أميه، ٦٤٧ - ٦٥٠ أو ٦٤٤ - ٦٤٧ .

٢٨- مار ايشوعياب الثالث الحديابي، ٦٤٧ أو ٦٥٠ - ٦٥٨ .

٢٩- مار كوركيس الأول، ٦٦١ - ٦٨١.

٣٠- مار يوحنا بن مرتا، ٦٨١ - ٦٨٣.

٣١- مار حنانيشوع الأول الأعرج، ٦٨٥ - ٧٠٠ (دفن في دير مار يونان في نينوى).

٣٢- مار يوحنا الأبرص، اختلاس المنصب بين ٦٩١ - ٦٩٢ أو ٦٩٣.

- شغور الكرسي، ٧٠٠ - ٧١٤.

٣٣- مار صليبا زخا، ٧١٤ - ٧٢٨.

- شغور الكرسي، ٧٢٨ - ٧٣١.

٣٤- مار فثيون، ٧٣١ - ٧٤.

٣٥- مار آبا الثاني، ٧٤١ - ٧٥١.

٣٦- مار سورين، ١٢ نيسان - ٢٦ أيار ٧٥٤.

٣٧- مار يعقوب الثاني، ٧٥٤ - ٧٧٣.

٣٨- مار حنانيشوع الثاني، ٧٧٣ - ٧٨٠.

(انتقال الكرسي إلى بغداد)

٣٩- مار طيثماوس الأول، ١ أيار ٧٨٠ - كانون الثاني ٨٢٣.

٤٠- مار يشوعبرنون، ٦ تموز ٨٢٣ - ١ نيسان ٨٢٨.

٤١- مار كوركيس الثاني، ٨٢٨ - ٨٣٠ أو ٨٣١.

٤٢- مار سبريشوع الثاني، ٦ آب ٨٣١ - ١٠ تشرين الثاني ٨٣٥.

٤٣- مار ابراهيم الثاني المرجي، ٢٣ تموز ٨٣٧ - ١٦ أيلول ٨٥٠.

٤٤- مار تيودوسيوس الأول (اثناسيوس بحسب سليمان البصري)، ٨٥٣ - تشرين الثاني ٨٥٨.

٤٥- مار سركيس الأول، ٢١ آب ٨٦٠ - ٢٣ أيلول ٨٧٢.

٤٦- مار اسرائيل الكسكري، اختير واغتيل عام ٨٧٧.

٤٧- مار آنوش، ٨٧٧ - أيار ٨٨٤.

٤٨- مار يوحنا الثاني بن نرسي، ١١ أيلول ٨٨٤ – ٨٩١.

٤٩- مار يوحنا الثالث، ١٥ تموز ٨٩٣ – ٨٩٩.

٥٠- مار يوحنا الرابع بن أبكاري، ٨ أيلول ٩٠٠ – ١٦ أيار ٩٠٥.

٥١- مار ابراهيم الثالث (في باجرمي)، ٩٠٥ – ٩٣٦.

٥٢- مار عمانوئيل، ١٦ شباط ٩٣٧ – ١٤ نيسان ٩٦٠.

٥٣- مار إسرائيل، ٢٩ أيار – أيلول ٩٦١.

٥٤- مار عبديشوع الأول، ٢٢ نيسان ٩٦٣ – ٢ حزيران ٩٨٦.

٥٥- مار ماري بن الطوبى، ١٧ أيار ٩٨٧ – ١٦ كانون الأول ٩٩٩.

٥٦- مار يوحنا الخامس بن عيسى، ٢٦ تشرين الثاني ١٠٠٠ – ٢ كانون الأول ١٠١١.

٥٧- مار يوحنا السادس بن نازوك، ١٩ كانون الثاني ١٠١٢ – ٢٣ تموز ١٠١٦.

٥٨- مار ايشوعياب الرابع بن حزقيال، ١١ كانون الأول ١٠٢٠ – ١٤ أيار ١٠٢٥.

٥٩- مار إيليا الأول، ١٦ حزيران ١٠٢٨ – ٦ أيار ١٠٤٩.

٦٠- مار يوحنا السابع بن الطرغال، ١٠٤٩ – ١٠٥٧.

٦١- مار سبريشوع الثالث زنبور، ٢٥ آب ١٠٦٤ – ٣ أيار ١٠٧٢.

٦٢- مار عبديشوع الثاني بن العريض، ٢٣ تشرين الثاني ١٠٧٥ – ٢ كانون الثاني ١٠٩٠.

٦٣- مار مكيخا الأول، ١٨ نيسان ١٠٩٢ – ١١١٠.

٦٤- مار إيليا الثاني بن المقلي، ١٨ نيسان ١١١١ – ١٧ تشرين الثاني ١١٣٢.

٦٥- مار برصوما الأول، ٥ آب ١١٣٤ – ١١ كانون الثاني ١١٣٦.

٦٦- مار عبديشوع الثالث بن المقلي، ١٣ تشرين الثاني ١١٣٩ – ٢٥ تشرين الثاني ١١٤٨.

٦٧- مار ايشوعياب الخامس البلدي، ١١٤٩ – ٢٥ أيار ١١٧٥.

٦٨- مار إيليا الثالث أبو حليم، ٢٥ كانون الثاني ١١٧٦ – ١٢ أيار ١١٩٠.

٦٩- مار يهبالاها الثاني، ٣ حزيران ١١٩٠ - ٣١ كانون الثاني ١٢٢٢.

٧٠- مار سبريشوع الرابع بن قيوما، ٣١ تموز ١٢٢٢ - ١٥ حزيران ١٢٢٤.

٧١- مار سبريشوع الخامس بن المسيحي، ٢٦ نيسان ١٢٢٦ - ٢٠ أيار ١٢٥٦.

٧٢- مار مكيخا الثاني، ٤ نيسان ١٢٥٧ - ١٨ نيسان ١٢٦٥.

٧٣- مار دنحا الأول، ١٥ تشرين الثاني ١٢٦٥ - ٢٤ شباط ١٢٨١.

٧٤- مار يهبالاها الثالث، ١٢٨٣ - ١٣ تشرين الثاني ١٣١٨، الكرسي في مراغا.

٧٥- مار طيمثاوس الثاني، ١٣١٨ - ١٣٣٢، الكرسي في أربيل.

(هنا يبدأ تاريخ البيت الأبوي، أي البطاركة من آل أبونا، دبيث آوون، يتعاقبون وراثيًا، فيصبح ابن أخ البطريرك بطريركًا، وسيستمرون حتى مار شمعون ايشاي الذي مات مقتولاً في سان فرانسيسكو عام ١٩٧٥).

٧٦- مار دنحا الثاني، بعد ١٣٣٢ - ١٣٦٤، الكرسي في كرمليس.

٧٧- مار شمعون الثاني، الكرسي في الموصل.

٧٨- مار شمعون الثالث، في الموصل.

٧٩- مار إيليا الرابع، ١٤٣٧، في الموصل.

٨٠- مار شمعون الرابع باصيدي، حزيران ١٤٣٧ - ٢٠ شباط ١٤٧٩، في الموصل.

٨١- مار شمعون الخامس، ١٤٩٧ - ١٥٠١، الكرسي في جزيرة ابن عمر.

٨٢- مار إيليا الخامس، ١٥٠٢ - ١٥ آذار ١٥٠٣، في الجزيرة.

٨٣- مار شمعون السادس، ١٥٠٤ - ٥ آب ١٥٣٨، الكرسي في دير الربان هرمزد (ألقوش).

٨٤- مار شمعون السابع بن ماما، ١٥٣٨ - تشرين الثاني ١٥٥٨، ألقوش.

- هنا تبدأ سلسلة ثانية، مع سولاقا، على النحو التالي (حسب A. Lampart):

٨٥- مار يوحنا سولاقا، ١٥٥٢ (تثبيت روما ١٥٥٣) - ١٥٥٥ (مات مقتولاً)

(وهو الذي عرف أيضًا باسم مار شمعون الثامن، ولكن ليس في جميع المصادر).

٨٦- مار عبديشوع الرابع مارون الجزري، ١٥٥٥ - ١٥٦٧ (تثبيت روما)، سعرت.

٨٧- مار يهبالاها الخامس، ١٥٧٧ - ١٥٧٩، سعرت.

٨٨- مار شمعون التاسع دنحا، ١٥٧٩ (تثبيت روما) - ١٦٠٠؟، سلماس؟ قوجانس؟

٨٩- مار شمعون العاشر، ١٦٠٠ - ١٦٤٩، سلماس؟ قوجانس؟

٩٠- مار شمعون الحادي عشر، ١٦٣٨ - ١٦٥٦، اورمية؟ قوجانس (وعام ١٦٤٩ - ١٦٥٠ في خوسرو آباد).

٩١- مار شمعون الثاني عشر يوحنا، ١٦٥٦ - ١٦٦٢، خوسرو آباد (اورميه).

٩٢- مار شمعون الثالث عشر، ١٦٦٢ - ١٧٠٠، خوسرو آباد، وآخر الأيام في قوجانس (قطع العلاقة مع روما بعد عام ١٦٧٠).

٩٣- مار شمعون الرابع عشر سليمان، ١٧٠٠ - ١٧٤٠، قوجانس.

٩٤- مار شمعون الخامس عشر يوحنا ميخائيل مقدسي، ١٧٤٠ - ١٧٨٠، قوجانس.

٩٥- مار شمعون السادس عشر يوحنا، ١٧٨٠ - ١٨٢٠، قوجانس.

٩٦- مار شمعون السابع عشر ابراهيم، ١٨٢٠ - ١٨٦١، قوجانس.

٩٧- مار شمعون الثامن عشر روبين، ١٨٦١ - ١٩٠٣، قوجانس.

٩٨- مار شمعون التاسع عشر بنيامين، ١٩٠٣ - ١٩١٨، قوجانس.

٩٩- مار شمعون العشرون بولس، ١٩١٨ - ١٩٢٠، قوجانس.

١٠٠- مار شمعون الحادي والعشرون ايشاي، ١٩٢٠ - ١٩٧٥، سان فرانسيسكو.

١٠١- مار دنخا الرابع، ١٩٧٦، شيكاغو.

ومنذ انقسام الكنيسة الأثورية عام ١٩٦٤، قامت سلسلة أخرى باسم الكنيسة الشرقية القديمة:

١٠٢- مار توما درمو، ١٩٦٦ - ١٩٦٨، كيرالا، بغداد.

١٠٣- مار أدي الثاني، ١٩٦٩ - . . . ، بغداد.

أما اليوسفيون الذين أقاموا في دياربكر (وهم مع روما) فهم:

١٠٤- يوسف الأول، ١٦٧٧ (تثبيت روما ١٦٨١) - ١٦٩٦.

١٠٥- يوسف الثاني، ١٦٩٦ - ١٧١٣.

١٠٦- يوسف الثالث، ١٧١٣ - ١٧٥٧.

١٠٧- يوسف الرابع، ١٧٥٩ - ١٧٩٦.

- أوغسطين هندي مطران دياربكر (ابن أخ يوسف الرابع)، اتخذ خطأ لقب بطريرك بابل، وعرف خطأ باسم يوسف الخامس، ١٨٠٣ - ١٨٢٨ (من هنا جاء الخطأ في تسلسل اليوسفيين: يوسف السادس اودو، ويوسف السابع غنيمة. والرقم صحيح ان كان التسلسل وفق القائمة العامة، إذ لنا يوسف أول في القرن ٦، إنما ينبغي عندئذ تصحيح أرقام يوسفيي دياربكر).

١٠٨- مار يوحنا الثامن هرمز (من آل أبونا)، ثبت في ٥ تموز ١٨٣٠ - ١٦ آب ١٨٣٨، في القوش، الموصل، بغداد.

١٠٩- مار نيقولاوس زيا (زيعا، اشعيا)، ٢٧ نيسان ١٨٤٠ - قدم استقالته ١٨٤٧، الموصل، خوسراوا (سلماس).

١١٠- مار يوسف (السادس) اودو، كان انتخابه في ١٣ كانون الأول ١٨٤٧، تثبيت روما في ١١ أيلول ١٨٤٨ - ١٤ آذار ١٨٧٨، الموصل.

١١١- مار إيليا الثاني (الثالث) عشر عبو اليونان، انتخب ٢٥ - ٢٦ تموز ١٨٧٨، تثبيته في ٢٨ شباط ١٩٧٩ - ١٧ حزيران ١٨٩٤، الموصل.

١١٢- مار جرجس عبديشوع الخامس خياط، انتخب في ٢٨ تشرين الأول ١٨٩٤، ثبت في ٢٨ آذار ١٨٩٥ - ٦ تشرين الثاني ١٨٩٩، الموصل.

١١٣- مار يوسف عمانوئيل الثاني توما، انتخب في ١٩ تموز وثبت في ١٧ كانون الأول ١٩٠٠ - ٢١ تموز ١٩٤٧، الموصل.

١١٤- مار يوسف (السابع) غنيمة، ١٩٤٧ - ٨ تموز ١٩٥٨، الموصل، بغداد.

١١٥– مار بولس الثاني شيخو، ١٣ كانون الأول ١٩٥٨ – ١٣ نيسان ١٩٨٩، بغداد.

١١٦– مار روفائيل الأول بيداويد، ٢٢ أيار ١٩٨٩ –. . .، بغداد.

وبعد وفاة مار شمعون السابع بن ماما:

١١٧– مار إيليا السادس، ١٥٥٨ – ٢٦ أيار ١٥٩١، ألقوش.

١١٨– مار إيليا السابع، ١٥٩١ – ٢٦ أيار ١٦١٧، ألقوش.

١١٩– مار إيليا الثامن شمعون، ١٦١٧ – ٨ حزيران ١٦٦٠، ألقوش.

١٢٠– مار إيليا التاسع يوحنا مروجين، ١٦٦٠ – ١٧ أيار ١٧٠٠، ألقوش.

١٢١– مار إيليا العاشر مروجين، ١٧٠٠ – ١٤ كانون الأول ١٧٢٢، ألقوش.

١٢٢– مار إيليا الحادي عشر دنحا، ٢٥ كانون الأول ١٧٢٢ – ١٢ نيسان ١٧٧٨، ألقوش.

١٢٣– مار إيليا الثاني عشر ايشوعياب، ١٧٧٨–١٨٠٤، ألقوش.

٢ – مار شمعون برصباعي (٣٢٩-٣٤١)

أنيطت به مسؤولية كنيسة المشرق في أعقاب الأحداث التي دارت بين مار فافا رئيس كرسي المدائن وأساقفة الأبرشيات الأخرى، ولا سيما ميلس مطران الشوش، وانتهت بحكم مضاد قضى بإقالة فافا، وسوف يشجب مجمع مار داديشوع هذا القرار معطيًا الحق لفافا. وقد كان شمعون برصباعي (بن الصباغين) اركذياقون فافا، فعقدت له الرئاسة.

أصله من المدائن أو من الشوش (السوسن في عيلام أي الاحواز). وكان مقربًا من الملك سابور الثاني (٣٠٩ – ٣٧٩) الذي انقلب على المسيحيين في أعقاب خسارته مع الروم. وبتحريض من المجوس واليهود، شن اضطهادات مروعة عرفت بالاضطهاد الأربعيني، إذ دامت ٤٠ سنة (٣٣٩ – ٣٧٩)، وراح ضحيتها الجاثليق مار شمعون نفسه وألوف المسيحيين من مطارين وكهنة وشمامسة وبنات عهد ووجهاء قوم وكثير من أفراد الشعب.

وتفيدنا قصة استشهاد الجاثليق برصباعي أنه لم يذعن لأوامر الملك التي كانت تلزم بدفع جزية مضاعفة وضرائب باهظة تنهك كاهل المسيحيين، حتى تتيسر له مواصلة الحرب ضد الروم. فاقتيد مار شمعون مع رفاقه المائة والثلاثة إلى كرخ ليدان حيث كان الملك، وطلب إليهم أن يجحدوا إيمانهم ويسجدوا للنار وللملك، فامتنعوا، فألقي بهم في السجن، وقتلوا بعد تنكيل وعذابات، يوم جمعة الآلام، ١٤ نيسان عام ٣٤١، وهم ينشدون ترتيلة من تأليف الجاثليق الشهيد استوحاها من القديس بولس، هي: «لو نزعتم ثياب الظاهر، فأنتم لن تنزعوا ثياب الباطن (كول ٣ : ٩-١٠)، فإنكم معمَّدون، تحملون سلاحكم فلا تقوى النائبات بأمواجها العاتية أن ترخي عزمكم. وَعدُكم هو الإنجيل، والقربان غذاؤكم، فلن تضعفوا». وكان الموقوفون قد أقاموا ليلتها الذبيحة الإلهية (القداس) في السجن، على صدر مار شمعون بدلاً من المذبح، وكان نشيدهم: «بعين الفكر والحب نرى المسيح يساق إلى الصليب ويذبح، ونحن نقيم ذكرى موته ونصعد له الحمد». وكانت صلاة البطريرك القديس هي التالية: «أعطنا يا رب أن نتألم نحن أيضًا، وأن نشرب نظيرك كأس الموت من أجل اسمك القدوس».

ويعزى إلى الجاثليق شمعون برصباعي ترتيب الصلاة في جوقين (كودين) في كنيسة المشرق. وهو صاحب الترتيلة الطقسية الشهيرة (لاخو مارا: إياك يا رب)، وهي بمثابة قانون إيمان مسيحاني ليتورجي. وله ترتيلة (ياذع حوشاوي: يا عالم أفكار البشر)، ترتل في زمن الصوم. وله ترتيلة (آفين شلحيتون: لو نزعتم) وترتيلة (بعينا دثرعيثا وذحوبا: بعين الفكر والحب) المذكورتين، وترتيلة (شوحا لاخ مار دوريتان: سبحانك ربي لأنك خلقتنا) ترتل في زمن الصوم وفيها يبرز تدبير الله.

٣ - مار آبا الكبير (٤٩٠-٥٥٢)

قبل أن يكون جاثليقًا بطريركًا، كان مار آبا عالمًا ومعلمًا ومفكرًا ومؤلفًا ورجلاً عظيمًا.

ابتدأ كاتبًا لجابي أموالٍ في وسط العراق (مقاطعة بيث آرامايي). تَعلّم ثم علّم في مدرسة نصيبين، أكاديمية كنيسة المشرق. أتقن اللغات الشائعة والعلمية في عهده:

السريانية، اليونانية، الفارسية. ناظرَ وجادلَ وتنقّلَ في أوساط فكرية شتى. وضع جملة تآليف، منها قبل أن يصبح بطريركًا، ومنها رسائل راعوية وتعليمية، وترك أعمالاً مجمعية وقوانين كنسية. نجح في إصلاح شأن كنيسته، وقد كانت الأوضاع مرتبكة، وثنائية الرئاسة متفشية، فلقب بالمصلح الكبير، وذكرته عدة مجامع لاحقة بالخير، واستشهد البطاركة الذين خلفوه بقوانينه وتنظيماته.

كان مجوسيًا من حالا (الواقعة على دجلة في رادان)، وصار أرزبدًا (كاتبَ ضرائب) في بلدته، واهتدى على يد تلميذ (اسكولاني) اسمه يوسف، ولقبه موسى. لازم معلّمًا في مدرسة نصيبين، وزار القسطنطينية بصحبة تلميذه توما الرهاوي، كما يؤكد قوزما انديكوبليستيس في كتابه (الطوبوغرافية المسيحية) الذي وضعه قبل سنة ٥٥٣، ويقول فيه انه لم يكتب من نتاج خياله، بل استمد تعليمه من معلمه (باتريكيوس) مار آبا وتلميذه توما. وكان آبا يترجم بالسريانية وتوما باليونانية، وتمكن كلاهما من المدافعة عن معتقد كنيستهما المشرقية، وعن ديودور الطرسوسي وتيودوروس المصيصي ونسطور. ولما أصبح رئيس مدرسة المدائن، كان يجادل المجوس.

ومن تلاميذ آبا الأستاذ (الملفان): نرسي أسقف الانبار، يعقوب مطران نصيبين، حزقيال أسقف الزوابي، قيواي (قيورا) معلم الحيرة، راميشوع الملفان، موشي أسقف الكرخ، برشبا أسقف شهرقرد، داود مطران مرو، شوحالمارن أسقف كسكر، سرجيس ملفان حزة، يعقوب الملفان.

وكان كلامه مفهومًا ومستساغًا. قام بترجمة الكتاب المقدس وتفسيره، بمساعدة توما. ووضع مقالات وتراجم، ونقل قدّاسيَ تيودوروس ونسطور من اليونانية إلى السريانية. وله تسبحة تقال في الصوم، وست رسائل مجمعية، وقوانين إدارية، وتشريعات كنسية، ومقالة في الزواج.

كانت فترة بطريركية مار آبا في عهد كسرى أنوشروان (٥٣١ – ٥٧٩) الذي حاول إصلاح الوضع الأمني والاقتصادي والاجتماعي في مملكته. كانت الهوة بين أفراد الشعب وطبقة الحاكمين كبيرة، زادتها تعاسة حرب ضروس بين الفرس والروم اندلعت عام ٥٤٠، في السنة الأولى من بطريركية مار آبا، فاستغلها المتعصبون من المجوس وكهانهم للنيل من المسيحيين والإيقاع بالبطريرك المهتدي من المزدية إلى المسيحية. ولولا اشتراك مار

آبا مع الملك في الحرب ضد الروم وتهدئة الأوضاع في منطقة الاحواز اثر تمرد أحد أبناء أنوشروان، لكانت النتائج أشد وطأة. ومع هذا فإن الملك سيضطر إلى حماية مار آبا خشية البطش به، وإلى إبعاده منفيًا إرضاءً للمتطرفين من المجوس.

وقد كانت مشكلةُ الثنائية أو الازدواجية في الرئاسة الكنسية، السببَ الأكبر في اختياره بطريركًا عام ٥٤٠. فإنه بعد وفاة شيلا، عام ٥٢١–٥٢٢، حدثت فتنة قوية، إذ أوصى هذا الأخير أن يخلفه نسيبه اليشع الطبيب، فرسم أسقفًا وبطريركًا، بينما اختار أساقفة آخرون مار نرسي، ودامت الحال هكذا مدة ١٥ سنة، حتى توفي نرسي، وتم عزل اليشع، واختارت الكنيسة بولس، لكنه لم يعش سوى ٣ أشهر، وشغر الكرسي حتى تم اختيار مار آبا، فكان عليه أن يواجه تركة ثقيلة على كل الصُعُد، منها الأخلاقية، بعد الفوضى التي أحدثتها أعمال مجمعَي برصوما مطران نصيبين وتفَشّي الإباحية في البلاد، وازدياد الصراعات المذهبية والعزلة، وانقسام أبرشيات عديدة بين رئيسين متنازعين يتبع كلٌّ واحد بطريركًا من البطريركين المذكورَين سابقًا. فكان على مار آبا أن يقوم بما لم يسبقه إليه أحد، مبتدئًا بإصلاح أبرشيته البطريركية، ثم قاصدًا الأبرشيات الأخرى التي كانت تعاني من الثنائية الرئاسية، مصطحبًا المطارين والأساقفة الذين كان يزداد عددهم يومًا بعد يوم كلما كان يتقدم في مسيرته الإصلاحية، مبطلاً من هو غير أهل للخدمة، ومثبتًا أو مختارًا من هو جدير بتدبير الكنيسة، بفضل مجمع متجوّل كان يكبر في كلّ أبرشية جديدة، متمكنًا هكذا من القيام بإصلاح جذري شامل لكنيسة المشرق.

وإن شئنا تشخيص سر نجاحه بوضوح قلنا: انه الاتصال المباشر، والعمل الجماعي، وقوة الثقافة، وعمق الروحانيّة. فحق لدوفيليه (Jean Dauvillier) أن يشبّه مار آبا بالبابا غريغوريوس السابع، أكبر مصلح في الكنيسة الرومانية. وقال المطران أدي شير: ان مار آبا من أجَلّ البطاركة الذين جلسوا على كرسي المدائن. وقال لابور: انه كان نورًا لكنيسته. سيظل لقب «الكبير» مقترنًا باسمه على الدوام.

٤ – مار ايشوعياب الثالث الحديابي (٥٨٠ – ٦٥٩)

عرف بالثالث، إذ سبقه ايشوعياب الأول الارزني، وايشوعياب الثاني الجدالي.

أصله من حزة (حدياب). والده من المؤمنين الأثرياء. درس في أشهر مدرسة مشرقية هي نصيبين، وانتمى إلى دير شهير في المرج هو دير الغاب (بيث عابي، قرية خربة في منطقة وعرة). رسم أسقفًا على نينوى عام ٦٢٨، وشارك عام ٦٣٠ بالوفادة الكنسية التي أرادتها الملكة بوران للتفاوض مع هرقل ملك الروم. اتسم عهده بالصراع بين مَن سُمّوا بنساطرة ويعاقبة خطأ، فأجهد النفس في الرد على المونوفيزيين لمقاومة مَدّهم الجارف. صار أسقفًا على نينوى، وأفاد من خبرة الدير الأعلى الطقسية. رفض بادئ الأمر مطرافوليطية حدياب، ثم رضخ للأمر اثر وقوع أحداث مؤلمة، وكان عليه أن يعاين في أربيل نجاح الفتوحات العربية الإسلامية عام ٦٣٧. ومعروف بأن المسيحيين المشرقيين كانوا أقل الجميع تصلبًا ازاء الفتوحات، بل كانوا متعاطفين معها عادة، مع الاحتفاظ بإيمانهم.

أصبح بطريركًا عام ٦٤٩، وأشغلته قضية فارس، إذ امتنع مطران فارس عن إرسال رسائل الشركة للبطريرك الجديد. وأتعبته مشكلة أبرشية قطر، فقد كان أساقفتها يقتبلون الرسامة إنما دون تكميل البطريرك وتثبيته. وأرهقته مضايقات أمير المؤمنين حين راح يطالب المسيحيين بمبالغ باهظة، فلم يرضخ البطريرك لئلا يثقل على شعبه، فنفي، وقصد ديره (بيث عابي) حيث توفي إلى جانب معلّمه الربّان يعقوب.

ترك مؤلفات كثيرة في شرح الكتب المقدسة ومقالات لاهوتية وتفسير الطقوس. وهو يُعتبَر بحقٍّ منظمَ طقوس كنيسة المشرق، ساعده في ذلك الراهب عنانيشوع زميله في مدرسة نصيبين وصاحب تراتيل وألحان طقسية عديدة. وكان ايشوعياب قد ركّز على الحياة الطقسية وقام بتوحيد رتبها وصلواتها منذ أن كان أسقفًا على نينوى ثم مطرانًا في حدياب، وعَمّم ذلك حين تسلّم الرئاسة العظمى في كنيسة المشرق. إليه يُنسَب تنظيمُ السنة الطقسية وفق رمزية التدبير الإلهي والخلاصي، وإدراج القديسين ضمن السياق الطقسي، وإرساء قواعد الصلاة وزيارة الكنيسة المشرقية.

شهيرة هي رسائله، نشرها روبنس دوفال عام ١٩٠٤ مع ترجمة لاتينية عام ١٩٠٥، وترجم قسمًا منها إلى الإنكليزية واليس بدج ونشرها في ذيل كتاب الرؤساء (طبعة عام ١٨٩٣).

٥ – البطريرك طيمثاوس الكبير (٧٨٠–٨٢٣)

عهدُه عهدُ دولة عربية إسلامية تركت الأثر الكبير في الحضارة العالمية، هي الدولة العباسية، عصر الازدهار الحضاري في بغداد التي أسّسها الخليفةُ المنصور، وأرسى فيها الخليفةُ الرشيد قواعدَ بيت الحكمة، وحقّق فيها الخليفةُ المأمون أوسعَ انفتاح على العالم من خلال الفكر والعلوم والعلماء. فغدت أم الدنيا وعاصمة الحضارة. واستوعب مار طيمثاوس حجم الظاهرة التاريخية، فركز فيها كرسيه الجاثليقي البطريركي، وكان سلفه قد انتقل إليها بشكل طبيعي. وكان لكنيسة المشرق في بغداد لفيف كبير من العلماء والحكماء والأطباء، إضافة إلى مسيحيي كنائس أخرى.

ولد في حزة (منطقة حدياب) نحو عام ٧٢٧–٧٢٨. أرسله عمه أسقف بابغش ليدرس على الراهب الشهير ابراهيم بردشنداد. وانتقل إلى منطقة المرج حيث بابي الجبلتي مؤسس المدارس الموسيقية العديدة. ثم قصد الدير الأعلى في الموصل، معقل الطقوس. اختير أسقفًا على بابغش بعد رحيل عمه. وبعد وفاة البطريرك حنانيشوع، لجأ إلى صديقه أبي نوح الانباري المتنفذ في البلاط العباسي، وإلى حيلة المال، فربح الجولة الانتخابية، وأصبح بطريركًا رغم معارضة توما أسقف كسكر.

عقد مجمعين لم يوثقهما كتاب المجامع المشرقية، لأنه هو الذي رتب هذه المجامع في محاولة أولى، على ما يبدو. له ٥٩ رسالة نشرها أوسكار براون عام ١٩١٤ وأشفعها بترجمة لاتينية عام ١٩١٥، وكانت موضوع أطروحة البطريرك مار روفائيل الأول بيداويد التي نشرها عام ١٩٥٦. وشهيرة هي محاورته مع الخليفة المهدي التي فيها تأكيد على الرسالة الإلهية والنبوّة كقاعدة صلبة لحوار صحيح وصريح بين المسيحيين والمسلمين، طُبعت أكثر من مرة، وكُتبت حولها دراسات كثيرة. بلغت كنيسة المشرق في عهده أقصى ديار الشرق، ففاق عدد أبرشياتها المائتين.

من محاورته مع الخليفة المهدي:

– هل المسيح واحد أم اثنان؟ «كما أن الإنسان هو واحد من جهة التركيب والاتّحاد، وهو اثنان أيضًا من جهة النفس والجسد (اللذين هما طبيعتان مميزتان، إحداهما مركبة ومنظورة، والأخرى بسيطة غير منظورة)، هكذا كلمة الله بتجسده صار إذًا طبيعتين

مميزتين، إحداهما إلهية والأخرى إنسانية، كما قلنا. ومع ذلك، فهو لا يزال مسيحًا واحدًا وابنًا واحدًا، من أجل وحدانية شخصه».

– ثلاثة أقانيم لا ثلاثة آلهة: «إن الاعتقاد بهذه الأسماء الثلاثة هو الاعتقاد بثلاثة أقانيم، أعني الآب والابن والروح القدس، الذين هم إله واحد وطبيعة واحدة وجوهر واحد. هكذا نؤمن ونعتقد على ما علّمنا صريحًا عيسى (عليه السلام) وتَعلّمنا ذلك أيضًا من الأنبياء.

– ولنا برهان على ذلك في المخلوقات. فكما أن ملكنا محب الله هو واحد مع كلمته وروحه، وليس بثلاثة ملوك، ولا يمكن أن ينفصل منه كلمته وروحه، ولا أن يصبح ملكًا دون الكلمة والروح، هكذا الله تعالى: إنه واحد مع كلمته وروحه، وليس بثلاثة آلهة، إذ لا يمكن أن ينفصل منه الكلمة والروح.

– هكذا الشمس، مع أشعتها وحرارتها، هي واحدة وليست بثلاث شموس».

٦ – البطريرك مار يهبالاها الثالث (١٢٨١–١٣١٧)

لدى استعراض انتشار المسيحية في الهند والصين خاصة، نلمس ظهور مركزية متشددة لكنيسة المشرق، تقضي بإرسال مطارين من الأبرشيات المشرقية (العراق وفارس) إلى تلك «الأبرشيات الخارجية». فقد كان مطران الهند من ديار المشرق بشكل مستمر، لكننا نرى بأنه كان يقوم مقام الأب والراعي والمدبّر على رأس مسيحيي مار توما في الملبار (كيرالا)، يعاونه في الخدمة أركذياقون كشخص إداري مسؤول على الاتصال المباشر مع الشعب. ومع ذلك فقد يبدو في الأمر شيء من الإجحاف بحق أولئك المسيحيين البعيدين، كما فيه شيء من الوصاية والتبعية. ولعل ذلك من الأسباب التي ألحقت الأذى بالمسيحية وأدت الى انحسارها السريع، لا سيما في أعقاب اجتياح المغول منذ أواخر القرن ١٣، إضافة إلى تصرفات البرتغاليين في غوا ومناطق أخرى وأعمال التبشير اللاتيني في أواخر القرن ١٦.

ورغم هذا كله، نلقى بين صفوف بطاركة كنيسة المشرق بطريركًا مغوليًا، هو اونغرت مرقس. رسم جاثليقًا بطريركًا في ٢ تشرين الثاني سنة ١٢٨١. يقول الربّان

صوما معلّمُه وكاتبُ حياتِه انه ابن مطران، مما يجعلنا نفكر بمطارين محليين لم يكونوا بتوليين، أو ان المقصود بذلك أركذياقون أو خوراسقف معاون مطران. كانت ولادة مرقس في كوسنغ عام ١٢٤٥. ترهّب على يد الربّان صوما. وأحبّ المضيّ مع معلمه إلى قلب كنيسة المشرق، معرّجًا على الأراضي المقدسة للتبرك بها، لكنهما أوقفا في جيورجية، وتمكنا من الفرار، فسارا حتى بلغا البطريرك مار دنحا عام ١٢٨٠، فرسم البطريركُ مرقسَ باسم يهبالاها مطرانًا لمدينتي كاتاي ووانغ، ورسم الربّانَ صوما زائرًا بطريركيًا (فريادوطا، خوراسقفًا). ولاستحالة العودة إلى الصين بسبب الأوضاع، توقّفَ الإثنان في آذربيجان. ومضى المطران يهبالاها بعد مدة إلى بغداد للاشتراك في انتخاب خلف للبطريرك دنحا، فوقع الاختيار عليه، لا شك بسبب الظروف، إذ كان المغول هم المسيطرين في البلاد منذ سقوط بغداد عام ١٢٥٨. وكان هولاكو قد جعل مراغة مقرًا له، بينما سكن ابنه اباغا في الشمال الغربي من إيران وفي المنطقة العربية من العراق حيث كان عدد المسيحيين ما يزال كبيرًا. وحاول المغول استخدام الجاثليق يهبالاها لاستمالة ملوك الغرب وبابا روما، غير أن وفاة اباغا عام ١٢٨٢ وقيام النزاع بين ابنه آرغون وعمه أحمد أخّرت المبادرات، حتى تجددت في عهد خلفه آراغون. فشخص الربان صوما في وفادة رسمية إلى الغرب وروما، وكان يتقن السريانية والفارسية والعربية، إضافة إلى لغته المغولية. لكنه لم يفلح بسبب ما كان قائمًا في الغرب من مشاكل، ولأن وضع العالم الشرقي أيضًا لم يكن مستقرًا. واستمرت أفضال المغول على كنيسة المشرق، إذ كان عدد كبير من أميرات المغول مسيحيات من أتباع كنيسة المشرق، حتى ان آراغون سمح بعماد ابنه خربنده، وكانت ترافق تحركات المغول خيمةٌ هي مصلًّى مع كاهن، لتأمين الصلاة والقداديس للأميرات المسيحيات. وغدت مراغة مركز إقامة البطريرك. ثم تغيرت الأوضاع بمقتل كيخاتو، خلف آراغون، وتولي قازان الذي اعتنق الإسلام سدّةَ الحكم، فنشأت موجة مضايقات واضطهادات، لاسيما في الأعوام ١٢٩٥–١٢٩٧، رغم فترات هدوء اثر زيارة البطريرك للايلخان، ولوجود نساء مسيحيات في البلاط. ولما ساءت الأمور، طلب البطريرك أن يسمح له بالعودة إلى بلده أو المضي إلى بلاد الغرب لقضاء السنين الأخيرة من حياته، إلا ان زيارة أخرى لقازان جعلت الأخير يسمح له بامتياز حمل الختم الرسمي ويغدق عليه الهدايا.

وبعد وفاة قازان انقلب خلف اولدايتو بن آراغون، الذي هو من أم مسيحية أشهرت إسلامها، فأمر بإعدام المسيحيين، لاسيما في منطقة أربيل، بعد امتناع مسيحيّي القلعة عن الاستسلام للمغول. وتمكّن مار يهبالاها من إيقاف المذبحة بالنسبة إلى الكنسيين أولاً، ثم بالنسبة إلى المسيحيين جميعًا.

توفي في ١٣ تشرين الثاني تَعِبًا من خدمة المغول، مناضلاً في سبيل خير كنيسته. كان كريمًا، محبًا للجميع، ذا علاقات طيبة ويعيش في خوف الله. وهو الذي أمر بترتيب مراسيم الدفن لمفريان السريان في مراغة بحضور الجماعات المسيحية كلها، مما يدلّ على سماحه وانفتاحه، كما كانت علاقاته ودّية مع الغرب أيضًا، وتساهله حتى مع المرسلين اللاتين، مما يجعل منه رائدًا على الصعيد المسكوني قبل سبعة قرون.

٧ – البطريرك مار يوسف أودو (١٨٤٧–١٨٧٨)

عصفت بكنيسة المشرق زوابع مختلفة، فتبدلت خارطتها الجغرافية وتقلصت حجمًا ووهنت على كل صعيد. وكمحاولة إنقاذ وإصلاح قام فريق عام ١٥٥٢ باختيار رئيس أرسلوه إلى روما حيث كُرِّس أول بطريرك «كاثوليكي»، فنشأ الكلدان الذين أخذ عددهم ينمو على حساب الطرف الآخر، «النسطوري»، بفضل تنظيم وثقافة ومساعدات لم تتوفر للطرف الذي ظل متمسكًا بالقديم، وسوف تتاح الفرص منذ أواسط القرن التاسع عشر لهؤلاء الذين أخذوا يعرفون حصرًا باسم «آثوريين». وكان طبيعيًا دخول تأثيرات غربية لاتينية أبعدت الكنيسة الكلدانية عن بعض أصالتها وأحدثت فيها مفاهيم وممارسات رومانية لاتينية على أيدي مرسلين غربيين (إيطاليين، فرنسيين...)، وتلاميذ كلدان درسوا في البروباغندا (معهد ثم كلية انتشار الإيمان) في روما، كما أُسّست رسالة دومنيكية فرنسية ومعهد كهنوتي في الموصل يديره الآباء الدومنيكيون. وتأثر الشطر الثاني القديم بتيارات بروتستنتية انكليكانية وارثوذكسية روسية لتهافت مرسلين من هذه الكنائس (انكلترا، المانيا، الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا..) على المنطقة ومحاولة استمالة رؤساء كنيسة المشرق «الأثورية» إلى مذاهبهم.

لم يتمكن البطريرك الكاثوليكي الأول، مار يوحنا سولاقا، من السكنى في

الموصل، بعد رسامته في روما عام ١٥٥٣، مع انه اتخذ لقب بطريرك «الموصل في آشور». وانتهت حياته مأساويًا، إذ قتل بتحريض البطريرك القديم شمعون برماما، عام ١٥٥٥. خلفه مار عبديشوع الجزري الذي اعتبرته روما بطريركًا على آمد (دياربكر) في بلاد آشور القديمة. ثم تناوَبَ آخرون بعده بلقب بطاركة بابل على الكلدان وسكنوا في دياربكر، لاسيما اليوسفيون. بينما سكن بطاركة الشطر القديم في ألقوش (دير الربان هرمزد) وقوجانس. وتشابكت السلسلتان وأصبحتا أكثر من سلسلتين، كما في قائمة الجثالقة – البطاركة.

وحاولت روما كسب السلالة البطريركية القديمة أيضًا، التي كانت قد غدت وراثية منذ عهد البطريرك شمعون باصيدي (أواسط القرن ١٥) ومن آل أبونا (بيث آوون)، وذلك بتنصيب يوحنا هرمزد بطريركًا على الكلدان عام ١٨٣٠، لكن الشطر الأثوري (النسطوري) آثر البقاء في عزلته، واعتمد بطريركًا يقيم في قوجانس، أقله منذ مار شمعون دنحا (١٦٦٢–١٧٠٠) وقيام سلسلة اليوسفيين في دياربكر (كلدان كاثوليك)، واستمرار الشمعونيين في قوجانس، بعد أن أقام الأخيرون في سلماس وأورمية، ونشطت في أوساطهم حركة لوثرية انكليكانية، لاسيما في أورمية، ينافسها نشاط كاثوليكي للعازريين، وعرف المجال الثقافي نشاطًا ملموسًا بمساعدة هؤلاء الأجانب.

وسط هذه الأجواء المشحونة اشتهر يوسف أودو، وهو أحد رهبان دير الربان هرمزد، الذي بعث فيه حياةَ التجدد الرهباني الأنبا جبرائيل دنبو منذ عام ١٨٠٨.

يوسف أودو من أسرة عريقة في ألقوش. أبوه شماس ومزارع. دخل يوسف الصغير دير الربان هرمزد عام ١٨١٤، ورشحه رئيسه الأنبا دنبو للكهنوت، فرسمه مار أوغسطين هندي مطران دياربكر (الذي كان يطمح إلى البطريركية، حتى انه اتخذ خطأً لقب يوسف الخامس) كاهنًا عام ١٨٢٢، ثم أسقفًا عام ١٨٢٥، إنما على الموصل التي كان مطرانها معطلاً من قبل روما لأسباب شتى. فنشب الخلاف بين أودو ومطران الموصل يوحنا هرمز (من آل أبونا)، ولم ينته إلا بعد تعيين يوحنا هرمز بطريركًا على الكلدان عام ١٨٣٠، وتنصيب أودو أسقفًا على العمادية، فشمّر عن ساعد الجدّ عاملاً في حقل الرب بكل غيرة وتفان. لذا، حين اضطُرَّ البطريرك نيقولاوس زيعا (زيا،

أشعيا)، خلف يوحنا هرمز، إلى تقديم استقالته، بإيعاز من روما، نظرًا للشكاوى الكثيرة ضده، عينت روما يوسف أودو وكيلاً قائمًا بالأعمال، وانتخبه الأساقفة بطريركًا في ١٣ كانون الأول (٢٦ منه وفق التقويم المعدل) سنة ١٨٤٧. ستدوم بطريركيته ٣١ سنة حافلة بالأعمال والمشاريع، والمتاعب والمشاكل والأزمات، بسبب ظروف قاسية وتركة ثقيلة ومستجدات خطيرة.

فقد كانت البلاد قد خرجت من حروب وهجمات أنهكتها، آخرها ما شنه عليها طهماسب قبل نحو قرن، وأودى بحياة الألوف وخلف دمارًا ساحقًا، مع استمرار قلاقل لاسيما في المناطق الجبلية. وكان الشعب يرزح تحت حكم عثماني لا يولي الناس اهتمامًا كبيرًا. وكانت الكنيسة أيضًا في حالة صراع، سواء بين الكاثوليك وغير الكاثوليك، وسواء من جراء التخبط بين الأصالة المشرقية والتغرب اللاتيني والأجنبي. ولم يكن الكلدان أكثر من ٣٠ ألفًا منتشرين خاصة في العراق وسورية وتركية وإيران، والحاجة ماسة إلى كهنة مثقفين. لذا أقام مار أودو معهدًا بطريركيًا في الموصل، باسم معهد مار شمعون الصفا، وأرسى قاعدة طباعة ونشر، بفضل الشماس روفائيل مازجي. وكان الآباء الدومنيكان الفرنسيون قد جلبوا مطبعة حجرية قبل عام ١٨٦٠ بقليل، وفتحوا معهدًا كهنوتيًا باسم معهد مار يوحنا الحبيب في الموصل. وتم التركيز على فتح المدارس إلى جانب مدارس أخرى أخذت تفتتح في الموصل وبغداد والقرى والجبل من قبل الآباء الكرمليين والدومنيكان وجهات أخرى. وجدد مار أودو المصاف الأسقفي. وراحت الرهبنة الكلدانية المتجددة تنفح الكنيسة الكلدانية بعناصر طيبة فاعلة. ولكن سرعان ما نشبت قضايا أخرى سوف تؤدي إلى تأزم بل إلى صراع حقيقي بين البطريرك أودو وروما، أهمها القضية الملبارية ومفهوم الكنيسة، رسامة الأساقفة ومفهوم السلطة، الأولوية البابوية والعصمة والوحدة الفوقية من جهة، وتعددية الكنائس والطقوس وحقوق البطريركيات من جهة أخرى. خاض مار أودو هذه المسائل الشائكة بعزم ونشاط، واتضحت الصورة أمامه من خلال التجربة الحياتية ومعطيات التاريخ بمساعدة معاونين كفوئين عادة، أمثال الانبا دنبو وخلفه في الرئاسة الرهبانية الانبا اليشاع، وجرجس عبديشوع خياط تلميذ البروباغندا ثم المطران والبطريرك لاحقًا، وبطرس برتتر تلميذ البروباغندا ومطران دياربكر لاحقًا، والراهب دميانوس، وروكس وملوس اللذين

رسمهما مطرانين للملبار. هؤلاء وغيرهم اعتمد عليهم البطريرك أودو فساندوه وأفاد الكثيرون من علمهم وغيرتهم. وعلينا أن لا ننسى الأزمنة واختلاف العقليات، التي كانت عوامل مؤثرة.

وليس من المبالغة القول أنّ ما تلفَّظَ به البطريركُ يوسف أودو في الجلسة العامة ١٦ من جلسات المجمع الفاتيكاني الأول عام ١٨٦٩، هو أقرب إلى تصريحات المجمع الفاتيكاني الثاني والموقف الكنسي الحالي منه إلى ما كانت تريد الأوساط الرومانية ولجان المجمع الفاتيكاني الأول تكريسه في غير صالح الكنائس الشرقية. لذا يُعتَبَر مار أودو بحق من البطاركة الروّاد الذين ناصروا قضية الشرقيين، ودافعوا عن حقوق البطريركيات. وكان لا بدّ أن ينشأ عن ذلك كلّه تياران، واحد باتجاه المركزية والوحدة الشكلية، وآخر باتجاه خصوصيات الكنائس واستقلاليتها، عرفا في أوساط كنيسة المشرق بـ«اليباسي» و«الندايي» أو بالسورث بـ«البولا» و«البردي»، ولم تخفّ حدّة الخلاف إلا بعد سنوات.

توفي مار أودو في ٢٩ آذار في القلاية البطريركية في الموصل، ودفن في دير السيدة (ألقوش)، وضريحه قائم في المدخل الخلفي لكنيسة الدير. إنه لبطريرك عظيم.

الفصل الثامن

الرهبانية استشهاد حياة

الشهادة في كنيسة المشرق علامة حية، عرفت تجسيدات شتى. فهي شهادة حياة عاشها أفراد هذه الكنيسة عبر العصور، في ظل أوضاع صعبة كان لا بد أن تضيق بأي إنسان وجماعة وشعب. ومع ذلك نرى أعضاء هذا الجسد الحي راسخين، بفضل إيمان عميق قوي، وتضامن هو ثمرة جماعية وأبوة. وقلّما لجأوا إلى الهرب أو التنكر لما حملوه من إرث روحي وتاريخ عريق. وقادتهم الشهادة إلى نشر الكلمة والبشرى في كل أرجاء البلاد، بل حتى المضي إلى أقاصي الشرق، فكانت كنيسةُ المشرق حاضرةً في بلاد نائية جدًا منذ أقدم العصور. وبلغت الشهادة أوجها في تقديم الذات من أجل الحفاظ على الإيمان، وعدم تفضيل أي شيء عليه، فسقط الألوفُ شهداءَ إيمانهم، خلّدتهم كنيسة المشرق بشتى الوسائل.

وكان أن اختار العديدون طريقة استشهاد آخر، هو الزهد والتجرد، برفض ملاذ الجسد وخيور العالم، والاعتكاف بصلاة دائمة وأصوام مستمرة وحياة تقشف صارمة. وانقطع عدد غفير إلى البراري والجبال، متخذين المغائر والكهوف، مبتنين الصوامع والقلالي، عائشين بصرامة حياةً لا يُقدِم عليها سوى الأبطال. هؤلاء هم الذين اتخذوا الاستشهاد الحياتي اليومي طريقة للتمثل بمن بذلك نفسه عنا، وكان حبة حنطة، سقطت في الأرض، وماتت، لكنها بموتها نبتت وأزهرت وملأت الدنيا من ثمرها.

ألوف من النساك والمتوحدين والرهبان والراهبات والمكرسين والزهاد، ماتوا عن العالم وعاشوا للمسيح وللناس.

١ – الظاهرة الرهبانية وبنو العهد وبناته

قيل ان الرهبانية دخلت كنيسة المشرق في القرن الرابع، ويرجعها المعنيون عادة إلى قصة مار أوجين ورفاقه، أي إلى أصل مصري، لربطها بالظاهرة الرهبانية المصرية المعروفة، بينما يركّز الباحثون في العقود الأخيرة على ظاهرة بني العهد القديم وبناته،

وذكر أبناء الأنبياء. ويرون أن أتباع يسوع عينهم، أي الرسل والتلاميذ، هم رهبان أي زهاد. وكنيسة المشرق كتابية بدرجة كبيرة. وللظاهرة الرهبانية امتدادات وجذور عميقة في التاريخ، لاسيما في حضارات وتقاليد بلاد ما بين النهرين. أما الأنظمة والقوانين الرهبانية والديرية فمتأخرة. لذا نرى عبديشوع الصوباوي (+ ١٣١٨) يلجأ إلى حل قد لا يقنع اليوم أحدًا، ربما لعدم تمكنه من تشخيص الزمان والمكان، فيؤكد على الأصل الرسولي والكتابي للرهبنة المشرقية، لكنه يشير بذلك إلى تمسّك كنيسة المشرق بالتقليد الكتابي وحقيقة التواصل الحضاري والديني.

فقد كانت بدايات الرهبنة في هذه الكنيسة كبداياتها في مصر والشام وقابدوقية ومناطق أخرى: ان أناسًا من ذكور وإناث، حبًا بالتفرغ لله وتكريس الذات الكلي بطهر ونقاء، عزفوا عن الزواج وملاذ الجسد، وتجردوا عن الدنيا وأهلها، وكرسوا وقتهم للصلاة وخدمة الكنيسة والتأمل في قراءة الأسفار المقدسة وخدمة الآخرين، في بيوتهم أول الأمر، ثم في كهوف ومغائر، وصوامع وقلالي، لاسيما بالنسبة إلى الرجال، منقطعين عن العالم في البراري والجبال، حيث تبلورت ملامح المتزهدين المتكرسين للخدمة، ثم الرهبان المتوحدين، وأخيرًا الديريين.

وعرفت الكنيسة أن تحتضن الذين أبدوا استعدادًا لخدمتها وخدمة الآخرين، ولاسيما الأيتام والأرامل وبنات العهد من اللواتي كنّ يسكنّ في البيوت حتى انضم البعض إلى «جماعة الخدمة»، وتم تكريس الذات بشكل كلي، فأصبح المكرسون (بنو وبنات العهد= بني وبنات قياما)، ومن عنصر الإناث بنوع خاصّ، حالةً خاصّةً، فهنّ في العالم، لكنهنّ لسن من العالم، وأصبحن أشبه بمن نسميهم في كنيسة اليوم جماعات الحياة المكرسة؛ بينما كان الذكور يفضلون الانقطاع عن العالم بشكل تام والسكنى خارج المناطق السكنية. ولا تخلو المصادر من ذكر «حبيسات». فقد ذكر المرجي راهبة حبيسة نسجت لها قميصًا من الأعشاب، طعامها من عروق الأشجار والثمار البرية.

ونعتقد أنه لالتزام بني وبنات العهد بالخدمة الكنسية، أُطلِقَت، في التراث المشرقي، تسميةُ (قياما) على خدّام الكنيسة ممن هم دون الشمامسة الإنجيليين.

٢ - الرهبانية الديرية

ظهرت الرهبانية الديرية في كنيسة المشرق منذ القرن الرابع ، بتأثير مصري ، بعد أن كانت قد انتشرت كظاهرة توحد واعتزال ، فرادى وجماعات ، منذ سنوات ، تسبق عهد مار انطونيوس «أبي الرهبان» .

نلقى في كنيسة المشرق رهبانًا قبل مار أوجين . أشهرهم افراهاط الحكيم (نحو سنة ٣٤٥) في منطقة نينوى وآشور ، ومار عبدا في دير قني في منطقة كلدو ، ويوليانا سابا أو يوليانس الشيخ الذي عاش في الجبال الواقعة بين دياربكر (آمد) والرها (أورفه) وتوفي سنة ٣٦٧/٣٦٦ ، وابراهيم القيدوني الذي تنسّكَ قرب الرها وتوفي سنة ٣٦٧ ، ويعقوب أسقف نصيبين ، معلّم مار أفرام ، ومار أفرام نفسه الذي قضى سنوات في حياة الزهد والتوحد وتوفي سنة ٣٧٣ . ونلقى أخوة رهبانًا آخرين ، إنما ليس ثابتًا بأنهم عاشوا مع بعضهم في مكان عام (غاوا) ، أي في دير (ديرا) أو عمر (عومرا) ، ولو أن ثمة إشارات طفيفة قد تفيد شيئًا من ذلك ، كما في حياة يوليانا سابا . وكذلك المعلومة التي تذكر وجود دير للراهبات في نصيبين قبل سنة ٣٠٠ (في أعمال الشهيدة فبرونية) . وقد كشفت الحفريات عن دير في الهيت (حوران) يرجع إلى سنة ٣٥٤ . وتريد قصص وروايات عديدة ردّ الأمور إلى عهود أقدم ، فتسمي العديد من الكنائس الأولى «أديرة» ، ونظن أن السبب في ذلك انتشار الظاهرة الرهبانية ، وكتابة معظم سير الشهداء والقديسين من قبل رهبان «لَوَّنوا» حياةَ هؤلاء الأبطال بمسحةٍ رهبانية منذ أقدم العهود .

أما أول القوانين الرهبانية التي حفظها التراث السرياني فهي منسوبة إلى مار أفرام وربّولا .

لا يسعنا أن نعزو الظاهرة الرهبانية بأسرها وانتشارها الكبير في ديار المشرق إلى الاضطهادات الدموية التي سقط ضحيتها ألوف المسيحيين في بلاد كان يحكمها ملوك فرس يدينون بالزرادشتية والمزدية ، يحركهم كهان المجوس باستمرار ليشنوها حربًا على من اعتبروا خارجين عن الدين الرسمي للمملكة . وقد أفاض بعضهم في تشخيص أسباب أخرى ، أهمها ذهنية تتنكر للجسد والجنس وتتمسك بالروح والبتولية ، بتأثير أفلاطوني معروف وبولسي ، حاول بعضهم تفسيره تفسيرًا غير سليم . إننا نجد مبالغات في هذه

المسألة، لأن أدبيات كنيسة المشرق ليست مناوئة عادة للمادة والجنس والمرأة، ولو أنها مع النزعة الروحانية والهالة القدسية بشكل ملحوظ.

انتشرت الأديرة في أرجاء كنيسة المشرق كلها. وكثر عدد الرهبان والراهبات بشكل لا يصدق. ويمكننا تشخيص مئات الأديرة القديمة، في طول البلاد وعرضها، يرجع بعضها إلى القرنين الرابع والخامس. اكتظ العديد منها بعدد غفير من الرهبان بلغ المئات أحياناً في الدير الواحد، كما تشهد بذلك المصادر (حياة الآباء المؤسسين والمتوحدين والنساك والرهبان القدامى، وبيّنات افراهاط الحكيم، ومؤلفات مار أفرام، وكتابات تيودوريطس الصوري، والديورة لايشعدناح مطران البصرة، وكتاب الرؤساء لتوما المرجي، وتاريخ الربّان يوسف بوسنايا بقلم تلميذه يوحنا بن كلون، ورسائل ايشوعياب الحديابي، وكتابا المجدل، والتاريخ السعرتي، والديارات للشابشتي، ومعجم البلدان لياقوت الحموي). وتذكر أعمال الشهداء رهباناً تكللت حياتهم بالاستشهاد الدموي، أمثال كوريا وشامونا، برشبيا، أوهنام، فافا، ولفش، عبديشوع، فقيذا، شموئيل، بدما. ومن الراهبات: فبرونية، مرتا، تربو، تقلا، داناق، طاطون، ماما، وردة، وعدّة مريمات، وغيرهم.

٣ – قوانين الدير الكبير

بالنظر لانتشار الرهبانية والأديرة في ديار المشرق بشكل مذهل، كان لا بد من قوانين محكمة تنظم الأمور. تمّ ذلك على يد مجدِّد الرهبانية في كنيسة المشرق، ابراهيم الكسكري، وفي الدير الكبير الواقع في جبل الأزل (ايزلا) في جبل نصيبين، في أواسط القرن السادس. وابراهيم من مواليد دارودان (في منطقة كسكر، واسط)، سنة ٥٠٣. عمل في الحيرة، وزار سيناء، فتعلَّمَ على أيدي رهبان مصر. ودرس في نصيبين أيام رئاسة ابراهيم ربّان. ثم ابتنى ديرًا في الجبل، فتتلمَذَ له رهبانٌ كثيرون، وضع لهم قوانين نشرها شابو وفوبس، وعُرِفَ ديرُه بالكبير كما لُقِّبَ هو شخصيًا بذلك. أكمل قوانينَه تلميذُه وخلفَهُ على رئاسة الدير، داديشوع. توفي مار ابراهيم عام ٥٨٨، ومار داديشوع سنة ٦٠٤. وخلَفَهما مار بابي الكبير الذي سيصبح زائرًا عامًا على الأديرة، وهو من كبار المؤلفين واللاهوتيين في كنيسة المشرق. سواء لكثرة الدعوات الرهبانية في عهده، أم

بسبب خلافات مذهبية أخذت تسري داخل الأديرة التي كانت أيضًا مراكز ثقافية عالية، تَشتَّتَ الرهبان، وابتنوا لهم في كل مكان أديرة جديدة، حتى غدت الظاهرة الرهبانية أضخم ما عرفت كنيسة المشرق، بل الكنيسة عامة، في جميع العصور.

ترتكز قوانين مار ابراهيم على السكون أو الهدوء (شليا)، والصوم، والصلاة، والصمت (شتقا)، وعدم التجوال، وعدم التذمر. وتؤكد قوانين مار دايشوع وتعديلاته على وجوب حفظ سلامة التعليم المشرقي، والتحذير من الهرطقات ومن بدعة المصلين (مصليانى) الذين كانوا بحجة الثياب الرهبانية يطوفون البيوت في المدن والقرى مدَّعين بأن الصلاة قد حررتهم من كل قيد، حتى اضطرت عدة مجامع مشرقية رسمية إلى شجبهم وإيقافهم للحد من سلبياتهم، ويحدد داديشوع أيضًا قواعد عملية لحفظ النظام داخل الدير.

وطبيعي أن تسري قوانين الدير الكبير على معظم أديرة كنيسة المشرق، إنما لا ينبغي أن نفكر بما نلقاه اليوم من دير أساسي كبير (الدير الأم) وأديرة هي فروع، ترجع كلها إلى رئاسة واحدة، فقد كان كل دير مستقلاً، لا اشتراك بينهم إلا في الأمور الروحية والأنظمة العامة. كما ان الأديرة والرهبان جميعًا كانوا تحت سلطة الأسقف المحلي، وعادة من خلال الخوراسقف أو الفريادوط أي الزائر.

٤ - مؤسسو أديرة مشرقية قديمة

تحاشيًا للإطالة نكتفي بذكر تلاميذ مار أوجين من مؤسسي الأديرة، وهم: أحا مؤسس دير الزرنوق، وأخوه يوحنا مؤسس دير الخلخال، والديران قريبان الواحد من الآخر في منطقة جزيرة ابن عمر وفنك. يوحنا الحيري الذي شيد فوق المغارة التي دفن فيها ديرًا في المعرة في جبل ايزلا. يوحنا الجرمقي، وهو أمير ساساني وحاكم نصيبين، تَرَهَّب في كمول على السفح الجنوبي الغربي لجبل جودي في قردو وشيد الربّان او كاما في القرن السابع ديرًا فوق ضريحه. ميخا النوهدري وديره في ألقوش. ميخائيل رفيق الملائكة، كاتب حياة مار أوجين، وديره على دجلة قرب الموصل. فنحاس الشهيد، وقد شيدت عدة أديرة على اسمه في مواضع مختلفة. شليطا مؤسس دير في بازبدى. شيري

مؤسس دير قرب دارا. يونان مؤسس دير في الانبار. وعلى اسم دادا أقيمت كنيسة في طورعبدين. دانيال وديره في نوهدرا قرب فايدة. اشعيا الحلبي، كاتب سيرة مار أوجين، وديره قرب جولميرك. يوحنا بركناني، ديره فوق زار في طورعبدين. وأسس ملكي القلزمي ديرًا في انحل، وأقيمت كنيسة على اسمه في سارى (طورعبدين). موشي، لعله موسى الأسود أو الحبشي، باسمه سميت كنائس في حاح وباكسيان. الوغ وقواما منسي، شيدت على إسميهما كنائس في انحل وباسبرينا ومواضع أخرى. يارث، وديره في الجزيرة.

وننوّه بأشهَر تلاميذ مار ابراهيم الكسكري: برعيتا، أصله من الرصافة على الفرات، تَرهّب في جبل ايزلا، ثم قصد نينوى وابتنى ديرًا قرب برزاني. وتبعته أخته فأقامت ديرًا على اسم القديسة فبرونية. وشيد كوركيس الراهب ديرين، في رستاق مينيس قرب روميني (حدياب)، وفي رستاق بيرتا في بيت زيتا (مرج عقرة). وانقطع بابي النصيبي في مغارة قرب اطي (جبل حدياب)، ثم ابتنى ديرًا في جبل ايزلا. وشيد الحبيس ساهروى ديرًا في قدو. وأسس إيليا الحيري ديرًا قرب الموصل في منطقة الغزلاني. وابتنى يوحنا الكسكري ديرًا في داسن. وحنانيشوع من وجوه الحيرة وفي خدمة النعمان بن المنذر تبع إيليا الحيري، وشيد ديرًا عُرِفَ بعمر ربّان عمرو حنون. وشيد يوحنان التحلي ديرًا في أرزون قرب بيكند. ودرس سبريشوع النينوي في اربيل، وشيد ديرًا في نوهدرا عرف بدير الغاب الجميل (عمورا دعابا شفيرا). ومن أثرياء كسكر كني، زار القدس وسيناء، وعاد إلى بلده فأنشأ ديرًا. وأسس سابوخت من وجهاء نصيبين ديرًا في سنجار. وشيد دانيال الذي من بابل ديرًا في جبل اوروخ (باجرمي). وشيد نونا هيكلاً قرب حوطير (قردو). وكان أهل يعقوب اللاشومي في خدمة كسرى ملك الفرس، مضى إلى المرج حيث علم، ثم انضم إلى تلاميذ مار ابراهيم، وعاد إلى المرج فشيد ديرًا شهيرًا أرَّخَ له مار توما أسقف المرج، دعي دير بيت عابي أي دير الغاب، موقعه في قرية خربة قرب عقرة. وابتنى شليطا الزرخي–باجرمي عدة كنائس وديرًا في حرّان، وصار أسقفًا على حرّان. وشيّد كوركيس المروزي ديرًا في زراق، عرف بدير ايكلكل. وابتنى يوحنا المروزي ديرًا في جبل افرام بفلسطين، عرف بدير سمرونا. وأسس يعقوب الدير المعروف بدير مار يعقوب الحبيس في سعرت. وشيد حايا الكسكري ديرًا في بلدته، بعد أن زار القدس

دير سيّدة الزروع – ألقوش (ق ١٩)

أحد الشعانين في منمنمة لفنّاني ألقوش (ق ١٧-١٨)

مار جرجس من منمنمة لفنّاني ألقوش

(ق ١٧–١٨)

ومصر. وأسس برحذبشبا ديرًا في قريته في حدود المرج (تخوما دمر كايي).

ومن التلاميذ المتأخرين: يوحنا مؤسس دير قنقل على نهر سرباط، وهو تلميذ مار بابي الكبير. آبا من قرية حوردينا، تلميذ مار داديشوع، انتقل مع جبرائيل وبريخيشوع إلى جبل سنجار، وشيد هناك هيكلاً سمي برطورا، ووسّعه تلميذُه يونان. ودرس حبيب في المدائن، ثم قصد زمار مع ستّين راهبًا من نينوى، وشيدوا لهم ديرًا. ثم انتقل إلى كفرتوثا، فاجتمع إليه الرهبان وشيدوا ديرًا آخر، ووسَّعه بسيما الذي من قردو وهو راهب دير صليبا في كرخ سلوخ. وشفى كبرونا ابنة حاكم على حدود بازبدي وباعربايا كان له حصنًا منيعًا، فبنى الحاكم ديرًا عرف بدير شمونا. وشيد يونان الذي من بروخ آباد (حدياب) ديرًا قرب اشكار. وأسس تلميذه شمعون ديرًا في بابغش. وتتلمذ ايشوعياب النوهدري على الربان يشوعزخا، وشيد ديرًا بقرب دير مار ايثالاها الشهيد (دهوك)، ومن تلاميذه: يعقوب الرائي (حزايا) من باجرمي، درس في خربة جلال وترهب في دير بيت عابي وسكن دير مار ايشوعياب وبنى فيه هيكلاً عظيمًا، هو المعروف بدير مار ياقو قرب شيوز وقاشافر. وتتلمذ تيودوروس على بابي النصيبي، وعاد إلى بلده كسكر وصار مفسرًا في مدرستها، ثم شيّد خارج المدينة ديرًا عظيمًا فيه مدرسة. ومن تلاميذه، مكيخا الذي ابتنى دير بانشار (بابل). وتتلمذ شمعون الكسكري على برعيتا، وشيد ديرًا قرب السن، وترأس دير كنيبا على مقربة من كرخ سلوخ. والربّان هرمزد راهب دير برعيتا، أسس الدير المعروف باسمه في جبل ألقوش، بينما شيد يوزادق، رفيق هرمزد وشمعون، ديرًا في قردو. ولعل اسطيفان هو مؤسس دير الراس (ريشا) في المرج. وأسس تلميذه زيناي ديرا على الزاب الصغير، بينما شيّد شبثا تلميذه ديرًا في معلثايا (مالطه). وشيد ابراهيم النثفري عدة كنائس وأديرة في منطقة حدياب، ومن تلاميذه: أيوب الذي جعل من مغارته ديرًا، والربّان ايشوعياب برقوسري، مؤسس دير مار ايشوعياب في الموصل، على الجهة اليمنى من الحصن العبوري، المعروف حاليًا بكنيسة مار اشعيا. وأسس يشوعزخا السني ثلاثة أديرة: شوعا في باعربايا، وديرًا على اسم مار قرداغ في جبل حبشون (بابغش)، والثالث في حدياب. وأقام نسطور الداسني ديرًا قرب قرية درصاب. وابتنى ابراهيم المدي ديرًا في نينوى المعروف بدير مار اوراها قرب باطنايا. وشيد سبريشوع دير بيت قوقا، وميخائيل تلميذه ديرًا قرب كفر عوزيل. وتَتلمَذَ عبدا الكبير على بابي

الكاتب، وشيد تلميذُه، عبدا الصغير، ديرًا على قبره عرف بدير معرى، كما ابتنى دير كمرا وأقام ابراهيم الحيري رئيسًا عليه. وأسس خوداوي ديرًا في حالا، ومن تلاميذه شوحالمارن مؤسس دير في جبل مسبذان. وتتلمذ سابور الاحوازي ملفان مدرسة ريما على حايا الكسكري، ثم عاد إلى بلدته وشيد ديرًا في جبل سوستر، ومن تلاميذه: خوداوي المذكور، ويشوع عمه صاحب دير قلنكان، وملكيشوع مؤسس دير حذثا (الجديد) قرب جنديسابور، وبرسهدي من جزيرة دارين في الخليج مؤسس دير قرب باروقا في مقاطعة بيت آرامايي (وسط العراق).

ويحتل دير قني مكانة مرموقة، إمّا لأنه قام منذ القرن الرابع على آثار كنيسة مار ماري رسول المشرق، وإمّا لأنه ضَمَّ رفات مار ماري وغدا مقبرة لبعض جثالقة كنيسة المشرق، كما جرى التقليد قديمًا بأن يزور المنتخبُ الجديدُ جاثليقًا بطريركًا كنيسةَ دير قني للتبرك. يقع هذا الدير قرب مدينة العزيزية (٩٠ كم جنوب شرقي بغداد)، على بعد كيلومترين من دجلة حاليًا، بينما كان النهر سابقًا أقرب إلى الدير. مؤسسه مار عبدا، الذي من تلاميذه مار أحى الجاثليق ومار يهبالاها الأول. اشتهر بمدرسته التي أدارها عبديشوع، بعد مار عبدا، وعرفت بإسكول مار ماري، وكان ان ازداد عدد التلاميذ كثيرًا حتى بلغ عدد أساتذتهم الستين في القرن السابع.

وسوف نشير إلى أديرة أخرى كثيرة لدى التحدث عن الأبرشيات والأماكن لاحقًا، كما اننا سنفرد فصلاً لأديرة بغداد القديمة، والأديرة في الحيرة والكوفة وضواحيها.

ونضيف بأن كنيسة المشرق عرفت ظاهرة رهبانية نسائية مزدهرة، حاولت المجامع والقوانين إحاطتها بما يصون حرمتها، فشددت على عدم سكنى رهبان وراهبات معًا، ومنع ابتناء أديرة نساء قريبة من أديرة الرجال. ولنا إشارات عن أديرة نساء، منها: دير في قرية بيت لحوني، ودير في الحيرة أسّسَته بنتُ العهد دودي. وبَنَتْ آذرمنج ديرًا آخر للراهبات في الحيرة. وفي كعبرا دير كبير للراهبات. ويقع دير العذارى أسفل الحيرة على شاطئ دجلة، ودير هند الصغرى (حرقة) في الحيرة من أعظم أديار الحيرة شُيِّدَ نحو سنة ٥٩٦ وعُرِف بالدير الجديد لتمييزه عن دير هند الكبرى الذي يرجع إلى عهد أقدم. وبالقرب من الموصل دير يوسف للراهبات، ودير حليلة كذلك قرب دير مار ميخائيل

سمي بدير العابدات. وتحوَّلَت كنيسة مار فنحاس في آزخ إلى دير للراهبات. وغير بعيد عن ألقوش باتجاه عين سفني دير بنات عهد (بنات قياما).

لم تَخلُ أبرشيةُ مرقية من أديرة ورهبان وراهبات، وكثيرًا ما كانت تقوم فيها مدارس اشتهر قسم كبير منها. فالأديرة في كنيسة المشرق ظاهرة روحية وثقافية، والطابع الرسولي أيضًا متّسم بها، إذ على أكتاف الرهبان ايضًا انتشرت كنيسة المشرق في أقصى ديار الشرق.

والأديرة القديمة التي ما تزال شاخصة في العراق هي: دير مار عوديشو في قرية ديري (العمادية)، ودير مار ياقو قرب قرية شيوز، ودير مار ايثالاها في مدخل دهوك، ودير مار عبدا في كفكري (قرب معلثايا، مالطه)، ودير مار يونان قرب فايدة، ودير الربّان هرمزد (جبل القوس)، ودير مار اوراها قرب باطنايا، وفي الموصل: دير مار كوركيس، ودير مار ميخائيل، والدير الأعلى، ودير مار إيليا، ودير مار ايشوعياب، وقرب الموصل: دير مار بهنام (قرب النمرود)، ودير مار يوحنا الديلمي (الحمدانية)، ودير مار متى (جبل مقلوب)، ودير القصير (قرب الأخيضر). وسيأتي تفصيل عن معظم هذه الأديرة في فصل خاص.

٥ - تجديد الرهبنة الكلدانية

ككل مؤسسة بشرية حية، تحتاج الرهبانيات أيضًا إلى نفحات تجديد تبعث فيها روحانيّة الأصول، لمواكبة الأزمنة والتقدم، خاصة وان الوهن كان قد داهم الحالة الرهبانية في كنيسة المشرق، وأوقع فيها الانحلال، حتى انها تلاشت تمامًا في القرنين السابع عشر والثامن عشر، إلى أن قيض الله لكنيسته شخصًا هو جبرائيل دنبو (١٧٧٥-١٨٣٢)، بعث فيها تجددًا مثمرًا، من خلال استعادة الحياة في دير الربّان هرمزد (ألقوش).

ولد جبرائيل في ماردين، وعمل في دياربكر، واكتشف في أسفاره التجارية وضع كنيسته، فإذا هي تحتاج إلى تجديد شامل، إذ كان تعليم الصغار مهملاً، والكهنة في حالة جهل ومسلكية رتيبة، ولا وجود لرهبان وراهبات. ومما يزيد الوضع تعاسة تفشي الثنائية

في الرئاسة الكنسية والتنازع على السلطة. ففكر بفتح مدرسة لتعليم الأحداث في بغداد، ثم سرعان ما اكتشف دعوته الرهبانية، فرأى تحت إرشاد القس فرنسيس الباقوف فوائد إحياء دير مهجور، هو دير الربّان هرمزد، لبعث الحياة الرهبانية في كنيسته. لم يثبط عزيمته فشل كاهن وأربعة شبان حاولوا عام ١٨٠١ تجديد الرهبنة. ولم يتردد لعدم تمكن روما من خلال البروباغندا (مجمع انتشار الإيمان)، عام ١٨٠٧، من تأسيس جمعية رسولية تحت إشراف القس المتزوج كوركيس يوحانا، ولم يقنط لتمنع المطران المسؤول يوحنا هرمز واختلاقه الحجج لحرمانه من دير الربان هرمزد، طمعًا من ذوي المطران في امتلاك الدير. لقد كانت هَبّةُ الروح، التي لم يقو أي شيء على صدّها.

تمكّنَ دنبو بعزم وتصميم من الحصول على دير الربّان هرمزد ودخوله يوم عيد الشعانين ٢٩ آذار ١٨٠٨ بمعية القس هرمز من الداودية، ويشوع ساكو الألقوسي. رُسم كاهنًا في ١٤ نيسان ١٨١١ على يد شمعون الصائغ، مطران الموصل آنذاك. وبسبب مضايقات المطران يوحنا هرمز، لجأ الرهبان الجدد إلى ألقوش، وكان عددهم قد أصبح ٢٢، وفتحوا مدرسة لتعليم الصغار، ثم عادوا إلى الدير بعد سنة وثلاثة أشهر، وأخذ عددهم يزداد يومًا بعد يوم، فوضع لهم دنبو برنامج عمل ينطلق من مثالية حية وصلاة وأصوام وأعمال يدوية مع تركيز على الدراسة والعلم.

استمد الانبا جبرائيل دنبو قوانين رهبنته من قوانين الأنبا أنطونيوس أبي الرهبان، ومباشرة من الرهبان الموارنة الأنطونيين، وكذلك الصلوات القانونية، عدا الطقسية العائدة لكنيستهم الخاصة كنيسة المشرق. أما الثوب فمزيج من البندكتي والكبوشي، وسوف تثبت هذه القوانين سنة ١٨٥٧ ثم بطبعة رسمية عام ١٨٩٨.

ولتحقيق الهدف الإصلاحي الكنسي، سعى الأنبا دنبو إلى رسامة فريق من رهبانه كهنة، ثم أساقفة، وسوف يصبح أحدهم بطريركًا، هو مار يوسف اودو. وكان الكهنة الجدد يتوزعون أيام الآحاد والأعياد على القرى المجاورة للدير للقيام بالوعظ والإرشاد والمراسيم الدينية، ثم راحوا ينتشرون في كل مكان، وبرسامة البعض منهم أساقفة أخذ يتحقق تبدّل جذري وشامل في جسم الكنيسة الكلدانية.

لم يخلُ الأمر من المشاكل والصعاب التي كان على الرهبنة الفتية مجابهتها، إذ

حصلت هجمة على الدير أثناء غياب الانبا دنبو في روما منذ عام ١٨٢٧ ، فهرب الرهبان إلى مار ميخا في ألقوش ، ووقع بينهم شقاق ، فأيّد بعضهم مار يوسف اودو ، وآخرون مار يوحنا هرمز . وعاد رئيس الرهبنة بعد غياب ، وكانت روما قد أيدت يوحنا هرمز بطريركًا على الكلدان . ولم يستقر الرئيس دنبو في الديار ، حتى أودت بحياته انتفاضة كردية بزعامة ميراكور أمير راوندوز ، فقتل ٣٧٠ شخصًا في ألقوش ، منهم الأنبا جبرائيل دنبو وثلاثة رهبان ، هم اوغسطين ويشوع ساكو ويوحنا البيرسفي ، وكان استشهادهم في ١٥ آذار ١٨٣٢ ، فتوجت حياة دنبو بإكليل الشهادة ، ودفن جسده في مار ميخا ، ثم نقل إلى دير الربّان هرمزد . غيرته على الكنيسة ، نظرته الشمولية راعويًا ، واندفاعه في التجديد الكنسي من الداخل ، والمثابرة على العمل والصلاة وتحمّل الصعاب وبذل الذات في سبيل القضية الأساس والنهوض بالكنيسة من خلال تجديد رهباني رسولي ، كلها شعارات جسّدها الأنبا دنبو في حياة مفعمة بالإيمان والرجاء والمحبة .

ولنضف كلمة في الحياة الرهبانية الحالية:

فالرهبان الكلدان موجودون اليوم في بغداد والموصل وألقوش ، وروما ، وعددهم نحو ٣٠ .

فمنذ عام ١٨١١ عمل الأب أبلحد ريس في ارادن على تكوين «بنات قلب يسوع الأقدس» ، فقامت هذه الرهبنة على صعيد أبرشي (العمادية) ، حتى أصبحت في سينودس أيار ١٩٩٨ رهبنة بطريركية ، منتشرة في بغداد ، والموصل ، ومانكيش ، وعينكاوه ، وبردرش ، وفرنسا . وعدد الراهبات ٢٥ .

كما تأسست رهبنة «بنات مريم المحبول بها بلا دنس» الكلدانيات ، عام ١٩٢٢ ، لها حاليًا ١٤ ديرًا داخل العراق ، و١٣ خارجه (الولايات المتحدة الأمريكية ، روما ، اوستراليا ، سورية ، الخليج ، ايران) . وعدد الراهبات ١٢١ .

ونشأت كذلك رهبنة نسائية أخرى تضم كلدانيات وسريانيات باسم «الراهبات الدومنيكيات للقديسة كاترينا» ، عرفت انتشارًا كبيرًا داخل العراق وخارجه .

وانتمى عراقيون وعراقيات إلى رهبنات عامة ، كالدومنيكيين ، والكرمليين ،

والمخلصيين، والفرنسيسكان والفرنسيسكانيات، وراهبات التقدمة، واخوات يسوع الصغيرات، مؤكدين هكذا بأن الحياة الرهبانية دعوة خاصة بمسيحيي كنيسة المشرق.

وفي السنوات الأخيرة هبّ روح جديد في كنيسة المشرق الأثورية أيضًا، عَمِلَ على تجديد الرهبنة النسائية، وكذلك في جسم الكنيسة السريانية الارثوذكسية.

٦ – أديار بغداد القديمة

يرقى زمن إنشاء معظمها إلى ما قبل بناء بغداد. ويذكر التاريخ أنه لما أراد أبو جعفر المنصور تشييد بغداد سنة ١٤٥ هـ/٧٦٢ م، ليتّخذ منها عاصمة لدولته، كانت المنطقة التي تقع فيها، عامرة بالحقول والمزارع، كثيرة الأنهار والجداول، مزدحمة بالقرى والأديرة التي كانت منتشرة على ضفاف دجلة والجداول، وفي الحقول والبساتين والأرباض في جانبي بغداد الشرقي والغربي. وقد عفاها الزمان، وفقدت مؤلفات كثيرة تناولتها. ويمكننا تشخيص:

دير درمالس، في الجانب الشرقي، على ضفة دجلة اليسرى في أعلى بغداد، مقابل دير درتا (في الجانب الغربي)، في الصليخ ومحلة الشماسية قرب الدار التي بناها الديليمي أحمد بن بويه. وهو نَزِه، كثير البساتين والأشجار، وبقربه أجمة قصب، وهو كبير، آهل بالرهبان، وعيده في الأحد الرابع من الصوم، كان عامرًا أيام ياقوت (+ ١٢٢٨)، ولم يعد له أثر أيام عبد الحق (+ ١٣٠٨). ولعل اسمه رومانس (حبيب زيات) او ميليس مطران السوس الذي استشهد سنة ٣٤١ (كوركيس عواد: دير ميليس = درمالس).

ودير الروم، في الجانب الشرقي منه بيعة كبيرة محكمة الصنعة، وللجاثليق قلالي إلى جانبها. وبين الدير وبينها باب يخرج منه إليها للصلاة، وتجاورها بيعة مغربية حسنة المنظر. وأصل التسمية ان أسرى من الروم أُسكِنوا هناك، وبُنِيَت الكنيسة في الموضع. فليست الكنيسة منسوبة إلى الروم، بل المحلة.

دير الزندورد، حَدُّه من الباب الأزج إلى الشفيعي (محلة باب الشيخ والمربعة وراس السلقية)، وأرضُه فيها فواكه وأعناب من أجود أنواعٍ تُعصَر ببغداد. ولم يعد له أثر أيام

ابن عبد الحق. وحدده لسترنج تحت المحلات الجنوبية التي تحيط بقصور الخلفاء ضمن طسوج كلواذا. ويروي المنطقة نهر الزندورد (الحي).

سمالو، بباب الشماسية على نهر المهدي، حيث ارحية للماء، وحوله بساتين ونخيل. وتقترن تسميته بالفتوحات في المائة الثانية للهجرة (٨م)، إذْ أجْلَى المهدي ابن هارون الرشيد أهلَ سمالوو (صمالو) في سنة ١٦٣ هـ/٧٧٩ م، وأنزلهم ببغداد على باب الشماسية، فبنوا ديرًا. وقد جدّد الجاثليق عبد ايشوع الأول (+ ٩٨٦) بيعة سمالو ووسّعها، وعمل موسى الصيدلاني وجه المذبح الساج الذهب ووسّع هيكل النساء. وخَرِبَ الديرُ في أوائل القرن ١٤.

ويقع دير العاصمة على ميل من سمالو.

ودير قوطا على شاطئ دجلة بالبردان، شمالي بغداد، تحيط به بساتين ومتنزهات. كانت عمارته حسنة وفواكهه كثيرة. وكان خرابه في القرن ١٤.

دير باشهرا على دجلة، بين بغداد وسامراء، نَزِه، كثير البساتين والكروم، وله حائط يصل علوّه إلى نحو مائة ذراع، وفيه رهبان كثيرون وفلاحون ومزارع وبيت ضيافة.

دير الزريقية، عيده في الأحد الثاني من الصوم.

دير قِقي، جدّده مار ابراهيم مع مار داديشوع، وهو بجانب قرية بدارون قرب بغداد.

دير مار دانيال النبي، مسافة ٣ ساعات شمالي بغداد، كان فيه مائتا راهب عدا الخدام، وله أوقاف كثيرة وسبعمائة رأس غنم، وسبعة رحي (حجر طاحون)، وسبعة بساتين، ومدرسة كبيرة لتعليم الفلسفة واللاهوت والمنطق والوعظ والهندسة.

ويقع في الجانب الغربي من بغداد، دير شموني، في قطربل، وهو من أجمل متنزهات بغداد، وكان مهوى الأدباء والشعراء، كالكثير من الأديرة.

ودير بستان القس شمال قرية الخطابية المجاورة لباب الشام، وصاحبه من الذين استدعاهم المنصور وطلب رأيهم في المواضع التي يسكنون فيها.

دير الثعالب في باب الحديد، يقصده أهل بغداد للتنزه، وعيده آخر سبت من أيلول، ويلاصق قبر معروف الكرخي. وسمي بدير القباب، وتعرف بقاياه بعين الصنم.

دير الجاثليق، قرب باب الحديد، كبير، تحدق به البساتين والأشجار والرياحين، كان يسمّى بدير كليليشوع، ودير البقال، ملاصق مقبرة الشيخ معروف. ودفن فيه طيمثاوس الأول، وخلفه يشوعبرنون، وكذلك الجثالقة جيورجيس، وسبريشوع، وتاذاسيس (+ ٨٧٢). ونُهِبَ أيام الجاثليق يوحنا بن نرسي. فتأسيسه يسبق الإسلام. بقي عامرًا حتى سنة ١٢٥٦، بل أيام ابن عبد الحق (+ ١٣٣٨). وقام دير آخر باسم دير الجاثليق في رأس الحد بين السواد وأرض تكريت، قامت بالقرب منه الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير.

دير الجرجوث، حوله بساتين ومزارع. هل اسمه محرف عن دير جرجيوس؟

دير درتا، يحاذي باب الشماسية، حسن العمارة، كثير الرهبان، وله هيكل عال، كان قائمًا أيام ياقوت (+ ١٣٢٨) وخَرِبَ أيام ابن عبد الحق بسبب فيضان نهر دجلة لدى تحول مجراه. وكان في الأصل كنيسة انشأها مار ماري في فجر المسيحية، ثم ألحقت بها القلالي. فيه دفن الشيخ عبد الله ابن الطيب (+ ١٠٤٣)، وكان المستكفي بالله قد اتخذ منه مخبأ (سنة ٩٤٦).

دير درزيجان، وهي قرية كبيرة تحت بغداد.

دير مار فثيون، وعرف بالعتيق وبقَرن الصراة، إذ كان على مصب الصراة في دجلة، وهو غير دير فثيون في أسفل النجف، والآخر الذي على دجلة على بعد ٤ كم جنوبي بلد (اسكي موصل)، والآخر الذي في سامراء. ولعله الدير الذي نزل فيه المنصور حين مجيئه إلى المنطقة لوضع تصميم مدينته، وقد أنشئ قصر الخلد بجواره. جدد أَبنيتَهُ الجاثليق سبريشوع، ودُفِنَ فيه إسرائيل أسقف كسكر، وعُقِدَ فيه أكثر من مجمع انتخابي بطريركي. أصابه الخراب سنة ٨٨٤، وآخر ذِكرٍ له في عهد الجاثليق عبديشوع ابن القلي (+ ١١٤٧).

دير مديان (موديانى أي المعترفين)، على نهر كرخايا الذي يشق الكرخ، حوله بساتين وعمران، وعرف أيضًا باسم مار سرجس. ناله الخراب بعد سنة ١٣٤٨.

دير مار جرجس بالمزرفة، تحدق به البساتين والحانات، بينه وبين بغداد ٤ فراسخ، ناله الخراب قبل وفاة ابن عبد الحق.

عمر صليبا، أي دير الصليب، جوار التل المعروف بصرصر على مسافة فرسخين (٩ كم) من بغداد جنوبًا. انشأه مار عبدا من دير قنى في أواخر المئة الرابعة، وأقام فيه مدرسة (إسكولا).

٧ - الأديرة في الحيرة والكوفة وضواحيها

أديرة الأساقفة، تضم بعض الأديرة والقبب والقصور، عن اليمين قصر أبي الخصيب، وعن الشمال قصر السدير، ويمرّ فيها نهر الغدير، في موقع الطارات غربي النجف. يجاورها قصر المسقطات شرقي الحيرة، وقصر العدسيين، والقصر الأبيض، وقصر بني بقيلة الغساني.

دير الاسكون من أديرة الحيرة، اشتهر بالضيافة، وكان له سور حصين عال ضمنه باب حديدي، نَزِه، وله مَشرعة لها دُوح، إذا انقطع النهر شرب منها أهل الحيرة والسعانين فيه شهير.

دير الأعور بناه أياد من بني أمية، واشتهر في واقعة القادسية، إذْ اتخذه رستم قائد الفرس مقرًا له وأقام فيه معسكره أربعة أشهر. ونزل فيه عبيد الله بن الحر الجعفي واقتتل مع مصعب بن الزبير.

دير ابن البراق، ولعل محلة البراق منه.

دير ابن وضاح، أو مار عبدا ويعرف بمعرى، في الحيرة، وإلى جواره دير حنة. ومار عبدا بن حنيف بن وضاح من حاشية ملوك الحيرة، تتلمذ على ابراهيم الحيرى وغيره، ودفن في مغارة أقام تلميذه عليها ديرًا.

دير ابن مزعوق ، وسط الحيرة ، قريب من دير الحريق وبحذاء قصر عبد المسيح ، كثير الرهبان ، حسن العمارة ، متنزه وصفه الشعراء .

دير أبي موسى ، ورد ذكره في واقعة صفّين ، مر به الإمام علي ، ثم عبد الرحمن بن الاشعث ، ويزيد بن انس قاصد الموصل .

دير بني مرينا ، في حفر الأملاك بجانب الكوفة عند النخيلة ، ذكر في معركة أهل الكوفة والخوارج يوم النهروان في خلافة الإمام علي . وأصحابه من قبائل العباد .

دير بونا ، في تل بونا في ضواحي الكوفة .

دير الجرعة نسبة إلى موضع قرب الكوفة ، ومؤسسه عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغساني شيخ العباديين في زمانه وكبير أهل الحيرة ، قابل خالد بن الوليد إبان فتح الحيرة سنة ٥١٢ . ثم خَربَ الدير وظهر فيه ازاج معقود من الحجارة ظنوا فيه كنزًا فإذا بسرير من رخام عليه رجل ميت وعند رأسه لوح مكتوب .

دير الجماجم ، يقع على مسافة سبعة فراسخ شمالي الكوفة ، ويشرف على طريق البر المؤدّي إلى البصرة ، وإزاءه دير قره ، وقربه دير الأعور ، وسمي كذلك لواقعة قبيلة أياد على أعجم كسرى بشاطئ الفرات الغربي ، أو بين حيين من قضاعة ، أو بين أياد وبهراء ، أو لأنه كان يصنع في أقداح من خشب يقال لها جمجمة . واقترن بواقعة بين الحجّاج بن يوسف الثقفي وبين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث سنة ٧٠٢ ، وكان ابن الأشعث قد نزل في دير الجماجم ، والحجاج بإزاء دير قرة .

دير الحريق ، قرب دير ابن مزعوق ، مجاور قبتي الزنيق وغصين . بناه النعمان بن المنذر ، لذكرى ولد كان له أُحرِقَ في موضعه ، أو لأنه أُحرِقَ قوم في موضعه ، ودُفِنَ فيه قوم من أهل مَن أُحرِق .

دير حنة ، بناه بنو ساطع من تنوخ ، فيه منارة عالية كالمراقب تسمى القائم ، ويقع في الثوية . كانت سجنًا للنعمان ورد ذكرها في الشعر العربي ، جنوب شرقي مسجد الكوفة ، والحنانة الحي الحديث في النجف يقوم على أجزاء من الثوية وفيه مسجد الحنانة ، وللحنانة

قائم مَرّوا عليه بجثمان الإمام علي لدفنه في النجف، وقد نسجت حكايات حول مَيَلان القائم. وفي منطقة الاكيراح دير عرف بدير حنة أيضًا، والاكيراح من رساتيق الكوفة كانت ملحقة بالحيرة. ويرجع بناء الدير إلى بناء الحيرة، ويقع على مقربة من نهر الغدير.

دير حنظلة، بناه حنظلة بن عبد المسيح، كما مكتوب في صدره. وكان دير آخر باسم حنظلة منسوب إلى حنظلة بن أبي عفراء بن النعمان، ويقع بالجزيرة على الفرات بين الدالية والبهنسة.

دير داديشوع الماحوزي، دفن فيه الجاثليق داديشوع (٤٢١–٤٥٦).

دير دندا الطوباوية، ودير دودى الحيرية بنت العهد من أديرة النساء في الحيرة.

ومن أشهر أديرة الكوفة دير زرارة، نسبة إلى زرارة بن يزيد بن عمرو بن عدس، يقع بين حمام أعين وجسر الكوفة، في موضع حسن.

دير الزرنوق من أديرة طَيزناباذ، بين الكوفة والقادسية، وهو غير عمر الزرنوق في بازبدى، ومن أديرة طَيزناباذ أيضًا دير سرجس وباكس، على ميل من القادسية، ومن النزه الموصوفة، لم يبقَ منه إلا قباب وحجر.

دير السواء، قديم، في منازل أياد، والسواء اسم أرض أو امرأة، أو السوا هو العدل.

دير عبد الرحمن بن أم الحكم، من قواد بني أمية، قضى فترة في الكوفة، قرب قناطر راس الجالوت.

دير عبديشوع، لعله أول دير أسس في الحيرة، قبل سنة ٤١٠. وعبديشوع من ميسان، درس في دير قنى. رسمه تومرصا الجاثليق أسقفًا على محراق، فلم يمكث طويلاً، وقصد اليمامة في البحرين حيث بنى ديرًا.

دير علقمة، منسوب إلى علقمة بن عدي بن الذميل اللخمي، وكان عدي بن زيد العبادى على صلة به.

دير قرة، أسسه قرة الأيادي من بني أمية أيام المنذر بن ماء السماء (٥١٤–٥٦٣)، ملاصق لطف البر ودير الجماجم. ورد ذكره في واقعة ابن الأشعث والحجّاج.

دير كعب، من أديرة أياد ورد ذكره في أحداث القادسية، كما في واقعة صفّين، أقام فيه الإمام علي ليلة، وكان ضاربًا في البرية منقطعًا عن الأنيس.

دير اللج في ظاهر الحيرة، بناه النعمان بن المنذر (٥٨٥–٦٠٧)، وقيل على قبر مار آبا الجاثليق (٥٤٠–٥٥٢)، وكان النعمان يقصده مع آل بيته للتعبد والاستشفاء.

دير المسالح من أديرة كوثى (الكوفة)، وهو اليوم تل ابراهيم بين المحاويل والصويرة. ورد ذكره في واقعة القادسية.

دير مرت (السيدة) مريم، قديم، من بناء المنذر، حسن الموضع، مشرف على النجف.

دير هند الكبرى بنت الحارث بن عمرو الكندي، زوج النعمان الثالث (٥١٤–٥٦٣) وام عمرو بن هند الذي قتل في عقر داره بالحيرة ودفن في دير أمه، ويقع على طرف النجف، مر به الخليفة الرشيد. أما دير هند الصغرى، فعلى اسم هند بنت النعمان بن المنذر اللخمي، تدعى بالحرقة، من أجمل نساء زمانها ومن ذوات الفصاحة والأدب والشعر، تزوجت عَدِيًّا بن زيد العبادي، وديرها من أكبر أديرة الحيرة وأشهرها، يقع وراء خندق كرى سعد، قرب خطة بني عبد الله بن درام. نزل فيه أبو طاهر القرمطي. وكثيرة هي الروايات بشأن بنائه.

وخلال أعمال المسح الاثاري لمنخفض النجف، كشفت البعثة الاثارية اليابانية عام ١٩٧٤ عن كهوف دكاكين وموقع مجاور معروف باسم (عين شعيا). وبعد حفريات أولية سنة ١٩٨٦، قامت البعثة بأعمال حفر في الموسمين ١٩٨٧–١٩٨٨ و١٩٨٨–١٩٨٩، فظهرت عدة صوامع رهبان، وبقايا كنيسة، فيها كسر بلاط مصبوغة بالأحمر والأزرق. ومخطط الكنيسة شبيه بما في الحيرة والمدائن وبلدان الخليج. وتتكون الكنيسة من ثلاثة أقسام، على بعضها كتابة سريانية مشرقية. ويبدو البيم (بيما) أو المنصة. وعثر على صندوق داخل صندوق آخر في الجدار المزدوج الشمالي، وداخل الصندوقين كسر

من اللبن ومسحوق أحجار طينية، ولعلهما ضريحان. وقد تكون الكتابة (توما ويعقوب)، كما في الكسر، هما الشخصان المدفونان، أو القديسان اللذان يخلد ذكرهما. وقد أبانت التنقيبات أن الكهوف قديمة العهد جدًا، حتى أنها تسبق الميلاد، إلا ان الكتابات السريانية الكثيرة تشير إلى عهد النشاط الكبير الذي حصل في منطقة الحيرة، أي الى القرن السادس والقرن السابع للميلاد (أنظر بحث د. أريكا هنتر، بين النهرين ٩١-٩٢، السنة ٢٣، ١٩٩٥، ص ١٨٤-١٩٦).

الفصل التاسع

الأديرة القائمة

١ - دير مار إيليّا

يقع في الساحل الأيمن من دجلة غربي الموصل، على بعد ٧ كم من المركز في منخفض يعرف بوادي الدير، وحاليًا جنوب معسكر الغزلاني، تحيط به تلال جميلة. لذا كان متنزهًا لأهالي الموصل. وسُمّي بالدير المنقوش لأن غرفه وكنيسته كانت منقوشة ومحط الأنظار حتى أواسط القرن الماضي، ثم سُمّي بالخربان بعد إهماله وتهدمه.

أسسه راهب حيري الأصل، تَلقّن العلم في مدرسة نصيبين الراقية، وتتلمذ على مار ابراهيم الكسكري مجدّد الرهبنة في الدير الكبير في جبل ايزلا، واشتهر بفضيلته وتجرّده، وعلى يده جرى إصلاح الأخطاء التي حصلت في الدير الكبير أيام الأنبا بابي، ونتج عن ذلك تَفَرّق الرهبان، فمضى يعقوب وأسّس دير بيت عابي (الغاب) في المرج، وقصد مار إيليا الموصل وعاش في تَوَحّد واختلاء. لمّا كثر تلاميذه، ابتنى هيكلاً، وساعده في بناء الدير ابن أخته حنانيشوع والأنبا يوحنا الشيخ (ساوا)، وذلك في عهد هرمزد الرابع ابن كسرى انوشروان (٥٧٩-٥٩٠) والجاثليق ايشوعياب الأول (٥٨٢-٥٩٥). وبعد أن شاخ إيليا، جعل أمر تدبير الدير بيد حنانيشوع، وهو عمر الحيري، صاحب الردود على اشعيا التحلي ومسكين العربي أستاذ مدرسة (إسكول) في بلد، وصاحب كتاب في الاتحاد.

سُمّي الدير باسم دير سعيد أيضًا تيمنًا باسم سعيد بن عبد الملك بن مروان، وكان يومها يتقلد إمارة الموصل في أيام أبيه، ويتردّد إلى الدير ويجزل له العطاء.

أقام يشوعبرنون في الدير نحو ٣٠ سنة قبل انتخابه بطريركًا عام ٨٢٣. وكانت واقعة مؤنس الخادم وبني حمدان قرب دير مار إيليا. تَسلّمَ إدارتَه ماري بن الطوبى سنة ٩٨٥، ثم أصبح زائرًا (فريادوطا) فمطرانًا على فارس، وأخيرًا بطريركًا. وترأس الدير أبو سعيد الراهب، أحد مرشحي الجثلقة في انتخاب إيليا أسقف الطيرهان سنة ١٠٢٨.

ونجد عدة مخطوطات قديمة مستنسخة في هذا الدير.

كان الدير حسن البناء، واسع الفناء، كثير القلالي، كما يصفه ياقوت الحموي. ثم تداعى كالعديد من الأديرة. حظي بانتعاش في منتصف القرن ١٧ بهمة القس هرمز البنا، إذ جدد كنيسته سنة ١٦٥٧، ثم أصابه الخراب على يد نرجس خان أحد قواد الفرس سنة ١٧٣٢، بحيث لَقِيَهُ الرحّالة ريج خربًا عام ١٨٢١، وكذلك الاثاري لارايرد سنة ١٨٤٠. جددت كنيسته سنة ١٨٧٥ بشكلٍ أودَى بمعالمها القديمة ونقوشها الشهيرة، بحيث أن الكنيسة الحالية ليست سوى الهيكل الداخلي، أي المذبح القديم، وقسم من بيت الشهداء، بعد إزالة الأقسام الأخرى. وجرى تجديد آخر للكنيسة – الهيكل عام ١٩٢٤.

كان الأهالي يقصدون الدير للزيارة والتبرّك والاسترخاء، فهو في موقع جميل، تزيّنه أزهار الربيع وخضاره، وترطّبه نسائم الخريف، إلا انّ امتداد معسكر الغزلاني إليه، جعله بعيدًا عن الناس.

تقع خلف الدير عين ماء تُسمّى (السحل) لوجود حصى كثير فيها. أمّا (عين الدير) ذات المياه المعدنية فعلى بعد ١٠٠م شرقيه، تتغير ألوانها فتصبح في موسم الحصاد بيضاء كاللبن، وفي الخريف زرقاء غامقة، وفي الشتاء زرقاء كالسماء، وفي الربيع حمراء كالسمّاق. ولتراب الدير خاصية في دفع أذى العقارب. وشمالي الدير صخرة كان يستلقي فوقها مَن به ألم في ظهره.

٢ – دير مار ايشوعياب برقوسري

عاش ايشوعياب في عهد كسرى أنوشروان (٥٣١–٥٧٨) وابنه هرمزد. أصله من نينوى. تَتلمذَ على الربان أيوب، تلميذ ابراهيم النتفري، ثم مضى إلى القدس. ولما عاد صعد جبل الفاف (مقلوب) ثم انحدر إلى نينوى، وجاء الحصن العبوري (القلعة) حيث ابتنى هيكلاً، بعد أن اجتمع إليه الرهبان. دُفِنَ في كنيسة الدير بعد حياة مثالية. ويتراوح تاريخ تأسيس هذا الدير ما بين عام ٥٧٠ و٥٨١.

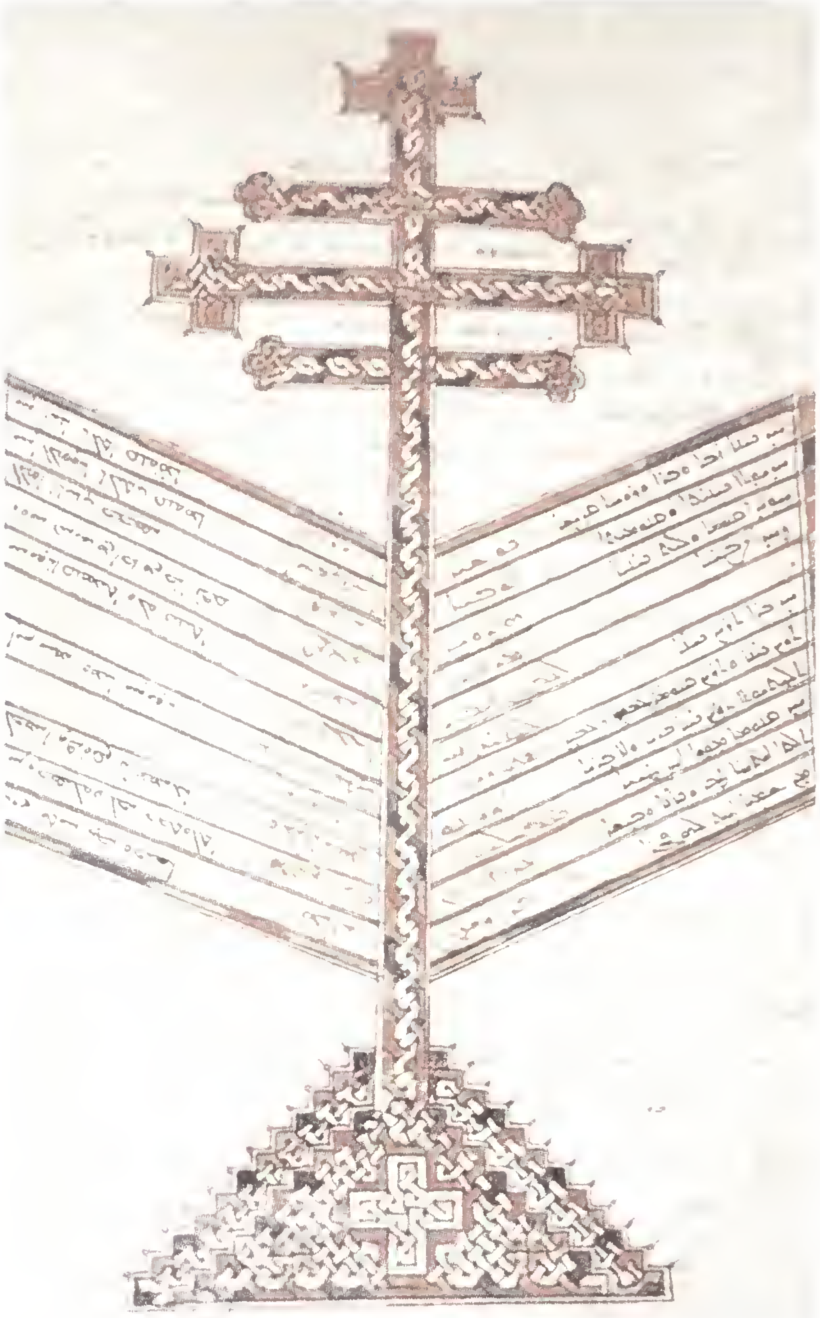

صليب من منمنمة لفنّاني ألقوش (ق ١٧-١٨)

صلبان من منمنمة لفنّاني ألقوش (ق ١٧-١٨)

منمنمة لفنّاني ألقوش (ق ١٧-١٨)

صلبان من منمنمة لفنّاني ألقوش (ق ١٧-١٨)

حين توسع الحصن وغزا مدينةَ الموصل، منذ الفتوحات العربية خاصة، أصبح الدير أسقفية من أسقفيات كنيسة المشرق، بعد أن كانت الأسقفية في دير مار يونان (حيث النبي يونس حاليًا) في نينوى. ثم أضحى مطرانية (مطرافوليطية) بعد استقلال مطرانية الموصل (باسم نينوى وآثور) عن أبرشية حدياب (اربيل) العريقة.

تجدد الهيكل الحالي لكنيسة الدير مرات عديدة. وشيدت إلى جوارها ثلاث كنائس هي: كنيسة مار كوركيس وكنيسة مار يوحنان وكنيسة مار قرياقوس. وتحوّلَ الدير إلى كنيسة كاتدرائية ثم خورنية تعرف باسم كنيسة مار أشعيا.

تدلّ كنيسة مار يوحنان على أنها من الطراز الاتابكي المتأخر (القرن ١٣-١٤). أما تجديد كنيسة مار كوركيس فيرجع إلى سنة ١٦٩٤. وهناك تجديد مؤرخ على الباب الملوكي في كنيسة مار اشعيا يرجع إلى عام ١٧٩٦. ثم أجري تجديد آخر للموقع سنة ١٨٤٨ على يد القس بطرس برتتر (مطران دياربكر في ما بعد). وجدد هيكل مار يوحنان سنة ١٨٥٥، وهيكل مار قرياقوس سنة ١٩٠٨. وهدم هيكل مار كوركيس سنة ١٩٦٤ لتوسيع كنيسة مار اشعيا. إلا ان الكنيسة تحتفظ بلوحة مرمرية مطعّمة تمثّل رسومًا هندسية، وأخرى تحمل نقوشًا وكتابة (أعطاك ربك فوق ما أملت)، والقطعتان تعودان إلى العصر الاتابكي. وفي الغرفة المجاورة للهيكل الحالي قطع مرمرية منقورة بزخارف وأشكال يرجع بعضها إلى العهدين العباسي والاتابكي. وقد كشفت تنقيبات أولية أجريت في الجناح الأيسر من هيكل مار ايشوعياب، في مؤخرة الكنيسة، عن قبر شخص مرموق، لعله أمير مغولي حكم المنطقة في القرن ١٤، وعن قطع من المرمر إحداها على شكل حوضَين وحيّتَين معقوفتَين.

تضمّ الكنيسة أقدم مخطوط قداس لنافور مار أدي ومار ماري ضمن كتاب جامع للصلوات الطقسية (حوذرا)، وهو من القرن ١٠-١١م. وفي الكنيسة أيضًا أيقونة بيزنطية تمثل مشاهد من حياة المسيح من القرن ١٨ جاء بها على الأغلب أحد الحاجّين إلى بيت المقدس.

اشتهرت كنيسة المشرق بمدارسها في القرون المتأخرة، فواحدة أدارها مدة ٣٠ عامًا القس خدر الموصلي ابن المقدسي هرمز (المتوفى سنة ١٧٥٥)؛ وأخرى أشرف عليها القس

بطرس برتر (مطران دياربكر لاحقًا)؛ ومدرستان، واحدة للبنين وأخرى للبنات، في القرن ١٩ أيضًا. وجرى ترميم البيت الذي بجوار الكنيسة وهيئ لاحتضان المعهد الكهنوتي الذي قَرَّرَ فتحَه البطريرك يوسف أودو في اجتماع عقده في كنيسة مكسنته في أيلول ١٨٦٠. وتحوَّلَ البيتُ الملحق بالكنيسة إلى مركز لإعداد كهنة في عهد البطريرك إيليا عبو اليونان (١٨٧٨–١٨٩٤). وقامت في الستينات مدرسة رسمية في الدار المجاورة المشتراة لهذا الغرض، وضُمَّ قسمٌ من ملحقات الكنيسة إليها، وأصبحت منذ سنوات دارا لاجتماعات المعاقين.

٣ – الدير الأعلى وكنيسة الطاهرة

تقع كنيسة الطاهرة مريم العذراء، المعروفة باسم (الطهرة) في لحف قرية باشطابية شمال غربي الموصل، على الضفة اليمنى من نهر دجلة. وقد أثيرت في السنوات ١٩٣٠–١٩٤١ مسألة عائديّة أطلال دير مار كبرييل (جبرائيل) وحرمه إلى طائفة الكلدان أم إلى مديرية الآثار باعتبارها بقايا سور الموصل، أسفرت عن عائديّتها للكنيسة، مما عزز التقليد والتاريخ القائلين بأن كنيسة الطاهرة هي حقًا كنيسة الدير الأعلى أو دير مار كبرييل ومار ابراهام (جبرائيل وابراهيم). وقد كانت آثار الدير بادية للعيان حتى سنوات خلت، في أسفل قلعة باشطابية، واندرست اثر الصيانة التي أجريت للقلعة والسور والمدرسة البدرية قبل سنوات، من قِبَل جامعة الموصل.

لا نعرف زمن تأسيس الدير بدقة، إنما المعروف أنّه تمّ قبل القرن السابع. أسسه الراهب جبرائيل (كوريال، كبرييل). وبانتقال مار ابراهيم (ابراهام) بردشنداد (من القرن ٧)، أستاذ طيثماوس البطريرك، إلى مدرسته، عُرف الدير باسم الاثنين، أي دير مار كبرييل ومار ابراهام. بلغ الدير أوجه في القرنين ٩ و١٠، حتى غدا مركز ثقل في كنيسة المشرق، فسُمّي بالأعلى، وقال فيه الشبشتي: إنه دير كبير، عامر، ليس للنصارى دير مثله لما فيه من أناجيلهم ومتعبداتهم. والسبب في ذلك أنه أصبح معقلاً لتنظيم طقوس هذه الكنيسة، حتى ان معظم المخطوطات الطقسية حملت هذه الديباجة «وفق طقس الدير الأعلى» (أخ طخسا دديرا عليتا). وللبطريرك ايشوعياب الحديابي ضلع في الأمر. وقد أنعم عليه البطريرك طيمثاوس الكبير بامتياز الحق البطريركي. واشتهر بمدرسته «أم

الفضائل»، حبيب الربّان، وعمانوئيل برشهاري صاحب الهكساميرون، والربّان سركيس، والربّان يوسف بوسنايا، والربّان عبديشوع (الذي أصبح بطريركًا سنة ٩٦٣) الذي تعلم المنطق على ابن نصيحا تلميذ ابن كيفا في مدرسة الدير، ومؤلف الأسئلة والأجوبة (طبعة فان يونيك) ولعله ايشوعياب الرابع (١٠٢٠–١٠٢٥). وقد دوّنَ لنا عبد الله بن الطيب (أواسط القرن ١١) قوانين مدرسته في مجموعته القانونية (فقه النصرانية). كما حل فيه الخليفة المأمون سنة ٨٣٠ لطيب موقعه، وحضر حفلة عيد الشعانين (اوشعني). ووصفه الكثيرون ونظموا فيه القصائد، أمثال ياقوت الحوت، والشابشتي في الديارات، وأبو عثمان الخالدي، وأبو الحسين بن أبي البغل، ومحمد بن عبد الرحمن الثرواني وحسن بن عبد الباقي بن ابي بكر.

وكنيسة الطهرة من الكنائس النادرة التي احتفظت نوعًا ما بالطراز المعماري القديم للكنيسة المشرقية، ببابَيها للرجال والنساء والباب الخارجي المؤدي إلى بيت العماد، وقد كُشِفَ النقاب عن جرن عماد قديم خلف مغارة سيدة لورد التي أقيمت في أواخر الخمسينات. وفي الجهة الأخرى للمذبح المعاكسة لبيت العماد يقوم بيت القديسين أو الشهداء (بيث سهدي)، وبينه وبين المذبح وببروز الى الوراء يقوم بيت الخدمة (بيث دياقون)، وفي واجهتي المذبح عارضتان مرمريتان منقوشتان بجمالية رائعة، كالكنيسة كلها بأبوابها وحناياها وزواياها، وفي مؤخرة الكنيسة تقوم المنصة القديمة (البيم – بيما)، ولدى تكسرها أثناء صيانة عام ١٩٦٩ وضعت قطعها المرمرية في أسفل العارضة الجديدة. والكنيسة مشيَّدة بالمرمر الموصلي الأزرق المنقوش والمكتوب، وتكثر المقندلات والمقرنصات والأفاريز المنحوتة ببراعة فائقة، كما في كنائس وجوامع موصلية قديمة من العهدين الاتابكي – الايلخاني والجليلي. مستوى الكنيسة منخفض بأكثر من مترين عن سطح الشارع، مما يدلّ على قدمها، وقد كشف عن حنية بيت صلاة (بيث صلوثا) قديمة، وضع فوقها مرمز مزخرف ومكتوب يؤرخ تجديد الكنيسة عام ١٧٤٤، بعد هجمة نادر شاه (طهماسب) على الموصل. وتنسب إلى هذه الكنيسة أعجوبة صَدَّ الهجمة الشرسة بظهورها فوق أسوار المدينة بشكل يدل على الحماية. والبناء الحالي من طراز جليلي (أواسط القرن ١٨). والكنيسة مزار مريمي يقصده كثيرون من مسيحيي كل الكنائس ومن المسلمين للتبرك والشفاعة. وقد جرى ترميم للكنيسة عام ١٨٧٢، وآخر

سنة ١٩٣٢، وآخر سنتي ١٩٦٨–١٩٦٩، وجرت تحويرات عدة وأزيلت الغرف القديمة والمدخل المقبَّب بمناسبة تشييد دار المطرانية في الفسحة التي في مدخل الكنيسة القديم في ما بين ١٩٩٣ و١٩٩٥.

٤ – دير مار ميخائيل

أسسه مار ميخائيل الراهب في القرن الرابع عند الضفة الغربية لنهر دجلة شمال غربي الموصل، على مسافة ٦ كم من مركزها في (جاوي الكنيسة)، وفي الغرب دير راهبات وادي حليله، ودير ملكي ساوا في الطريق إليه. وجاء في قصة مار ميخائيل انه من سوسنة (في منطقة آمد أي دياربكر). تَتلمذَ لمار اوجين، وانزوى في صومعة في قردو، ثم ابتنى ديره. وسرعان ما أربى عدد رهبانه على السبعمائة، وَزّعهم على أعمال مختلفة. تحاول قصصه أن تربط بين المؤسِّس والمجدِّد يوحنا بن كلدون (حلدون) تلميذ الربّان يوسف بوسنايا وكاتب حياته. وبين الاثنين رئيس للدير هو ايشوعياب ابن أخت البطريرك صليبا زخا (٧١٤ – ٧٢٨)، على يده تَرَهّبَ روزبيهان النصيبي، ومضى فخلف ابراهيم في رئاسة دير مار اوجين في جبل ايزلا، الى حين اختير مطرانًا على نصيبين. شُمِل الدير بالانعام البطريركي من قِبَل البطريرك ايشوعياب الأول سنة ٥٨٥، فتمتّع بشخصية معنوية مستقلة عائدة للبطريرك مباشرة. وإذ أريد حفر بئر في بعض قلاليه ظهر صندوق حجري يحتوي على ميت لم يتغير وعند رأسه صحيفة نحاسية فيها كتابة قديمة. ويلجأ إلى الدير مفريان من تكريت، هو غريغوريوس يعقوب حفيد البطريرك ميخائيل الكبير، سنة ١١٨٩.

تُنسَب إلى مؤسس الدير كتابة سيرة مار أوجين. وجاء في الفهرست لابن النديم أن أحد رهبان هذا الدير، اصطفن الراهب، من القرن ١٠، عمل في الكيمياء، فلما مات ظهرت كتبه في هذه الصناعة المحظورة. ودرس إيليا برشينايا مطران نصيبين في هذا الدير على يوحنا الأعرج خلال السنوات ٩٩٦ – ١٠٠١. ومن تلاميذ الدير سبريشوع أسقف بابغش (مطلع القرن ١٢). وسبريشوع بن بولس هو أحد أساتذة مدرسة الدير سنة ١١٨٨ – ١١٨٩. واشتهر في الدير، في الفترة عينها، راهب ادم للكنيسة (قنكايا) هو أبو العز الحظيري، عـرف بالموقَّر (يقيرا) له صلوات وتراتيل، ترك مخطوطًا على الرق هو إنجيل

طقسي (اونكاليون دمفرشي) كتبه في دير مار ميخائيل لاستعمال كنيسة مكسنته بالموصل. وهناك مخطوطات أخرى مسطرة في هذا الدير. ومن رهبانه يوحنا الموصلي الشاعر المعروف، له ديوان شعر وكتاب حسن السير (شفير دوباري)، طبعه المطران إيليا ملوس في روما سنة ١٨٦٨.

وضريح مار ميخائيل في أرض الكنيسة، إلى اليمين، على شكل قبر مرمري، كشف فيه عن هيكل عظمي طوله ١٧٥ سم، كان ملفوفًا بقماش نفيس، وأمامه ضريح يوحنا بنكلدون بعد نقل رفاته من الجزيرة إلى الدير.

مَرَّ الدير بثلاثة أدوار تاريخية. الأول، عهد التأسيس. والثاني، تجديده في القرن العاشر. والثالث، في النصف الأول من القرن الثالث عشر في عهد بدر الدين لؤلؤ. والحجران اللذان عليهما نقوش أتابكية تمثل الحيوان الخرافي (اليص) وهو يعض ظهر سنور ذي رأس مربع الشكل، هما من العهد الاتابكي.

مَالَ الدير الى التدهور والاندثار منذ القرن ١٤. لكنه كان ما يزال عامرًا، حسب تقارير هابيل أسقف صيدا سنة ١٥٨٣-١٥٨٤ والتقريرين المرفوعين إلى روما أيضًا سنة ١٦٠٧ و١٦١٠. ولعله تَعَرّضَ للخراب إبّان حملات نادرشاه سنة ١٧٤٣. وهناك كتابة تشير إلى تجديد تم سنة ١٨٦٧. واستخدمه معهد مار يوحنا الحبيب مصيفًا لتلاميذه حتى سنة ١٩٠٦، فأضحى، كما كان، منتجعًا لأهالي الموصل، يقضون فيه أسابيع بل شهورًا هانئة للاستجمام، وذلك حتى الستينات. أجريت لأجزاء منه صيانة وتجديدات في السنوات ١٩٥٦، ١٩٨٥ و١٩٨٧.

٥ - كنيسة مار كوركيس

يقع على بعد ٩ كم شمالي الموصل، فوق رابية جميلة، بل هو اليوم في أعلى حي من أحياء الموصل الحديثة، يعرف باسم الحي العربي، شمال غربي نينوى القديمة.

يريد التقليد أن يكون الدير على اسم الشهيد مار كوركيس أو جرجيس (ضابط روماني دافع عن المسيحية ضد مراسيم الاضطهادات الدموية الملوكية، فنال الاستشهاد

عام ٣٠٣). ومعروفة هي القصة التي أضفت عليها المعطيات الأسطورية نكهة عذبة، فهو الفارس البطل منقذ ابنة الملك من التنين. ولعل الدير هذا على اسم كوركيس آخر، كما هي الحال بشأن دير مار كوركيس في كرمليس، فالأخير راهب وتلميذ للربان برعيتا (أواخر القرن ٦).

كان الدير في الأصل كنيسة قرية بعويرة، وبانتقال القرية تحولت الكنيسة إلى دير. وكان الجاثليق عبديشوع (٩٦٣–٩٨٦) ابن السلطان شاه بن غريب شاه ابن الرئيس زين الدولة، من قرية بعويرة، طلب إلى القس شمعون بن شموني من الموصل باستنساخ إنجيل طقسي محفوظ في بطريركية الكلدان (رقم ١٢٩ حسب فهرسة بيداويد). ونقع على ذكر مار كوركيس في بعويره (بيت عويري) سنة ١٧١٠ في كتاب علة المزامير (هو ضمن مخطوطات الرهبانية الكلدانية رقم ٦٤، فهرسة حداد وجاك)، وسنة ١٧٤٤ (مخطوط محفوظ في باريس، رقم ٣١٠ نو). ويبدو أن الرهبان لم يسكنوا المكان قبل أواسط القرن ١٩. وشاء البطريرك نيقولاوس زيا (زيعا، اشعيا) استخدامه معهدًا كهنوتيًّا فعمّره ووسّعه سنة ١٨٤٣، لكن المشروع لم يفلح. لذا طلب البطريرك يوسف اودو من الرهبنة الكلدانية إرسال كاهن وأخوة إلى الدير سنة ١٨٦٣، فوقع الاختيار على الأب قرياقوس كوكا وعلى ثمانية أخوة.

جُدِّدَت كنيسةُ الدير بهمّة أهالي تلكيف سنة ١٧٠٤، وجرى تجديد آخر عام ١٨٤٣ أودى بطراز الكنيسة القديم، ثم وُسِّعَ الدير عام ١٩٠٨، وبُني المصلّى سنة ١٩٢٤، وأضيفت ٥ غرف عام ١٩٢٩ ثم ٩ غرف أخرى سنة ١٩٣٦، وجُدِّد المدخل عام ١٩٤٦. ودُشِّنت الكنيسة الكبيرة بعد ردمها وتشييدها فوق الرابية عام ١٩٧٧ من قِبَل البطريرك بولس الثاني شيخو بهمة الرهبان ومساعدات المؤمنين، ثم أجريت تجديدات وإضافات لاحقة، كالسور، وإكساء الدير بحجر الحلان ونصب الشهيد مار كوركيس والمغارة والمدخل والمدرج، وتجري باستمرار تجديداتٌ وتطويرات.

٦ – دير مار اوراها

أسسه راهب من دير الغاب (بيث عابي) اسمه ابراهيم (اوراها)، عاش في عهد

البطريرك ايشوعياب الثاني (٦٢٨-٦٤٦)، ترد قصته متشابكة مع قصة الربّان هرمزد، وله علاقة مع الربّان برعيتا. يعتبر مؤسسه مبشّر أهالي باطنايا، إذ إنّ الدير قريب منها. يأتي ذكره في تقريري سنة ١٦٠٧ و١٦١٠ المرفوعين إلى روما. وقد قدمت جماعة كنيسة مار شمعون الصفا في الموصل عام ١٦٥٢ كتاب صلوات طقسية (حوذرا) إلى هذا الدير. وهناك أكثر من كتاب طقسي باسم الدير. رئيسه عام ١٧١٩ هو الكاهن عبدو من الكاثوليك (الكلدان) الأوائل. نُهِبَ الدير سنة ١٧٤٣ ابّان حملات نادرشاه. جدّده البطريرك إيليا عبو اليونان (١٨٧٩-١٨٩٤)، ثم البطريرك يوسف عمانوئيل الثاني الذي استخدمه مصيفًا ثم أهمل فخرب، حتى تم تجديده مؤخرًا، عام ١٩٩٧.

٧ - دير الربّان هرمزد

يقع على بعد كيلومترين ونصف إلى الشمال الشرقي من ألقوش، في قلب جبل، على علو ٥٠٠ م، وهو أشبه بنسر باسط جناحيه وقلعة منيفة، يشرف على سهل فسيح ينبسط فيه دير السيدة (مريم العذراء حافظة الزروع).

مؤسسُه الربّان هرمزد من بلاد فارس، وراهب دير الربّان برعيتا، ثم دير الراس (ريشا، في جبل مقلوب)، وناسك مع يوزاداق في جبل نوهدرا. كتب قصته شمعون تلميذ يوزاداق. توافد إلى الربّان هرمزد المتوحّد رهبانٌ وعلمانيون، لاسيما من دير بسقين (شمال شرقي ألقوش) ومدرسة مار ايثالاها (دهوك)، فابتنى لهم الربّان هرمزد ديرًا وكنيسة، بهمة أهالي القرى المجاورة: كوركيس وكرويال من ألقوش، والثري خوداوي شوبحي من باقوفا، وذلك ما بين سنتي ٦٢٨ و٦٤٧.

يأتي ذكره في القرن ١٠، إذ دخله يوسف بوسنايا هو وثلاثة من أخوته (جبرائيل وشوحالمارن وبريخيشوع)، ولحقت بهم أمّهم عمرونا بعد ترمّلها. ونعرف من سيرة يوسف بوسنايا، أن من كان يرغب في الانتماء إلى الدير، كان عليه أن يقضي ٥٠ يومًا في الصوم والصلاة والعمل اليدوي والطاعة، حتى يجري تكريسه أمام المذبح أثناء القداس، فيرتدي ثوب الابتداء، ويقضي سنتين أو ثلاثًا، يجاهر بعدها بالنذور، ويتوشح بالإسكيم، وينضمّ إلى حياة الأخوة المشتركة، أو ينزوي في صومعة لا يخرج

منها إلا لقداديس الآحاد والأعياد الكبيرة أو لحاجة قصوى. وقد كان الربّان مارن زخا معلم يوسف بوسنايا. وكثيرًا ما كان رهبان الدير يقصدون الربّان افنيمارن الذي كان يسكن صومعة في جبل جدرون القريب.

نلقى خطاطًا في هذا الدير هو دانيال الراهب والقس ينسخ إنجيلاً طقسيًا (اونكاليون دمفرشي) سنة ١٢٠٨. ويحضر عدة رهبان من الدير لتشييع الجاثليق سبريشوع عام ١٢٥٦. ويتشتت الرهبان اثر هجمات تيمورلنك، أواخر القرن ١٤، ثم مرة أخرى إبان هجوم بارياق المغولي سنة ١٥٠٨. ومنذ أواخر القرن ١٥ وحتى مطلع القرن ١٩ دُفن في الدير تسعة بطاركة من آل أبونا (بيث آوون)، أولهم شمعون الباصيدي (+ ١٤٩٧)، وآخرهم إيليا الثاني عشر (+ ١٨٠٤).

في أواخر العام ١٥٥٢ وقع اختيار أساقفة وكهنة ولفيف مؤمنين من كنيسة المشرق على رئيس دير الربّان هرمزد، الربّان يوحنّا سولاقا بلو، ليكون أبًا ورئيسًا أعلى لهم، فأرسلوه إلى روما، حيث رسم بطريركًا عام ١٥٥٣، وأصبح أول بطريرك كاثوليكي (كلداني). ويذكر أكثر من تقرير بأن بطاركة كنيسة المشرق سكنوا ردحًا من الزمن في دير الربّان هرمزد.

ولما جدّد الأب جبرائيل دنبو الرهبنة، أصرّ على أن يكون دير الربّان هرمزد مقرًا للرهبنة الأنطونية الهرمزدية الكلدانية، وتمكّنَ من تسلمه بعد عناء كثير عام ١٨٠٨، بسبب معارضة المطران يوحنّا هرمز. وسقط الانبا دنبو ورفاقه شهداء عام ١٨٣٢ قرب الدير. وتَعرّضَ الدير مرة أخرى للنهب والرهبان للحبس عام ١٨٤٢، وكان البطريرك شمعون (إيليا الثامن) قد اضطرّ منذ العام ١٦٥٣ إلى اللجوء إلى تلكيف بسبب غزو المنطقة، وكذلك البطريرك إيليا العاشر سنة ١٧١٤، ولم يبقَ فيه سوى ٥ رهبان عام ١٧١٨، ثم أصبح عددهم ٦٠ سنة ١٧٢٢. ونراهم يلجأون إلى مار ميخا في ألقوش اثر حملة يونس آغا سنة ١٧٢٧. ويتعرض الدير للنهب والدمار سنة ١٧٤٣. ولدى زيارة بادجر للدير، عام ١٨٥٠، يلقى فيه ٣٩ راهبًا، اثر التجديد الذي قام به الانبا دنبو.

ما يزال الدير محتفظًا بآثار مهمة، رغم التخريبات التي لحقت به في السنوات الأخيرة بسبب أوضاع شمال العراق. أهمها: ضريح المؤسس، يدخل إليه الزائر من هيكل الثالوث

الأقدس، فيلقى مذبحًا حجريًا منقوشًا وملونًا يعلوه قوس حجري مكتوب باللغة الطقسية (الكلدانية) يشير إلى تاريخ الدير ومؤسسه. ونلقى في المجاز قبور بطاركة، تسعة ألواح رخامية كبيرة تؤرخ تسعة بطاركة وصبيًا منذورًا للبطريركية، جميعهم من آل أبونا (بيث آوون) وما بين سنتي ١٤٩٧ و١٨٠٤، تحمل صورة إيمان كل منهم. ونجد هيكل الثالوث الكبير بمساحة ٢٣ × ٦ م، قبته بيضوية ذات أشعة تتوسطها فتحة بمثابة المركز. والأبواب المرمرية محفورة ومزخرفة، وعلى المرمر كتابات تاريخية وأدعية وصلوات. أما الايوان الكبير فمزيَّن بنسر وأسد وثعبان وكتابة اسطرنجيلية ممتدة كشريط كامل. وهناك غرفة مبنية سنة ١٨٦٧. ويدخل الزائر منحنيًا إلى صومعة الربّان هرمزد عبر ممرّ ضيّق متعرج ومظلم (بحشوكي)، يتوسط الصومعة صليب مربع الصلبان. وفي هيكل الربان المؤسس، إلى يمين الدهليز حيث قبور البطاركة، ١٤ صليبًا مختلفة الأشكال، وقبة من القباب المقرنصة. ويتبرك الزائر من فتحة في المذبح بالحنان (تراب القديسين). ولعل بيت القديسين وبيت الشهداء يرجعان إلى تجديد تم عام ١٦٩٤. وأعجب ما في الموضع غرفة الطعام، ذات قياس ١٠ × ٥ م، منقورة في الصخر، متفاوتة الارتفاع، عموداها قطعتا جبل، يليها المطبخ والمخزن، وجميعها أشبه بكهوف متشعبة الدروب متباينة الأحجام، مقاعدها حجرية، وجرنها المائي يحمل نقش صليب وزخارف دائرية ونباتية. والقلالي أو صوامع الرهبان متناثرة في الجبل حول أطراف الدير، يبلغ عددها نحو ٤٠٠، يتم الصعود إلى بعضها بدرج، أشهرها قلاية الأربعين درجًا. وأمام كل قلاية بستان صغير للحبيس المنقطع عن العالم، وفي صدر كل منها مكان مرتفع، من الصخر عادة، هو السرير. وفي الحائط كوّة منقورة ومزخرفة لحفظ الكتاب المقدس والكتب الروحية، وأخرى لحفظ الثياب والأمتعة، وأحيانًا مائدة صخرية للكتابة والطعام. وعديدة هي الغرف المنقورة تحت الأرض والمتداخلة أحيانًا كالتي تحت هيكل الثالوث الأقدس. وكثيرًا ما كانت تكسى الغرف التي تحت مستوى الأرض بالملاط والقار لمنع الرطوبة وحفظ الغلة والمؤونة في البعض منها. وتنتشر الصهاريج في الدير وأطرافه، فالجبل أجرد. وبهذه الوسيلة يتم تأمين الماء لاسيما صيفًا، أشهرها الصهريج السفلي، بقياس ١٠ × ١٠ م، وقد مُد فيه أنبوب لإيصال الماء، يغذى بمياه الأمطار بفضل ساقية تمتد حتى الجبل. أما العالي فهو شمالي الأول وفوقه، يغذي الدير بشبكة أنابيب. الطريق إلى الدير صخري، تم تبليط الجزء

السفلي منه في الثمانينات. وعلى مقربة من بنايات الدير مقبرة الغرباء، وفي بدايات الطريق الجبلي كهف أحمر (كهفا سموقا)، بينما في أعلى الجبل كرم زالت معالمه في السنوات الأخيرة.

٨ – دير السيدة حافظة الزروع

لقد كان الدير العام للرهبان الكلدان منذ تأسيسه وحتى عام ١٩٩٣. شيد بعد أن جدد الانبا دنبو الرهبانية المشرقية، وخلفه الانبا حنا جرا، ثم الانبا ايليشاع (اليشع) الياس. لقد تمّ تشييد دير السيدة في عهده، في العامين ١٨٥٧–١٨٥٨، واكتملت كنيسته عام ١٨٦١، وفيها ضريح البطريرك يوسف اودو، والانبا شموئيل جميل (+١٩١٧) وبعض المطارين الرهبان. وقد تخرَّجَ من الدير، منذ تجديد الرهبنة عام ١٨٠٨ وحتى أيامنا أكثر من ١٤٠٠ راهب و١٦٠ كاهنًا و٢٠ مطرانًا وبطريركًا واحدًا. ويضم الدير متحفًا كنسيًا وشعبيًا مفتوحًا للزيارة في موقع قديم. أما مكتبته الشهيرة فقد نقلت إلى دير الرهبان الكلدان في بغداد، وضع فهرسة أولى لها المطران أدي شير، ثم الأب الدومنيكي فوستي، ثم الأبوان حداد وجاك. ورغم انتقال الرئاسة العامة إلى بغداد، ما يزال الدير محتفظًا بأهميته التاريخية، يقصده الألوف للتبرك والصلاة والراحة.

٩ – دير مار متّى (للسريان الأرثوذكس)

لم يحصل الخلاف بين مسيحيّي المشرق قبل أواخر القرن الخامس الميلادي، ثم تفاقم منذ سنة ٦٢٧ فما بعدها. لذا فإن كل ما يسبق هذين التاريخين، ولاسيما الأول، هو مشترك يشمل جميع مسيحيي ديار المشرق؛ من ذلك البدايات، الشهداء، الرهبان الأولون وأديرتهم، والمراكز الثقافية القديمة. لذا يتحتم علينا عدم إهمال ما يرجع بأصوله إلى الأزمنة المشتركة لما في ذلك من إرث ثري يعتز به الجميع.

وُلِد مار متّى في بجرشاط، شمالي آمد (دياربكر) في الربع الأول من القرن الرابع. ترهَّبَ في دير مار سركيس وباكوس في جوار قريته، ثم التحق بدير زوقنين الشهير. وأخيرًا طاف في البلاد وأقام في كوخ دير صغير، ولجأ أخيرًا إلى جبل مقلوب هربًا من

اضطهاد يوليانس الجاحد (٣٦١-٣٦٣)، وسكن صومعة ما تزال قائمة. ولما كثر الرهبان حوله، ابتنى لهم ديرًا، سلم منه حاليًا الهيكل وبيت القديسين وقلاية القديس، وفيها مذبح منقور في الصخر، كما نلقى كهوفًا وصوامع وصهاريج، أمّا الطريق الوعر المؤدي إلى الدير فيُعرف باسم (طبكي).

أصاب الدير حريق عام ٤٨٠. واستعاد ازدهاره منذ العام ٦٢٨، إذ أصبح كرسيًا أسقفيًا، بل مقرًا لإقامة بعض مفارنة المشرق السريان، أشهرهم العلامة ابن العبري (+ ١٢٨٦) وباسيليوس يلدا (+ ١٦٨٥). ومن رهبانه المفارنة ماروثا التكريتي (+ ٦٤٩)، ودنحا الأول، ويوحنا الأول، والثاني، وغريغوريوس متى الأول، ومتى الثاني، ولعازر الرابع، وعدد من المطارين، آخرهم ديونيسيوس بهنام سمرجي (+ ١٩١١)، يوليوس بهنام مطران الجزيرة (+ ١٩٢٧)، وغريغوريوس بولس بهنام مطران الموصل ثم بغداد (+١٩٦٩).

بعد القديس مار متى، ترأس الدير مار زكّا، ثم مار ابراهام (ابراهيم)، وأدى، وحورن، ثم آخرون. وأسماء بعض مطارنته: برشهدي (+ ٤٨٠)، كرماي، طوبانا، يشوعزخا، سهدا، شمعون وغيرهم. هجر الدير عام ١١٧١ بسبب الظروف، ثم استعاد نشاطه، لأن ياقوت الحموي إذ زاره في مطلع القرن ١٣ لقي فيه نحو ١٠٠ راهب، ثم لحقه الخراب في أواخر القرن ١٤، لكننا نراه آهلاً ببعض الرهبان القلائل سنة ١٨٥٩.

تجدَّدَ عام ١٦٠٩، واتخذه المفريان باسيليوس مقرًا له عام ١٦٦٣. وشيد المطران ايوانيس (يوحنا) متّى المرتسم عام ١٧٠١، أبنيةً تؤرخها لوحةٌ رخامية مثبتة على ضريح مار متى، وشيد له سورًا. وجدّدَ الكنيسةَ وبيت القديسين المفريان جرجس الثالث سنة ١٧٦٢، ثم المطران موسى اللشي بعد أن لحق به الدمار، وذلك بين عامي ١٧٧٢ و١٧٨٥، لكنه تهدَّمَ أيضًا عام ١٨٣٣. ثمّ بعَثَ فيه الحياة المطران متى بني الطويل عام ١٨٤٦. وجرت للدير صيانة أثارية جيدة، وشيّدت أجنحة جديدة بين سنتي ١٩٧٠ و١٩٨٠ بمساعدة الدولة. ويحتضن الدير مخطوطات نفيسة: كتابية، طقسية، لغوية، روحية، فلسفية، ما تزال بحاجة إلى تصنيف علمي مستوفى.

١٠ – دير مار بهنام (للسريان الكاثوليك)

أحكمت قصة مار بهنام الوثاق بينه وبين مار متى. وقصة الشهيدين بهنام وأخته ساره من أروع ما كتب الأدباء في باب السير والأعمال، نشرها بالسريانية الأب بولس بيجان، ونقلها إلى العربية بشيء من التصرف المطران أدي شير، ثم دبّجها الخوري افرام عبدال ونشرها عام ١٩٤٦.

أما القصّة فبسيطة ومفادها: في أيام يوليانس الامبراطور الجاحد (٣٦١–٣٦٣) هرب المتوحدون والرهبان المسيحيون من أديرتهم إلى مملكة الفرس، ومنهم مار متى، جاء من آمد (دياربكر) إلى جبل الفاف (مقلوب). وفي هذا الزمان استشهد مار بهنام وأخته سارة، كما جاء في تاريخ الرهاوي المجهول (القرن ١٢–١٣). أمّا القول أن بهنام ابن ملك آشوري اسمه سنحاريب وعاصمته نمرود فيصعب تصديقه، لأننا في عهد ساساني لا يسمح بقيام مملكة آشورية، ويشير علم الآثار إلى خراب مدينة نمرود في أواسط القرن الرابع؛ ومع ذلك فالقصة رائعة، تندرج ضمن الفنون الأدبية في كتابة سير الشهداء والقديسين. استوحى كاتبها أدبيات معروفة جاعلاً من الشهيد فارسًا بطلاً وابن ملك، يستشهد هو وأخته الشابة بعد شفائها من البرص على يد الشيخ متى الناسك، وبمعيّة أربعين من الرفاق.

لا شك في حقيقة المكان الذي آوى الشهيد وأضحى مزارًا. وهو يقع في لحف تل أثري دلّت الدراسات التي أجريت بمناسبة اليوبيل المئوي السادس عشر على مروره بعدّة أدوار تاريخية، منها الغارقة جدًا في القدم، ومنها المتأخرة. ومن المحتمل العثور على المصلّى القديم هناك، أي في لحف التل، في عهد يسبق قيام الكنيسة الحالية المشيَّدة عام ١١٦٤، بعيدًا من التل باتجاه الجنوب الغربي. وتعتبر هذه الكنيسة، بأبوابها المرمرية المقرنصة وكتاباتها الاسطرنجيلية ومقندلاتها وتعشيقاتها وقبابها لؤلؤةً من لآلئ الفن الأتابكي الموصلي وجوهرة الفن المسيحي والسرياني في العراق. جرى توسيعها في القرن ١٤. ويزدان الجبّ كذلك بصلبان وشخوص وزخارف وكتابات ومنمنمات، كلها منقورة في مرمر محلي يميل إلى الأزرق الداكن. ويحتضن الدير مخطوطات نفيسة جدًا قام بفهرستها الأب بهنام سوني. ولا بد من القول ان دير مار بهنام احتل في السنوات

الأخيرة مكانة مرموقة جدًا بين سائر الأديرة والمزارات في البلد، لاسيما بعد اليوبيل الذي احتفل به مدة سنة كاملة (٧ كانون الأول ١٩٨٤ – ١٠ كانون الأول ١٩٨٥)، يقصده الجميع للتبرك والاختلاء والاستجمام.

وقد كان ازدهار الدير قديمًا بعد تضعضع شمل السريان في تكريت، وتشتتهم في البلاد، منذ أواخر القرن ١٠. لجأ إليه بعض المفارنة، كالملفان ديوسقوروس الثاني (سنة ١٤١٥). وأصبح كرسيًا أسقفيًا في أواسط القرن ١٧. ومن أساقفته: يوحنا عبد المسيح الباخديدي (من قره قوش)، الربان باكوس الباخديدي، ايوانيس يوحنا، ايوانيس بهنان ابن القس عيسى الموصلي (+ ١٧٧٧). هؤلاء حملوا لقب مطارنة دير مار بهنام وبيث خديدا (قره قوش). وفي أواخر سنة ١٧٩٨ وافى الموصل البطريرك متى ثعلب المارديني وحصل على كنائس وأديرة الموصل بواسطة فرمان رسمي، ونصّب الربّان الياس بن هندي، أحد رهبان دير مار متى، رئيسًا على دير مار بهنام. نُهِبَ الدير عام ١٨١٩ إبّان المجاعة العظمى في البلاد. ونهض بتجديد الدير البطريرك افرام رحماني سنة ١٩٠٠ – ١٩٠١، فانضوى إليه ٧ شبان على رأسهم القس بهنام قليان (الذي أصبح مطرانًا سنة ١٩٢٢)، ثم القس يوحنا عزو. وانضم بعض تلاميذ معهد مار يوحنا الحبيب في الموصل إلى رهبان الدير إبّان الحرب العالمية الأولى، ثم رعاه المطران جرجس دلال، ولاسيما الخوري افرام عبدال في ما بين سنتي ١٩٣٦ و١٩٦٦ الذي جعل منه مركزًا مرموقًا، وواصل أعمال التجديد والعمران والتطوير رئيسه الحالي بمساعدة الدولة والمتبرعين.

١١ – دير الغابات (بيث عابي)

يقع جنوبي قريةٍ خَرِبة، على بعد ٤٥ دقيقة سيرًا على الأقدام شمال غربي بلدة عقرة، غير بعيد عن قلاية الربان ايشوعدد فوق مرتفع، وقرب تل الكهنة الثلاثة (سي كركاني). أسسه سنة ٥٩٥ الربان يعقوب اللاشومي (مقاطعة باجرمي)، تلميذ داديشوع خَلَف ابراهيم الكسكري، بعد مغادرته دير جبل ايزلا ولجوئه أولاً إلى جبال قردو ثم إلى المرج. بلغ عددُ الرهبان ٨٠ في عهد المؤسس، و٣٠٠ في عهد البطريرك ايشوعياب الحديابي، الذي أنشأ فيه مدرسةً تخرّجَ منها مسؤولون كنسيون ومؤلفون كثيرون. نجد فيه عدة مخطوطات نُسِخَت للدير أو فيه ترجع إلى القرن ١٣. ويرد ذكره في القرن ١٧.

أُنشئت فيه على التوالي ثلاث كنائس: الأولى بين واديين، من القرن ٦، جَرَفتها مياهُ السهول؛ والثانية شيدها البطريرك ايشوعياب الثالث في منتصف القرن ٧؛ والثالثة بناها المطران ايشوعياب بعد قرن. لم يبقَ من الدير في أيامنا سوى أنقاض، منها بقايا بيت قديسين يضم ٥ مطارين و١٨ أسقفًا، ومجموعة قبور تعود ليعقوب المؤسس والآباء الأوائل ورؤساء الدير.

١٢ – دير مار عوديشو (عبديشوع)

يقع في قرية ديري، على مسافة ٥ كم شرقي العمادية، في وادٍ صخري عميق يضمّ مياهًا عذبة وبساتين خصبة، على السفح الجنوبي لجبال متينا، يزوره الكثيرون. ولعل المؤسِّس متوحّدٌ اجتمع إليه رهبانٌ فكان الدير. ورد ذكره في مخطوط محفوظ في الفاتيكان، تحت رقم ١٥٣٥ يو/١٢٢٤ م. يذكره ياقوت الحموي في القرن ١٣، ويسمي القرية كوم، ولعله يقصد قرية كوماني القريبة في أسفل وادي الدير. وقد كانت في القرية حتى أوائل الستينات كنيسة قديمة مكونة من ٣ هياكل على اسم العذراء مريم ومار قرداغ ومار عوديشو صاحب الدير، أقيم مكانها ثلاثة هياكل جدد. وهُدِمَ الأثر عام ١٩٨٧، وجُدِّدَ مؤخرًا. أما ذكر المؤسس ففي الأحد الثالث من القيامة.

١٣ – دير مار ياقو (يعقوب)

يدعى أيضًا دير مار ايشوعياب. يقع في قرية قاشافر في الجبل شمالي شيوز (شيزي). آثاره متهدمة حاليًا، ولم يجر على كنيسته ترميم لأكثر من ٧ قرون. بعض الكهوف والصوامع والصهاريج بادية للعيان، وكذلك قبور منقورة في الصخر. وككل الأديرة الجماعية، كان هناك مشتملات عامة هي: صومعة للرئيس، وأخرى للبواب، وغرفة نوم كبيرة للمبتدئين، وأخرى للضيوف، ومطبخ فيه تنور، ومخزن وبيت مؤونة، وغرفة طعام، وكنيسة. أما الرهبان فكانوا يقضون أوقاتهم في الصوامع المتناثرة في الجبل.

أسسه ايشوعياب، ويسمَّى «الذي غادر مكانه»، وهو من القرن ٦–٧؛ وهو

نوهدري الأصل، غادر مسقط رأسه إلى قردو ليدرس في قرية ثمانون (عند سفح جبل جودي)، وعاد إلى حدياب ليصبح أستاذ القراءة في دير يشوع صليبا زخا إلى جانب الناسك يشوع زخا (الذي كان قد شفى النعمان بن المنذر ملك الحيرة)، فأرسله إلى بابي النصيبي في دير ايزلان، ما لبث أن عاد الى قرب دير مار ايثالاها في دهوك، فابتنى ديرًا نحو سنة ٦٣٠. اشتهر بصنع العجائب وطرد الشياطين، حتى توفي بعد ٥ سنوات من تأسيس الدير. فخلفه يعقوب الرائي، و أصله من الرأس (ريشا، في باجرمي)، وكان قد درس في خربة جلال، وترهب في دير الغابات (بيث عابي)، ومنحه الله نعمة رؤية الأمور المستقبلية، فحسده بعضهم، لذا ترك بيث عابي وسكن صومعة في نوهدرا، حتى استدعاه اسحق مطران نوهدرا ليرأس الدير بعد وفاة ايشوعياب، وكان هذا قد أوصى به قبل مماته. وحاول أكثر من بطريرك (كوركيس الأول، وحنانيشوع الأعرج) أن يرسموه أسقفًا، لكنه رفض. ومات بعد شيخوخة صالحة. ولشهرته عُرِفَ الدير باسمه. ومن تلاميذ يعقوب رئيس الدير: يوسف الداسني، مؤسس دير في نوهدرا؛ وهارون من الطيرهان، مؤسس دير الصليب قرب بلد (أسكي موصل).

وخَلَف الربّانَ يعقوب في رئاسة الدير الانبا شليمون الحديابي. كان قد ترهَّبَ في دير الغاب الجميل في نوهدرا. ونلقى رئيسًا آخر للدير في القرن ١٠، هو شوحاليشوع، أوقيانوس الارشاد، تلميذ الربان يشوعدناح والربّان يوحنان، وملازمٌ له في دير الربّان هرمزد.

آذى الدير غزوُ العام ٩٧٩، لكن ايشوعياب يوحنا بن نازوك تسلَّمَ رئاسةَ الدير نحو عام ٩٨٧، ولما أصبح بطريركًا منحه إنعامه الخاص، ولعله هو أيضًا مَن رممَ كنيستَه الكبرى. تنقطع أخبار الدير منذ القرن ١٣، حتى يتجدّد على أيدي الآباء الدومنيكان منذ أواسط القرن ١٩، فيغدو مركز رسالة لهم للمناطق الشمالية، ثم يتعرض للدمار عام ١٩٨٧، فيتحول إلى أنقاض.

١٤ – دير القصير

يقع هذا الدير على بعد نحو ٥٠ كم جنوب غربي كربلاء و١٥٠ من بغداد، وبضعة

كيلومترات من حصن الاخيضر، و٦ كم إلى الغرب من بحيرة الرزازة. وهو بقايا دير تحوَّل إلى كنيسة عندما زحفت إليه المباني فأصبح الموقعُ مدينةً كانت محاطةً بسور كبير ما تزال بعض آثاره قائمة، كما حصل لدير مار ايشوعياب في الموصل.

ومدينة القصير من المدن التابعة لدولة المناذرة. والعمارة الرئيسة التي لا تزال أجزاء كثيرة منها بادية للعيان هي كنيسة الدير، تقع ضمن سور ضخم طول ضلعه الشرقي ١٥٠ م، والغربي ١٤٢ م، والشمالي ٩٠ م، والجنوبي ١١٢ م، والسور مدعوم بأبراج نصف أسطوانية، كشفت الحفريات عن ٢٩ برجًا، وللسور مدخل واحد في الجهة الشرقية بين برجين دفاعيين، شأن مداخل القلاع والحصون وبوابات المدن القديمة. وقد كشف أيضًا عن بقايا مدرسة ومكتبة وغرف مستقلة، هي على الأرجح قلالي الرهبان. يرتقي عهد البناء في الأصل إلى القرنين ٥ و٦ م. وكنيسة الدير مكونة من ثلاثة أجنحة، يفصل الأقسام الثلاثة جداران، وفي كل من الجدارين ٥ فتحات على شكل أبواب تسمح بالتنقل، بينما ينتهي القسم الوسطي بقدس الأقداس، ويتصل القسم الشمالي ببيت العماد، والقسم الجنوبي ببيت الخدمة (بيث دياقون). طول الكنيسة ٣٠,٤٢ م، وعرض الجناح الوسطي ٨,٨٥م، وعرض الجناحين الجانبيين ٥,٤م. والكنيسة مشيدة بالحجارة المهندمة والجص، وعلى الجدران كتابات مشرقية وصلبان، وأيقونات جصّيّة، منها صورة كاهن يرتدي الزي الكنسي وعلى رأسه قلنسوة. وبالقرب من الكنيسة الكبيرة كنيسة أخرى صغيرة الحجم، تحيط بها قبور. ويبقى السؤال: هل القصير هي مدينة شفاثا القديمة، أي ما يعرف حاليًا بموقع عين تمر؟

الفصل العاشر

الكنائس القديمة وهندستها

١ - هندسة الكنيسة المشرقية

هناك علاقة متلازمة ما بين الصلاة الجماعية والمكان الذي تقام فيه، والطقوس والهيكل. ولأن صلوات وطقوس كنيسة المشرق ذات طابع تقليدي قديم، جاءت كنائسها متأثرة بالمصليات اليهودية، المتأثّرة بدورها بالمعابد البابلية والعراقية القديمة، مما ولّد هندسةً خاصة للكنيسة المشرقية اختلفت عنها هندسة الكنيسة السريانية الغربية. ثم شاء مفسرون أن يرسموا صورًا رمزية للمبنى المادي وأقسامه ومشتملاته، في أورشليم الأرضية، رمز السماوية، وهيكلها هيكل سليمان، مع الفارق الكبير بين الوظيفتين، إذ انّ المسيحية تتمحور حول المسيح كلمة الله المتجسد.

تتجه الكنيسة المشرقية نحو الشرق، رمز النور والجهة التي منها سوف يظهر المسيح في مجيئه الثاني، بحسب اعتقاد لاهوتيي هذه الكنيسة، استنادًا إلى قول يسوع «كما يومض البرق في الشرق ويتألق في المغرب، هكذا يكون مجيء ابن الإنسان» (متى ٢٤ : ٢٧).

كان الدخول إلى الكنيسة قديمًا، من باب صغير، ذي عتبة مرتفعة وسقف منخفض، بحيث يضطر الداخل إلى إحناء رأسه علامة تواضع ينبغي أن يتحلى به مَن يدخل بيت الرب. ويجد الداخل نفسه في فناء كبير أو باحة مكشوفة تتسع لعدد غفير من المؤمنين، إذ ان بيت الصلاة هو بيت الله وبيت حاملي اسمه أبناء العائلة الكبيرة الواحدة. ويقوم شرقًا إيوان صغير مع حنيّة مزخرفة يتوسطها عادة صليب منقوش، هو (بيت الصلاة = بيت صلوثا)، يستخدم للصلاة في الفصل الحار، فصل الصيف، وحتى تقديس الكنيسة. وكثيرًا ما تقوم إلى الغرب غرفة أو أكثر تسمّى (بيت السهاد) كان الساهرون يقضون فيها الليل للصلاة.

البابان الرسميان للكنيسة المشرقية يخترقان الجدار الممتدّ طولاً نحو الجنوب، الأقرب

إلى المذبح للرجال، والأبعد للنساء. وثمة باب صغير، قريب جدًا من المذبح، يدخلنا إلى بيت العماد، وفيه باب يصله بالمذبح. أما بيت الخدمة (بيت دياقون) فإلى الجهة الأخرى من المذبح ينفتح عن فناء خارجي حيث تَنّور خبز التقادم، يليه عادة بيت الشهداء أو القديسين (بيت سهدي)، أو يتأخر إلى ما يتوسط موقع الرجال والنساء على الحائط الشمالي.

ينقسم صحن هيكل الكنيسة إلى قسمين، قسم للرجال يحيط بالبيم (بيما) يمينًا ويسارًا ويمتد حتى المذبح؛ وقسم خلفي مخصص للنساء.

والمذبح قاعدة مرمرية يعلوها ناووس قدس الأقداس الذي يسدل عليه ستار وله باب ملوكي يغلق بباب خشبي وستار من القماش. أما البيم أو المنصة المرتفعة عن مستوى الأرض فعليه قاعدة خشبية يوضع عليها عادة الصليب (الجلجلة) والإنجيل، وإلى اليسار من الصليب منصّة لتلاوة قراءات من العهد القديم، وإلى اليمين منصّة أخرى لتلاوة العهد الجديد، ويجلس في البيم الإكليروس أثناء القسم التعليمي (كلام الله) من القداس، وأثناء الصلوات الطقسية. وإزاء الصليب عرش المطران وإلى يساره كرسي للاركدياقون (رئيس الخَدَمة)، والكهنة من حولهما على شكل حلقة بواسطة ممشى ضيّق (شقاقونا: الشق)، يقود إلى درج عريض (قسطروما) هو مدخل الفردوس. وللكاهن المحتفل بالذبيحة وحده الحق في الدخول إلى قدس الأقداس.

يفتح الستار، وباب المذبح إن وجد، أثناء لحن (لاخومارا) في القداس وصلاة المساء في الآحاد والأعياد للدلالة على اتحاد السماء بالأرض. وتضاء القناديل أيضًا في صلاة الغروب.

نستدلّ على هندسة الكنيسة المشرقية من وصف شرح الطقوس، وكتاب الرؤساء للمرجي، وآثار الكنائس القديمة، كما في كوخى، والحيرة، وأشيثا (مار كوركيس)، وليزان (مار كوركيس)، والموصل (الطهرة). وقد جدّد الملباريّون بعضَ كنائسهم على الشكل التقليدي، كما احترمت كنيسة الكلدان في باريس سِمات الهندسة القديمة.

وتختلف هندسة الكنيسة السريانية الغربية عن الكنيسة المشرقية. إذ تقترب الأولى من

هندسة الكنائس البيزنطية.

٢ - كنائس الموصل القديمة

الموصل من أهم المواقع الأثرية والسياحية في العراق، يكفي ذكر نينوى وخرسباد ونمرود وآشور والحضر للتغني بجمالاتها ومكانتها الحضارية. وقد وصفنا دياراتها القديمة. يزيّنها الجامع النوري أو الكبير ومنارته الحدباء، وجامع الخضر أو الجامع المجاهدي، وجامع النبي يونس على تل التوبة الأثري (قصر آشوري ودير يونان) وجامع النبي جرجيس ومشهد الإمام يحيى أبي القاسم. وقد جاء ذكر كنيسة مار اشعيا (دير ايشوعياب برقوسرى). وكنيسة الطاهرة (الطهرة) أو كنيسة الدير الأعلى. أما أهمّ كنائسها القديمة فهي:

كنيسة الطاهرة القديمة في القلعة، حيث نواة المدينة، ترجع إلى القرن ٧، ويبلغ انخفاضها نحو أربعة أمتار، وبنايتها الحالية من تجديد ١٧٤٤، تَشوّهت معالمها اثر تجديد سنة ١٨٠٩. ومن آثارها جرن العماد، وأيقونة العذراء مريم المرمريّة (نصب تذكاري أقيم في أعقاب أحداث سنة ١٧٤٣).

كنيسة مار توما، أُسست قبل سنة ٧٧٠. والخليفة المهدي في زيارته للموصل استمع إلى شكوى بشأنها. فيها كتابة كرشونية تشير إلى تجديد جرى سنة ١٧٤٤، وكتابة الباب الملوكي والبابَين الجانبيَّين تشير إلى سنة ١٨٤٨، ويحمل المذبح الصغير تاريخ ١٩٢٠. فيها زخارف جميلة تزيّن الأبواب، وأشكال ورسوم تمثّل الرسل والقديسين، وذخائر مار توما الرسول في حنيّة جانبية. وأقدم ضريح مؤرَّخ هو لمار اغناطيوس (+ ١٧٢٤). كانت مطرانية للسريان الارثوذكس حتى بناء كنيسة مار افرام في الساحل الأيسر. وتعتزّ هذه المطرانية بمجموعة مخطوطات نفيسة.

كنيسة شمعون الصفا في المياسة، من القرن ٩، منخفضة عن الشارع بأكثر من ٥ أمتار. جُدِّدَت في القرن ١٣، وأهمّ آثارها تعود إلى هذه الفترة، ثم جُدِّدَت سنة ١٨٤٧، أهمّ آثارها بيت الشهداء وحنيّة الذخائر وباب الخدمة (دياقون) والحنيّة، وبابا الرجال والنساء، والكتابة الكوفية في الايوان ونصب المسقى. استعادت اثريّتَها بفضل

صيانتها عام ١٩٧٢، لكنها تَهدَّمَت مؤخرًا. وفيها شاهِدٌ للشماس روفائيل مازجي (+١٨٦٦) مؤسس المطبعة الكلدانية وباني المعهد الكهنوتي البطريركي.

وشُيِّدَت على اسم مار احودمه أسقف تكريت (+ ٥٧٥) كنيسة أودت المياه الجوفية بمعالمها، لأنّ انخفاضها نحو ٧ أمتار بسبب ارتفاع مستوى المدينة جعلها تغرق. فبُنِيَت فوقها قاعةٌ نُقِلَ إليها البابُ الملوكي من المرمر المشغول بفن رفيع. وقد كانت في الفناء بئر مياه معدنية شافية.

لم يبقَ من كنيسة مار بثيون (فثيون) القريبة منها سوى حنيّة بيت الشهداء وحنيّة أخرى أتلفتها المياه الجوفية، وقد شُيّدت قاعةٌ عام ١٩٤٢ تخلصًا من المياه.

أقدم ذكر لهذه الكنيسة في القرن ١٠.

ومن كنائس الموصل القديمة كنيسة مار كوركيس، في محلة خزرج، يبلغ انخفاضها نحو ٧ أمتار، لم يبقَ من معالمها سوى باب مرمري مقرنص مزين بكتابة أسطرنجيلية، وحنّيتين مرمريّتين من القرن ١٣ و١٤، وقد شُيِّدت فوقها كنيسة حديثة عام ١٩٣١.

وترجع كنيسة الشهيدة مسكنتة إلى القرن ١٠، ويأتي ذكرها في مخطوط إنجيل طقسي مكتوب سنة ١٢١٢، وقد عثر في التجديد الأخير عام ١٩٧٦ على صناديق خشبية قديمة وذخائر قديسين، تجددت وتوسعت عام ١٨٥١، ثم عام ١٩٠٤، وفيها شَاهِدا البطريركَين إيليّا عبو الونان ويوسف عمانوئيل الثاني. وبجوارها دار مطرانية الكلدان. فيها طغرة عثمانية ورسوم بطاركة كلدان ومخطوطات قيّمة، إذ إنّها أصبحت كاتدرائية البطريركية منذ أوائل القرن ١٩ وحتى العام ١٩٦٠.

وقرب بشطابيا أيضًا كنيسة الطاهرة الفوقانية، تجددت سنة ١٧٤٤ ثم سنة ١٨٧٨ وأخيرًا عام ١٩٤٠، يتجلّى الطراز الجليلي في نقوشها المرمريّة، ويدعى بيتُ الشهداء هيكلَ مار يعقوب المقطَّع، فيه ٦ حنايا، وتحتفظ كسائر الكنائس الارثوذكسية بقدس الأقداس والحجاب.

وشَيَّدَ الآباءُ الدومنيكيون والقاصدُ الرسولي كنيسةً للاّتين سنة ١٨٦٦، ونصبوا في برجها ساعةً عام ١٨٨٢، فعُرِفَت المحلةُ بالساعة، تجدَّدَت سنة ١٩٧٥ وجرت لها صيانة شاملة مؤخرًا كشفت عن سطح مدينة الموصل القديمة على عمق ٧-٩ أمتار.

الفصل الحادي عشر

كنيسة المشرق والثقافة

أولاً- طابع الآداب والعلوم المشرقية

يُطلَق على تراث كنيسة المشرق اسم «السرياني»، من السريانية، اللغة الارامية المشرقية المتطورة، لغة التدوين والأدب بفضل مملكة الرها، ويعود الفضل في تعميمها إلى تبنيها من قبل كنيسة المشرق، كما لانتشار الأرامية بفروعها في مناطق عديدة ورقعة واسعة امتدت من الشام إلى العراق ومناطق من إيران وتركيا. ولعل أحد أسباب اختيار كنيسة المشرق هذه اللغة وجعلها رسمية في الطقوس والمدارس، كونها أيضًا لغة المسيح ورسله. ويمكن تسميتها بالكلدانية والأثورية.

المسيحية في نظر كنيسة المشرق ديانة ترفض كل ما هو وثني، لذا جاءت معظم كتابات أدبها ذات مسحة دينية وكنسية، أقله في القرون الأولى، مع نزعة مضادة للتراث المدني الشرقي (حضارة بين النهرين) والغربي (اليوناني واللاتيني). إنما لا ينبغي المبالغة، فالأدب السرياني أدب مرموق، تناوَلَ خاصّةً علومَ الدين وأدبَ المسيحية والروحانيات والنسكيات، دون أن يقتصر عليها. فالسريانية لغة علم أيضًا، عرَفَ كتبتُها أن ينقلوا إليها الكثير من كتب العلوم اليونانية وغيرها، لاسيما علوم الطب والرياضيات والفلك والهيئة والكيمياء والطبيعيات، بالإضافة إلى الفلسفة بفروعها، مع تركيز خاص على المنطقيات والحِكَم والأمثال وكتب التاريخ والقواعد واللغة والمعاجم. كما قام علماءُ السريانية بالتلخيص والتفسير، وكتبوا في مختلف فروع المعرفة والعلوم القديمة، مخلّفين إرثًا له حجمُه ووزنُه لا يقتصر فقط على شروح الكتاب المقدس وتفاسيره ونظم القصائد والمقطوعات الدينية، وتدبيج القصص والسير الدينية.

ولأسباب عديدة، ضاع الكثير من النِتاج الغزير هذا، وتَلِفَ بعضُه، ولم يسلَم إلاّ القليل.

ثانيًا– محاولة رصد التراث الأدبي

نجد هذا التراث في خزائن المخطوطات في الشرق والغرب، وقد تمت فهرسة غالبيتها، وما يزال قسم بحاجة إلى فهرسة وجمع وصيانة. وقد نُشِرَ قسم من نتائج الأوائل، لاسيما على أيدي المستشرقين، وهناك ما لم يُنشَر بعد، ويظلّ المجال قائمًا لإجراء تحقيقات نقدية ودراسات علمية ومقارنات مفيدة.

لم تحظَ الآداب السريانية بفهارس قديمة تتناول المؤلفين ونتاجهم، إذ لا يذكر التاريخ سوى فهرس صغير لأنطوان التكريتي (من القرن ٩)، وأرجوزة عبد يشوع الصوباوي (وضعها سنة ١٣١٦)، رصد فيها نتاج ٢٠٨ كتبة من علماء كنيسته المشرقية خاصة، وأكثر من ٥٠٠ كتاب وضعوه، عدا الرسائل والمقالات والقصائد المذكورة بشكل إجمالي. وعلينا أن ننوّه بعدد من اللبنانيين الموارنة الذين بذلوا جهودًا للكشف عن إرث السريانية، كالحاقلاني والسمعاني والقرداحي وتلاميذ المدرسة المارونية في رومة، الذين عاشوا في رومة والغرب. وعنوا بجمع المخطوطات السريانية وفهرستها، وتدبيج مجلدات ضخمة أرّخت علوم واداب هذه اللغة، وقيامهم بترجمات لاتينية عملت على تعريف الغرب بها، كما انبرى علماء غربيون متخصصون لإكمال المسيرة، فكانت الفهارس، والطبعات، والدراسات. ومما شجّع على اهتمام الغربيين بهذا التراث قيام الرحّالة المرسَلين بأسفار في ديار الشرق وإطلاعهم على كنوزه وجَلْب قسم منها إلى الغرب وتَعرُّف الغربيين على الشرق في أعقاب الحروب الصليبية، والتِماس الغربي بالشرق من خلال وصول العرب إلى اسبانيا ومناطق من فرنسا وإيطاليا، واحتضان الغرب بعض الشرقيين للقيام بنقل الكتب القديمة إلى اللاتينية للانتفاع بها في جامعات أوروبا في العصور الوسطى والحديثة. ولما ظهرت الطباعة، حظيت السريانية أيضًا بمكانة جيدة، فكان أول مطبوع عام ١٥٥٣، ثم تتالت المطبوعات بوفرة يصعب حصرها. والسريانية وآدابها تُدرَّس اليوم في معاهد أوروبية وأمريكية عديدة.

ثالثًا– مَواطن المخطوطات السريانية

لقد كانت مَواطن المخطوطات السريانية في الأصل في المراكز الثقافية والأديرة، ثم

جُمِعَت إجمالاً بعد اندثار تلك الأماكن، في خزائن شرقية وغربية، حتى أصبحت مكتباتُ الغرب تمتلك ما يفوق مكتباتِ الشرق من مخطوطات، في القدم والقيمة، لأن الغربيين عُنُوا بجمع التراث القديم، منذ القرن السابع عشر، فكانت مجموعاتٌ مهمة في مكتبات الفاتيكان وفلورنسا وميلانو وباريس ولندن واكسفورد وكمبردج وبيرمنكهام وبرلين وليدن ولوفان والسويد وروسيا واسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية والهند.

أما في الشرق فكثرت المخطوطات في لبنان وسوريا وإيران وتركيا ومصر. ولا بد أن نخصّ مكتبات العراق: البطريركية الكلدانية (بغداد) والرهبانية الكلدانية (بغداد) ومطرانية كنيسة المشرق الأثورية (بغداد) ومطرانية السريان الارثوذكس والكلدان في الموصل، ودير مار بهنام، ودير مار متي، ومطرانية الكلدان (كركوك)، ومعظم مكتبات الكنائس في القصبات والقرى.

وقد صدرت في الشرق والغرب مجلّدات من فهارس المخطوطات، مع مصورات ووصف لبعضها، لكننا ما زلنا نفتقر إلى إصدارٍ شاملٍ يُلمّ بها جميعًا، كما إلى تصويرٍ يضمن سلامتها ويعمّم الإفادة.

رابعًا- أشهَر المعنيين بتراث السريانية

أول من عُني بالسريانية ابراهيم الحاقلاني، إذ نشر ارجوزة عبد يشوع الصوباوي مع تعليقات وترجمة لاتينية عام ١٦٥٣، ثم أعقبه يوسف سمعان السمعاني (١٦٨٧ - ١٧٦٨) الذي كرّس معظمَ حياته في روما لهذا التراث، حتى أصبح ناظرَ المكتبة الفاتيكانية، وصنّفَ موسوعةً ضخمة جدًا في ثلاثة مجلّدات (المكتبة الشرقية) تقع في أكثر من ٢٨٠٠ صفحة كبيرة تناوَلَ فيها كتبةَ السريانية المغاربة والمشارقة، ناشرًا صفحات عديدة من تآليفهم مشفوعة بترجمة لاتينية. ونشر كتابات مار افرام في ثلاثة أجزاء ثم أكمل مشروعه الأب مبارك اليسوعي فنشر جزءين آخرين. وطبع السمعاني أيضًا سِيَر الشهداء والقديسين، ودبّجَ فهرس المخطوطات الفاتيكانية. وبعد ذلك بسنوات وضع جبرائيل القرداحي كتاب (الكنز الثمين) في صناعة شعر السريان وتراجم شعرائهم المشهورين، وذلك سنة ١٨٧٥. وبعد بدايات أولى في الغرب، على أيدي مازيوس

وموسى المارديني واوسابيوس رونودو وبوكوك وبرنس وكيرش وكيورتن ولاغارد وبدج وغيرهم، عني بتاريخ الأدب السرياني كلٌّ مِن وليم رايت (١٨٣٠–١٨٨٩) وروبنس دوفال (١٨٢٩–١٩١١) وكارل بروكلمن وأنطون بومشترك، وجان باتيست شابو، والكردينال اوجين تيسران، وفي الشرق المطران يعقوب اوجين منا، والمطران ادي شير، والبطريرك افرام برصوم، ثم مراد كامل ومحمد حمدي البكري وزاكية رشدي، ثم آخرون في الشرق والغرب أمثال ريكور وغيومون واورتيز دي اوربينا وبروك وفولوس غبريال وكميل افرام البستاني وبيرا سرامس والبير ابونا والمطران اسحق ساكا ودوفيليه وردولف ماسخ ويوليوس اسفالج وكريكر وجورج غراف وكوركيس عواد وميشلين البير وابروهوم نورو والأب جان موريس فيي ويوسف حبي.

ومن الناشرين والمحققين الكبار، عدا المذكورين، الكردينال انجلو ماي، بول بيجان، البطريرك افرام الرحماني، بول لاكارد، لاند، ادوارد ساخو، برنستن، توما لامي، فيليبس، ابلوس، هوفمان، بزولد، ريسل جيسموندي، بول مارتن، فريمان، رندل هاريس، جان باريزو، بوركيت، بروكس، باين سميث، مرغليوث، متى كوناط، اوسكار براون، ديتريش، كموشكو، شولتيس، الفونس مِنكانا، فان اونيل، الفونس راس، برايتمان، كونوللي، لابور، جاك فوستي، رينه دراكيه، فرانسوا غرافّان، اغناطيوس كويدى، ادمون بيك، للوار، هاتج، كوستاز، آرثر فوبس، فالتر سيلب، هوبرت كاوفهولد، درايفرز، المطران جيجيك، المطران يوحنا ابراهيم، ديلافيدا، فورلاني، المطران توما اودو، المطران يوسف داود، الخوري اسحق ارمله، المطران يوحنا دولباني.

خامسًا– مجلاّت وموسوعات

ظهرت في الشرق عدة مجلات معظمها بفضل شخصيات من كنيسة المشرق، نذكر منها إكليل الورود، النجم، المشرق ولسان المشرق، النور، الفكر المسيحي، بين النهرين، قالا سوريايا، مجلة مجمع اللغة السريانية ثم الهيئة السريانية في المجمع العلمي العراقي، المثقف الأثوري، نشرة الأحد، كلها في الموصل وبغداد.

كما لا بد من الرجوع إلى مجلات أخرى في لبنان (المشرق، المنارة، كلمة الشرق – ملتو) والقدس (بروش اوريان كريتيان)، وفي الغرب لوموزيون (لوفان)، اكتا بولانديانا (بروكسل)، اورينس كريستيانس (فيسبا دون، المانيا)، اورينتاليا كريستيانا بيريوديكا (المعهد الشرقي روما)، اوريان سيريان، اوريان كريتيان (باريس)، هارب، كريستيان اورينت (كيرالا، الهند) آرام (اوكسفورد)، ومجلات كثيرة تصدرها الجاليات في أوروبا وأميركا وأوستراليا.

وبوسع المتقصّي مراجعة الموسوعات العامة التي تحوي عدّة مقالات إضافية عن كنيسة المشرق وآدابها وآثارها، ونخص بالذكر معجم اللاهوت الكاثوليكي، ومعجم التاريخ والجغرافية الكنسي (فرنسا)، ومعجم الشرق المسيحي (المانيا)، ومعجم القانون الكنسي (باريس)، والمعجم المسيحي (اكسفورد)، ومعجم الأدب السرياني (بغداد) ومعجم الشرق المسيحي (روما)، وكتب موسوعية عديدة بلغات مختلفة اشترك في إعدادها جملة متخصصين.

ويمكن الرجوع إلى ما نُشِرَ بشأن المجلات والجرائد والنشرات الصادرة بالسورث، سواء في العراق أم في إيران أم في بلدان أخرى، من قبل كلدان وأثوريين وسريان. نحيل هنا إلى آخر ما كتب في مجلة جمعية الأكاديمية الأثورية في الولايات المتحدة الأمريكية:

Assyrian Journalism: A 140 - Year Experience, by Yoab Benjamin, in *Journal of the Assyrian Academic Society*, vol. VII, No. 2, 1993, pp. 1-28.

سادسًا– المؤلفون القدامى

لا يمكننا أن نذكر إلاّ القليل جدًا من العلماء والأدباء الذين تركوا بصمات خاصة، دون إهمال حق الآخرين.

١– طَطيانس والدياطسّرون (أواسط القرن ٢)

ولد في بلاد أشور (حدياب؟)، وعاش في أوساط رهاوية. قصد روما وتتلمذ على الفيلسوف يوستين الشهيد، ثم عاد إلى الشرق. جمع نصوص الأناجيل الأربعة في واحد عُرِفَ بـ(الدياطسّرون) أي «الرباعي». لم يسلم النص السرياني إلا من خلال كتابات مار

افرام، بينما سلم نقل عربي لهذا الإنجيل الموحَّد أو العجيب أو المختلط (محلطي) قام به الشيخ عبدالله ابن الطيب (توفي ١٠٤٣). وتثار معه مسألة تأثّر الناطقين بالسريانية باللغة اليونانية والتراث الإغريقي، لاسيما في بلاد الشام. ولا عجب، فإن اسم ططيانس واسم أثَره يونانيّان، إنما لا ينبغي المبالغة، فطَطيانس يكتب خطابًا ضد اليونانيين. والمقبول أن أولاد الأغنياء وبعض المغامرين فقط كانوا يتعلّمون اليونانية، لا عامة الشعب الذين لم يكونوا يفهمون النصوص اليونانية إلا بعد ترجمتها من اليونانية وشرحها باللغة المحلية. ويغلب الظنّ أن ترجمةً للكتاب المقدس، سبقت الترجمة البسيطة أو الدارجة (فشيطتا). ولعل طَطيانس وضع إنجيله الموحَّد في روما قبل عام ١٧٢، للناطقين بالسريانية الذين كان عددهم قد ازداد هناك، بحيث ان البابا اينوشنسيوس (١٥٤–١٦٥) كان من أهالي بلاد ما بين النهرين. وانطلق طَطيانس في توحيد نصوص الأناجيل الأربعة قائلاً بأن المسيح تكلَّمَ كلامًا واحدًا، وحياته واحدة، فمن الأفضل جمع ما دَوّنه كلّ مِن متّى ومرقس ولوقا ويوحنا في إنجيل واحد.

٢– بَردَيصان والدَيصانية (١٥٤–٢٢٢)

بابليّ الأصل، لُقِّب بابن نهر ديصان الذي يروي الرها لأنه عاش هناك ويمكن اعتباره أكبر مفكر في مملكة الرها القديمة ومن أعاظم المفكرين في العالم. درس في الرها ومنبج، ومن زملائه أبجر الثامن الكبير. كان متحررًا فكريًا، حتى أُلصِقَت به آراء غريبة حاربَها مار افرام بشدّة. كان فصيحًا وشاعرًا، كما كان ملحنًا وموسيقيًا، صنّف مقالات فلسفية ودينية، ونظم ١٥٠ قصيدة (على عدد المزامير). علّمها لحنًا لجوق عذارى، فصار له تلاميذ كثيرون، حتى انتشر مذهبه (الديصانية) في البطائح (بين واسط والبصره حيث الأهوار)، وبلغ بلاد خراسان وتركستان والصين، واستمرّ حتى القرن العاشر. وقد ترجم تلاميذُه بعضَ كتبه إلى اليونانية. وطبيعي أن لا يسلم الكثير من تآليفه بسبب محاربتها لاسيما من قِبَل مار افرام.

له حوار في القضاء والقدر، دوَّنَه تلميذُه فيليبس عن لسانه في كتاب يُعرَف بكتاب (شرائع البلدان). ويبدو أنه كان يميل إلى التنجيم وإلى مذهب فالنطينوس. اتُّهِمَ بقوله بالقدر وبوجود آلهة كثيرة وعدم قيامة الأجساد، واعتبر غنوصيًا، مع انه رفض مرقيون

وكتب أبحاثًا ضده، ودافع عن حرية الإنسان وكرامته. وقد اختلف المحدثون بشأنه، وقام درايفرز برصد آرائهم (عام ١٩٦٦). يعتبره أوسابيوس القيصري شخصًا مقدرًا جدًا وباحثًا ماهرًا بالسريانية، وتبعه تلاميذ كثيرون.

٣- افراهاط الحكيم (توفّي بعد ٣٤٥)

راهب أو رئيس دير، وربما أسقف. كتب ٢٣ بيّنة، أدلّة أو عبرًا (تحوياثا) مرتّبة حسب الأبجدية السريانية، إضافة إلى بيّنة «العناقيد»، في السنوات ٣٣٦-٣٤٥، تناول فيها مسائل لاهوتية، فكرية، روحية، وتعرّضَ لأول صيغة حياة تكريس نسكي جماعي، عُرِفَ باسم (بني وبنات قياما = بني وبنات العهد أو القيامة). وكتاباته مليئة بنصوص من الكتاب المقدس، بحسب الترجمة القديمة، والبسيطة والدياطسّرون.

كنيسة افراهاط ذات علاقة قويّة بفلسطين وبالمسيح ورسله، بالهيكل والتقاليد والمسيحانية الملوكية التي من صلب داود، مع إفساح المجال لغير المشرقيين، أي للأمم، كما لسبايا الروم، للصيرورة واحدًا في كنيسة مشرقية هي أقلية في مملكة وثنية متعصبة دينيًا، سوف تَشنّ اضطهاداتٍ دموية قاسية تلحق بها الأذى وبهذه الأقلية المسيحية، دون التنكر لفترات سلام وتسامح. وينتقد افراهاط التراخي والوهن في الإيمان، حتى لو كان الأمر سيؤدّي بالمؤمنين إلى الاستشهاد، كما يشنّ حملة على الأصل الملوكي الداودي، رافضًا التزلف للحاكمين، فالمسيح متواضع يسهر على قطيعه ويبذل ذاته في سبيله. ويسمّي الأساقفةَ والكهنةَ والشمامسةَ معلّمين ورعاة وحكامًا (قضاة). ويدعو إلى التوحد والبتولية، وإلى الوقوف جنودًا في المعركة، بكل صمود وثبات، محافظين على الإيمان، وساهرين على الدوام، لأننا أبناء العهد والقيامة.

من مقالته (بينته) الأولى في الإيمان:

«يتكوّن الإيمان من أمور عديدة، ويتزين بألوان كثيرة. وهو يشبه بنيانًا بُنِيَ بمواد متعددة، فارتفع إلى العلاء. واعلم، يا عزيزي، أن الحجارة توضع في أساس البنيان، وفوق الحجارة يرتفع البناء كله حتى يكتمل. هذا ما نقوله عن إيماننا كله. أساسه صخر ثابت هو ربنا يسوع المسيح، وبنيانه لا تزعزعه الأمواج ولا تؤذيه الرياح ولا تسقطه

العواصف ، لأنه ارتفع فوق صخر وحجر ثابت . وانْ أنا سَمّيتُ المسيح صخرًا ، فهذه التسمية لم تأتِ من عندي ، فالأنبياء سبقوا وأعلنوه صخرًا ، وها أنا أبيّن لك ذلك .

«والآن ، فَاسمعْ عن البناء الذي وُضِع على الصخر وعن البناء الذي ارتفع فوق الصخر . فالإنسان يؤمن أولاً ، وعندما يؤمن يحبّ ، وعندما يحبّ يرجو ، وعندما يرجو يتبرّر ، وعندما يتبرّر يصل إلى الكمال ، وعندما يصل إلى الكمال يصير تامًا . وبعد أن يرتفع البناء كله ويكتمل ويتمّ ، يصبح الهيكل والبيت مسكنًا للمسيح ، كما قال ارميا النبي «هيكل الرب . أنتم هيكل الرب ان أصلحتم طرقكم وأعمالكم» (٧:٤–٥) . وقال الرب أيضًا بواسطة نبيه: «أسكنُ فيهم ، أسيرُ في ما بينهم» (لا ٢٦:١٢) . ولقد تكلّمَ الرسولُ الفاضل هكذا: «أنتم هيكل الله وروح المسيح يسكن فيكم» (١ قور ٣: ١٦؛ ٢ قور ٦:١٦) . وقال ربنا لتلاميذه أيضًا: «أنتم تكونون فيّ ، وأنا أكون فيكم» (يو ١٤:٢٠) .

٤– مار افرام (٣٠٦–٣٧٣)

نصيبيني ، عاش في الرها سنواته الأخيرة العشر بعد اندحار الامبراطور يوليانس ، ومع انه أعظم معلّم عرفته الآداب السريانية والمسيحية في المشرق ، نلقاه يميل إلى الغربة والتوحد ، فيعيش حياة نسكية فترات غير قليلة ، ولم يرتضِ أن يكون أكثر من شمّاس . هو كبير آباء كنيسة المشرق بمعناها الواسع ، والشاعر الأعظم في التراث السرياني الكنسي ، حتى ان الآداب السريانية اقترنت باسمه ، ولُقِّب بنبي السريان وقيثارة أو كنارة الروح القدس ، وفاق جميعَ آباء الكنيسة شرقًا وغربًا بشعره . إذ له مئات القصائد الشعرية (مدراشي) ، ركّبَها على الأوزان الرباعي والخماسي والسداسي والسباعي ، وهي ترنم وفق أنغام خاصة (قالي) . وله كذلك مئات المقالات المنظومة (ميمري) على الأوزان الخماسي والسداسي والسباعي والاثني عشري . وله ارجوزات (سوغياثا) عديدة . وقد دخلت بكثرة في الصلوات الطقسية في الكنائس ذات التراث السرياني ، فمنحتها غنىً وحلاوةً . كما استُخدِمَت تآليفه ، ولاسيما شروحُه في الكتاب المقدس ، نصوصًا مدرسية في مدرسة الرها ونصيبين واستمرت حتى أزاحَتْها الترجماتُ التيودورية في العقد الثاني من القرن الخامس .

تلميذ مار يعقوب أسقف نصيبين. نظرًا لمنزلته الكبيرة، حيكت حول حياته قصص عجيبة، منها اشتراكه في مجمع نيقية بصفة شماس لمعلمه. وقد ضاعَتْ سيرتُه التي دوّنها تلميذاه زينوب شماس الرها وشمعون السميساطي، بينما وصلتنا سيرة متأخرة فيها من التفخيم والمبالغات، كعادة تلك الأزمنة، مع انه غير محتاج إلى مثل تلك المزايدات. فإن غريغوريوس النوسي يراه سراجًا وضع فوق المنارة ليضيء لكل مَن في البيت، وشبّهَه يوحنا فمُ الذهب بسيفٍ ذي حدَّين مُسلَط على أهل البدع والهرطقات، وقال سوزومين المؤرخ انه فاقَ الكتبةَ اليونانيين بحكمته ورونق كلامه وأصالة رأيه وسداد برهانه، ووصفَهُ يعقوبُ السروجي بالينبوع الفياض الذي روت مياهُه أهلَ الإيمان، ونعَتَهُ حنانيشوع برسرشوى أسقف الحيرى (القرن ٦) بمحيط العلوم، من يسعه أن يصف غزارة كنوزه. لِيَصمُتِ العلماءُ ولْيتكلّمْ مار افرام. وقال بلاديوس ان افرام يستحق الثناء لأنه امتاز بموهبة العلم الطبيعي واللاهوتي. وشهيرة هي أناشيدُه النصيبينيّة، وقصائده في آلام المسيح، وكتاباته ضد ماني ومرقيون وبَردَيصان، والمحاورة بين الموت والشيطان، أما أناشيده في مديح العذراء مريم فمن أجمل ما عرف الأدبُ المسيحي في كل العصور.

من أناشيد افرام:

(مريم تتكلم:) «بكَ ابتدئ، وأنا واثقة بأني بكَ أنتهي.
أنا أفتح فمي، وأنت املأ فمي.
أنا أرض لك، وأنت الحارث،
فازرعْ فيَّ صوتَك، يا زارعًا ذاتَه في حشا أمه...

«يا ابن الغني الذي كره حضن الغنيّات،
مَن جذبَكَ نحو المساكين؟
فيوسف محتاج، وأنا معوزة.
تجارك حملوا الذهب، وأتوا به، إلى بيت المساكين.
رأت المجوس، فتوافرت نغماتها بقرابينهم.
ها ان الساجدين لك محدقون بي، وقرابينك محيطة بي.

تَباركَ الطفلُ الذي جعل أمَّه كنارةَ ألحانه.

ان الكنارة تنظر إلى صاحبها، وفمي ينظر إليك
فَلْتحرِّكْ إرادتُك لسانَ أمك . . .

المئة والخمسون مزمورًا التي أنشدها (داود)
أنتَ أصلحتَ طعمَها.
لأنّ كل أقوال الأنبياء، تحتاج إلى طِيبك.
فبدون مِلحِكَ، جميعُ الحكم هي تافهة».

٥- نَرسَي الملفان (٣٩٩-٥٠٢)

شاعر ولاهوتي نوهدري، وُلِدَ في داب (عين دلبا، قرب معلثايا، دهوك) درس على عمّه رئيس دير كفر ماري (في بازبدى)، ثم في الرها، وعاد إلى الدير ليتسلم مدرسته مدة سنة، ثم إلى الرها ليدير أشهر مدرسة عرفتها كنيسة المشرق، وهو يمثل مرحلة هامّة في تاريخها، وفي عهده انتقلت إلى نصيبين، فشرّع لها قوانينَ معروفةً، لكنه اتخذ موقفًا مضادًا من قورلس الاسكندري، فصعب الأمر على قيورا أسقف نصيبين، وعلى زميله يعقوب السروجي مؤيد البطريرك الانطاكي سويريوس، وابتدأت الخلافات فالقطيعة بين القائلِين بالطبيعتَين في المسيح كنرسَي، وبين القائلِين بالطبيعة الواحدة كالسروجي.

لُقِّبَ بكنارة الروح، ويدور معظم نتاجه حول الكتاب المقدس، فهو المفسر والمعلم الأول في المدرسة، ويمتاز بفخامة أسلوبه وشاعريته الفياضة، ويتلخص فكره اللاهوتي في محاولته تَفَهّم سر الله قدر ما يسع البشر من إدراك، ذلك ان الله قد رسم تجلياته في ضمير البشر، فراحوا يرسمون صورًا روحية شبيهة بصورة الله. الإنسان فكرة أزلية في العقل الإلهي، ماهيّتُه تعكس ماهيّةَ الله، فيقوم تَشابهٌ كبير بين الله والإنسان في الجوهر والخواص، إذ في الإنسان طبيعة وكلمة وحياة. والإنسان روح ومادة، فحين تحب النفسُ الجسدَ، يحقق الإنسانُ ذاتَه بفضل جدلية ودينامية تتخطى الأفراد والبشر عبر صراع

مدخل دير مار بهنام (ق ١٢–١٣) مع ترميمات

مدخل المعموديّتَين
في دير مار بهنام

ميداليّة في صليب أرمني في مدفن مار بهنام
في دير مار بهنام

أسد منقوش في داخل كنيسة دير مار بهنام (ق ١٢-١٣)

باب المعموديّتين داخل كنيسة دير مار بهنام
(ق ١٢-١٣)

كوني شامل، ولا خوف على القصبة المرضوضة، أي الإنسان، فإنها مرتكزة على حب أزلي عظيم، هو أمل الإنسان وأساس قوته، وضمان انتصاره، والوسيلة التي تحقق عظمة حريته الخلاقة العجيبة.

٦- بابي الكبير (٥٥١-٦٢٨)

من أعظم لاهوتيي كنيسة المشرق. ويمكن اعتباره أحد كبار رواد المسيحانية أي لاهوت المسيح المعروف بالكريستولوجيا Christology، فقد أقر مصطلحات كانت ملتبسة وأضفى على هذا التعليم طابعًا منهجيًا محكمًا. ولد في باعيناثا (بازبدى). ودرس في أكاديمية نصيبين على أستاذها ابراهيم رَبَن (من أقارب مار نرسي ورئيس المدرسة في السنوات ٥٢٧-٥٦٩). وكانت الدراسة تشمل العلوم اللاهوتية بالدرجة الأولى، ولا تخلو من الفلسفة والأدب والطب. لكنه، كالعديد من تلاميذ المدرسة، انقطع عن العالم، فقصد جبل ايزلا وتَرهَّبَ في الدير الكبير الذي أسسه ابراهيمُ الكسكري مجدّدُ الرهبانية. وعاد بعد فترة إلى مسقط رأسه، فأسس هناك ديرًا وألحق به مدرسة، كما كانت العادة سارية في كنيسة المشرق. لكنه استدعي بعد حين إلى الدير الكبير في ايزلا، ليكون الرئيس الثالث له (بعد ابراهيم وداديشوع). وكان صارمًا في تطبيق القوانين الرهبانية، حتى ان توما المرجي يصف كلامه بالعنف وأوامره بالشدة. وحين شغر الكرسي البطريركي بوفاة مار غريغور عام ٦٠٩ ولم يتمكن الأساقفة من اختيار خلف جديد له بسبب الظروف، عينه مجلس أساقفة كنيسة المشرق زائرًا عامًا (ساعورا كاوانايا) على الأديرة، بينما أدار الشؤون الكنسية الأخرى مار آبا بصفة أركذياقون. وظل بابي في منصبه حتى وفاته وانتخاب ايشوعياب الثاني الجدالي بطريركًا، وذلك سنة ٦٢٨. وقد شهد عهده ازدهارًا كبيرًا في الحياة الرهبانية، إذ انخرط ألوف الشبان فيها، وقامت أديرة جديدة كثيرة، بينما اكتظّت القديمة أيضًا بأعداد كبيرة ممن كرسوا ذواتهم للاختلاء والصلاة والتأمل والعلم والرسالة. وكان لبابي دور كبير في تنشيط هذه الحركة، كما في تنظيمها، والحدّ من النزَعات المتطرفة، لاسيما من أصحاب بدعة «المصلين» (مصلياني) الذين كانوا بحجة قوة مفاعيل الصلاة والاتحاد الروحي بالله يسبون المؤمنين، ولاسيما

النساء، ويفسدون الضمائر متجاوزين الأحكام والقوانين، بل الممارسات والشعائر (ولعل هناك مبالغات في الحكم على المصلّين، كما سنرى في باب الروحانية). وكان عليه أيضًا أن يتصدّى لمناوئي المذهب المشرقي التيودوري – النسطوري، من المونوفيزيين، وحتى للتوفيقيين من أتباع حنانا. ولنا شهادة مار ايشوعياب الثالث (البطريرك الحديابي) أيام كان أسقفًا على نينوى، إلى رئيس ورهبان دير ايزلا، إذ يذكّرهم بمثال رئيسهم ويدعوهم إلى الاقتداء بقداسته وغيرته (في كتاب التعزية). وينسب إليه التاريخُ السعرتي أعمالاً ومعجزاتٍ عجيبة فيها الكثير من الفنّ الأدبي الأسطوري المعروف.

اتّسمت كتاباتُ بابي بالعمق الفكري. فيقول المرجي انه ترك ٨٤ مجلدًا هي موضع إجلال في الكنيسة. بينما يقول عبديشوع الصوباوي انها ٨٣ مجلدًا، ويذكر التاريخ السعرتي عناوين ١٦ منها. وصلنا منها خاصةً (كتاب الاتحاد) وهو في لاهوت المسيح وناسوته ووحدة شخصه (نشره فاشالد)، يبرهن فيه، كما في مقالته والنص الصغير، على استحالة وجود كيانَين أي طبيعتَين (كياني) من دون وجود اقنومين (قنوما)، إنما الوحدة في الشخص (فرصوفا). ويشرح ذلك بقوله: ان الله الآب أرسل الابن فتأنّسَ (صار إنسانًا، بشرًا، جسدًا)، وكان إلهًا كاملاً وإنسانًا كاملاً، لأنّ كلمة الله (الأقنوم الثاني) اتّحد بالبشرية (اتّخذ الجسد أي البشرية)، أصبح شخصًا واحدًا، متميزًا عن الله الآب والله الروح. وهو يميّز بين الكلمة (إشارة إلى الجانب الانطولوجي) وبين الابن (الجانب الواقعي)، لكنه يؤكّد بأنْ لا تمييز بين الابن والمسيح، لأنّ المسيح هو الابن، والابن هو المسيح، والشخص هو المشترك بين الطبيعتين، لا نتيجة ذوبان شخصين؛ إنه شخص التدبير (فرصوفا دمذبرنوثا)، فهو اتّحاد بدون خلط ولا مزج ولا فصل ولا فساد، كمثل الحديد والنار. ويقول: الله والإنسان ليسا واحدًا، والبشرية والألوهية ليستا مرادفين، لأن الآخذ ليس هو المأخوذ، وهيئة الله ليست هيئة العبد، فلا خلط بين خواصّ الطبيعتين. لذلك يرفض لقب مريم «أم الله»، كما يرفض لقب مريم «أم الإنسان»، لأنهما يشيعان اللبس. إنّه يفضّل لقب مريم «أم المسيح». ومعلوم ما لهذا التعليم من خصوصية، كانت أحدَ أسباب الخلاف الكبير بين الجناح التيودوري – النسطوري الآخذ بها، والجناح القورِلّسي ثم المونوفيزي القائل بطبيعة واحدة وأقنوم أو شخص واحد في المسيح. وقد

أبانت الدراسات الحديثة أنّ سبب الاختلاف مصطلحات لغوية (باليونانية والسريانية وعدم التطابق بين المفردات) وتقسيمات فلسفية (اختلفت وفق فكر افلاطوني، ارسطوطالي، افلوطيني، وفي مدارس الاسكندرية وانطاكية والرها – نصيبين)، لم يكن الكل مجمعين عليها. ولما كانوا في فترة لا تقبل بتعددية الفكر، عَدَّ كلٌّ فريق منهم الفريقَ الآخر غيرَ محقّ، وبالتالي كفّروا بعضُهم بعضًا، وانقسموا. ومعلوم بأن لاهوتيي كنيسة المشرق الكبار، حَذَوا حذو الآباء القبادوقيين (باسيليوس وغريغوريوس النيصي وغريغوريوس النزينزي) والانطاكيين الأوائل (لاسيما ديودور الطرسوسي وتيودوروس المصيصي)، فبَلوَروا لاهوتًا كتابيًا قوامه التدبير الإلهي والخلاصي، به يدبر الله خلائقه منذ بدايات الخلق وحتى منتهى الأزمنة. وهو في تشديده على تجليات الله، لا يغفل السر المكنون قبل الدهور والذي لا يمكن لمخلوق أن يسبر غوره، مهما بحث وتعمق. ولولا مساعدة الإيمان، لما استطاع الإنسان الوصول إلى حقيقة الله الواحد الأحد من جهة، وإلى حقيقة الله الواحد والثالوث من جهة أخرى، ولو ان المرء بوسعه معرفة الله من خلال أعماله وخلائقه (الأسلوب المعروف بالسَّبَبِيَّة). فإن الله كائن (ايثيا)، وهو واجب الوجود (ايثوثا). انه كيان الوجود (ايثيا دايثاو)، الكائن الأزلي والحقيقي الخالد (الذي لا يموت)، خالق كل الأشياء وعلة وجودها ومحركها والمعتني بها. وهو الجوهر الكامل، الروح، الحياة، الرب، الملك، القادر، الحكيم، الديان، النور. إنه الثالوث بجوهر واحد. الأقنوم يميز الآب والابن والروح (أبوّة، بنوّة، روحانيّة). لكننا عندما نقول ثالوثًا، لا نَعُدّ واحدًا، اثنين، ثلاثة، بل واحدًا، ثم واحدًا، ثم واحدًا، لأنه واحد. جوهره واحد، إرادته واحدة، قدرته واحدة، سلطانه واحد، وسيادته واحدة، ويستعمل أسلوب الجناس لتقريب ذلك من أذهاننا المحدودة، كمثال الشمس (الشعاع، الحرارة، قرص الشمس)، ومثال العائلة (آدم، حواء، هابيل)، والسرج الثلاثة (كلها تنير الغرفة الواحدة بنور هو واحد). . .

ولبابي كتابات صوفية ونسكية عديدة، منها ما يقرب إلى الغنوصية، ومنها نصائح للرهبان وقوانين. وترجم بابي لتلميذه الشهيد كوركيس الراهب، الذي ولد في كنف الأسرة المالكة عام ٥٧٦ وانتمى إلى المسيحية بعمر العشرين، وتَرهَّبَ في جبل ايزلا، بينما ترهّبَتْ أختُه في دير للنساء قرب نصيبين. واشترك في المناظرة الشهيرة التي أقيمت في

بلاط كسرى عام ٦١٢ بين كنيسة المشرق والمونوفيزيين. ووشي به، فحكم عليه الملك الفارسي بالموت، وأعدم سنة ٦١٥ بتهمة خروجه على دين الدولة والجدود. وكتب بابي أيضًا أعمال كريستينا الشهيدة.

لبابي ترتيلة صلاة الصباح التي تتلى في آحاد البشارة، ومطلعها «بريخ حنانا» (تبارك الحنان)، وأخرى في مدح الملافنة ديودوروس وتيودوروس ونسطور الذين تخصهم كنيسة المشرق بتقدير بالغ، وتعيّد لهم في إحدى جُمَع موسم الظهور (الدنح). وله ترتيلة أخرى ترتّل في موسم الصوم الكبير مطلعها «شوحا لاخ آلاها» (سبحانك اللهم).

سابعًا – المراكز الثقافية

يندر أن اهتمت مؤسسة أو كنيسة بالثقافة كاهتمام كنيسة المشرق بإقامة مدارس إلى جانب الكنائس والأديرة.

وقد كانت اللغة السريانية هي التي اختيرت لغةً للفكر والعلوم في هذه المدارس. والسريانية وريثةُ الآرامية والأكادية والحضارات المشرقية العريقة، وأهمّ لغة بعد اليونانية في عهد الامبراطوريتين الرومانية والفارسية وحتى انتشار العربية بعد الفتوحات الإسلامية.

والسريانية لغة معاهد وثقافة، لا لغة كنيسة ولغة تراث ديني وحسب. فللسريانية تراث فكري فلسفي، وأدبي علمي يتعدّى نطاق الدين وشؤون الكنيسة. وما التركيز على الأدبيات الدينية واستخدام الفلسفة والعلوم في خدمة الدين إلاّ من باب الموروث الحضاري، حصيلةِ ذهنيةٍ عرفتها العصورُ الخوالي.

وكما انّ من الطبيعي أن تحتلّ لهجةٌ معينة مكانةً أدبية فتسود رسميًا كما هي الحال فيما يخصّ اللغات الثقافية في التاريخ، هكذا قيض للهجة الرهاوية أن تصبح لغة الأدب والكنيسة المشرقية، ثم تتأثر باليونانية لاقتباس الفلسفة والعلوم اليونانية، وتغدو أداة لانتقالها إلى العربية، وتتكرس لغةً لكنيسة المشرق بمفهومها الأوسع. ولا شك في ان ما ساعد على ذلك مملكةُ الرها وانتشارُ المسيحية فيها منذ فجر المسيحية، وقيامُ جهابذة فكرٍ وعلم، أمثال طيطيانس وبرديصان، حتى ازدهار المدرسة الرهاوية التي يمكن اعتبارها هي

ومدرسة نصيبين أشهر أكاديمية جامعة ما بين القرنين ٤ و٧ م والأولى من نوعها بالنسبة الى الآداب والى العلوم السريانية.

١- الرها مملكة حضارية

انتزعت الرها بقليل من الزمن أسبقيةً لغوية وثقافية على سائر دويلات الآراميين، وعُرِفَتْ لغتُها بالسريانية لاسيما بعد أن أعلنت الرها مسيحيتها، وغدت أول مملكة مسيحية، بعد الحبشة. وتَصدّرَت مركزًا لنشر النهضة القبادوقية التي قامت على أيدي الآباء باسيليوس وغريغوريوس النيصي وغريغوريوس النزينزي. وكان التنظيم الإداري في الرها ذا طابع هِلّنستي، تبدو عليه تأثيرات فرثية، مع أصول قديمة ترجع إلى حضارتَي وادي الرافدين ووادي النيل. وان خزانة المملكة الرهاوية الخطّية ووثائقها المدوَّنة من أنفس الآثار السريانية، سوف يستقي منها أوسابيوسُ القيصري معلوماتٍ قيّمة في تاريخه الكنسي الشهير، ونشهد ذلك في آثار القصر والمعبد ومَرافق عمرانية أخرى مزيّنة بالتماثيل والرسوم، أو في شواهد القبور المشفوعة بكتابات سريانية تعتبر من أقدم الكتابات السريانية، بعد التطور الحاصل على الآرامية. وفنونُ الرها والحظر ودورا وتدمر مشرقيةٌ وغربية، أما الثقافة في الرها فهو مشرقي الكلام والكتابة.

وقد كانت الرها مرتبطة بطريق مهم يصلها بنصيبين وحدياب فأرمينية باتجاه الشرق، وبسنجار والحظر في الجنوب الشرقي، وبميسان حتى الخليج والهند في الجنوب، وبمنبج فالشام إلى الغرب، وبتدمر إلى الشرق الأقصى. وكان ثمة طريق آخر عبر منبج إلى فلسطين. كل ذلك يشكل دليلاً على أهميّة الرها التجارية والاقتصادية.

وأُطلِقَ على الرها اسم «المدينة المقدسة»، أيام كانت تدين بالإله حداد (زيوس وجوبيتر لدى اليونان والرومان)، وزوجته ترعتا (ترعطا Atagratis) وباليونانية (هيرا Hera) ثم أُكمِلا بإلهٍ شاب، فكان الثالوث، كما في تدمر (بيل واغليبول وبرجيبول) والحظر (مارن، مرتا، برمارين) ولدى اليونان (زيوس واتارغراتيس وابولو). أما في المسيحية فأُطلِقَ عليها اسم «المدينة المباركة»، ونُسِبت بركتُها إلى يسوع المسيح نفسه وأسطورة أبجر، ويذكرها مار افرام في أناشيده.

وللرها دور كبير مؤثر في تاريخ كنيسة المشرق وفي الأدب السرياني بفضل مدرستها ومشاهيرها المتميزين.

٢ – مدرسة الرها – نصيبين

مدرستان متشابكتان بل مدرسة واحدة، نبتت هنا وأينعت هناك، ونمت في نصيبين لكي تزهو في الرها وتثمر هنا وهناك على أيدي الأساتذة عينهم والمناهج ذاتها.

والنزوع إلى الثقافة قديم في كنيسة المشرق بقدم الأصالة الرافدية، لم توقفه الاضطهادات ولم تخنقه الصعاب، ولو أنها أخّرتْ وعرقلت المسيرةَ وأتلفَت الكثير من الإرث الحضاري. ودوافعُ التوجه الثقافي إيمانٌ بالحكمة وانفتاحٌ على الحق وتوارثٌ مستديم تَكرَّسَ في تبنّي كنيسة المشرق ورهبانياتها خطًا ثقافيًا متميزًا، أسفرَ عن قيام مدارس كنسية ورهبانية عديدة، بل كليات وجامعات ومستشفيات مستقلة، أشهرها مدرسة الرها ونصيبين، وبيمارستان جنديسابور، ومدرسة سلوقية وغيرها.

لا مغالاة في إطلاق تسمية كلية جامعة على مدرسة الرها – نصيبين ما بين القرنين ٤ و٧ م. فهي من حيث العدد والاختصاصات وتنوّع المعارف والضبط العلمي والمناهج والنظام التدريسي والبحوث تتمتّع فعلاً بكلّ الصفات الأساسية التي تجيز لها ذلك، مع فارق الأزمنة. انها وجنديسابور، ثم بيوت الحكمة ومعاهدها والبيمارستانات في العواصم العربية اللاحقة يمكن أن يُطلَق عليها اسمُ كليات بما في هذا المصطلح من مضامين.

يرجع تأسيس مدرسة الرها – نصيبين إلى عهدٍ سحيق، اكتسبَتْ شهرتَها على يد مار يعقوب معلّم مار افرام، ثم في الرها على يد مار افرام أعظم أساتذة وآباء مسيحية التراث السرياني. وقد كان مار افرام مشرقي النزعة تمامًا، لم تتأثر كتاباتُه باليونانيّة، وستظلّ نصوصًا رسميةً للمدرسة حتى تُستبدَل أيام ربولا وهيبا وقيورا ثم حنانا (في العقود الأولى من القرن الخامس) بكتابات تيودورس المصيصي وتبنّى فكره، فتبتعد نوعًا ما عن «التقليد» المشرقي الخالص.

كان التفسير في المقدمة من برنامج مدارس كنيسة المشرق لِصَون الوديعة وتعميق الإيمان وضمان استمرارية التقليد (مشلمانوثا)، بخط يرسمه المعلم الأول (رَبَن)، فتتم

شروح وتفاسير بعد امتحان النص لغويًا وضبط الترجمة وعقد المقارنات ودراسة تاريخ النص، وصولاً إلى استنتاجات روحية ورمزية. لذا نشطت في مثل هذه المدارس علوم اللغة والأدب والمنطقيات والرياضيات ومبادئ الطب. بالإضافة إلى اللاهوت والروحانيات.

ويمكننا تمييز ثلاث مراحل في مدرسة الرها – نصيبين، تتمثل الأولى في ظاهرة مار افرام، والثانية في عهد نَرسَي، أما الثالثة فهي أقدم من الاثنتين، وتتمثل في بَرديصان وأمثاله. فهذا مشرقي ذو أفكار خاصة، ومار افرام كتابي غير متأثر بالإغريق، ونَرسَي يجمع النزعتين بمنطقية يونانية وتأثُّر انطاكي مع احتفاظ بخصوصية مشرقية ستتباين في الظهور عبر الأيام.

يقول الصوباوي ان مدة الدراسة ثلاث سنوات، وتؤكد قوانين المدرسة (نَشَرها كويدي ثم فوبس) بأن الطلبة ينقطعون خلالها إلى الدراسة كليًا، فلا يحقّ لهم أثناءها العمل أو التجارة ولا الارتباط العائلي. يدرسون في السنة الأولى أسفار يشوع والقضاة وصموئيل والملوك والأمثال والجامعة وأيوب ورسائل بولس وأسفار التوراة، ويتعلمون الهجاء والقراءة والكتابة والألحان. وتخصص السنة الثانية لأسفار المجالس الأخرى (موتبي): كتب الأنبياء وتراتيل (عونياثا) القداس على مدار السنة. ويكملون في الثالثة الأسفار المتبقّية من الكتاب المقدّس، وأول ما يبدأ به الطالب قراءة المزامير وتعلّمها غيبًا وفق طريقة مدرسية، ودراسة الصرف والنحو والخط.

ولأهمية العلم ومعاهده نشأت مراكز ثقافية عديدة، وكانت الأولى في كنيسة المشرق بأبرشياتها وأديرتها مدرسة الرها – نصيبين. وستقوم هذه المدرسة بدور الصلة بين الكنيسة المشرقية والكنائس الأخرى، وستكون كذلك أداة الخلاف حين يرتضي أساتذتها وتلاميذها بأن تسحرهم تعاليم المدرسة اللاهوتية الجديدة والجدالات بشأن المسيح، فتغدو كنيستهم فريسة انقطاع يزيدها عزلة واغترابًا.

٣– مدرسة جنديسابور

بيت لافاط أو جنديسابور عاصمة عيلام أو الأحواز، قريبة من سوسة مشتى ملوك الفرس، سكَنَها العديد من الأسرى الروم لدى جيش فالريان ٢٥٨، وقد كُلِّفوا بإنشاء جسر على الدجيل وإقامة منشآت أخرى فأكرمهم سابور الأول وأباح لهم بناء الكنائس،

حتى صارت الشعائر المسيحية تجرى في بعض الأماكن بالسريانية واليونانية. وأبدى سابور عناية بجمع الكتب اليونانية والهندية ونَقَلَها إلى الفهلوية وكذلك فَعلَ سابور الثاني وكسرى انوشروان. واحد الأسرى ديمتريانوس أصبح بطريك انطاكية في القرن الرابع. وسوف يأتي البطريك اثناسيوس الجمال (٥٩٥–٦٠٤) إلى المشرق لتدشين كنيستين شيدهما كسرى الثاني وأغناهما بالعلماء الذين تشتتوا إثر جستينيان من مدرسة أثينا، كما احتضن المشرق أساتذة مدرسة الرها – نصيبين بعد أن أغلقها ملك الروم زينون. نلقى جبرائيل السنجاري رئيس أطباء (دروستباد) كسرى انوشروان، وطيمثاوس النصيبيني رئيس أطباء هرمزد الرابع ابن كسرى.

عرفت مدرسة جنديسابور مصنّفات ابقراط وجالينوس والطب الهندي، إذ أرسل كسرى الأسقف بودّ إلى الهند ليأتي بالكتب وينقلها، من ذلك كتاب كليلة ودمنة؛ فالتقت الحكمة المشرقية بالهندية واليونانية والفارسية، ونشطت العلوم. وزرع قصب السكّر حول المدينة، وقام فيها مرصد بل مدرسة فلكية. واشتهرت جنديسابور خاصة ببيمارستانها، برز فيه آل بختيشوع وآل ماسويه، ممن سيعملون على تقدم الطب وانتشاره في بغداد ومدن أخرى أيام العباسيين.

٤– مدرسة ميافرقين

ميافرقين أو ميافرقط حَدٌّ فاصل بين البيزنطيين والساسانيين، سُمّيت بمدينة الشهداء لكثرة شهدائها ولجمعها رفات العديدين وسِيَرهم. برز فيها ماروثا الأسقف الذي قَدِمَ المدائن بوفادة من اركاديوس أول أباطرة البيزنطيين إلى يزدجرد العاهل الفارسي، ثم من قِبَل تيودوسيوس الثاني عام (٤٠٩–٤١٠)، فاغتنم الفرصةَ مار اسحق جاثليق المشرق وعقد أول مجمع رسمي تبنّى ما نقله مار ماروثا من أعمال مجمع نيقية (٣٢٥). وينسب إلى ماروثا نقل كتاب سير الشهداء وشرحٌ لدياطسّرون طيطيانس. وقام في هذه المدينة علماء آخرون.

٥– مدرسة سلوقية والمدائن

تُعزَى إلى مار ماري، وقد تخرَّجَ منها مشاهير كثيرون، حبيب من قردو مؤسّس دير في كفر توثا، ومار آبا مجدّد المدرسة التي استقطبت أساتذة وتلاميذ عديدين غادروا

مدرسة نصيبين بعد إغلاقها ردحًا من الزمن، ومن رؤسائها ومعلميها أيوب الذي رُشِّحَ للجثلقة عام ٥٨٢، وايشى (أواخر القرن ٦)، ورراميشوع وجبرائيل القطري، والجثالقة غريغور الأول، صليبا زخا، وآبا الثاني، ويشوعبرنون، وإيليا الأول، وسبريشوع مطران باجرمي (القرن ٧).

٦- مدرسة مرو

برزت كمدرسة لاهوتية وفلسفية كبرى. أنجبت تيودورس المروزي وإيليا مطران مرو، بينما أصبح جبرائيل أخو تيودورس أسقفًا على هرمزداردا شير.

٧- مدرسة الحيرة

الحيرة ملتقى حضارات اشتهرت بقصورها ودياراتها، انطلق منها رهبان كإيليا باني دير سعيد في الموصل، وأنجبت حنين بن اسحق أعظم مترجم وطبيب في العصر العباسي.

٨- مدرسة دير قنى

تقع قرب العزيزية وعُرِفَت أيضًا بإسكول مار ماري إذ أسّسها مار عبدا في الدير الذي شيّده في القرن الرابع قرب كنيسته. يرجع تاريخها إلى مار ماري رسول المشرق، واشتهرت بالفلسفة والمنطقيات، وبلغ عدد أساتذتها الستين في إحدى حقبات تاريخها، وتخرَّجَ منها عبديشوع من ميسان ومار آحا الجاثليق ويهبالاها الجاثليق مشيد دير في منطقة بابل بلغ عدد رهبانه الأربعمائة كانوا يتلون صلواتهم بالسريانية واليونانية واللاتينية والقبطية وأقاموا فرقتين تلازمان العناية بالمرضى وخدمة الغرباء. واشتهرت مدرسة دير قنى بالفلسفة والمنطقيات، فتخرّجَ منها أبو بشر متى بن يونس رئيس المنطقيين في زمانه.

٩- مدرسة بلد (أسكي موصل)

قامت في بلد عدة مدارس، أشهرها التي أقامها الأسقف مرقس خارج المدينة وجمعَ فيها بعضَ تلاميذ مدرسةِ نصيبين، ومدرسةِ دير مار كوركيس (جرجيس). وعُرِفَ أسقفُها شوحاليشوع سنة ٤٩٧، وماري الأسقف عضوُ الوفادة التي بعث بها كسرى إلى يوستينيانس، وبولس الأسقفُ الذي أوفدَتْه بوران نحو سنة ٦٣٠ وأصبح مطرانًا على حدياب، وايشوعياب الجدالي الذي أصبح جاثليقًا. ومن مشاهير البلديين أحودامه،

والبطريرك اثناسيوس الثاني، والمفريان باسيليوس، وموسى بركيفا وغيرهم.

١٠– تكريت ومدرستها

تقع على ضفة دجلة اليمنى (٧٠ كم شمالي بغداد و٢٤٠ جنوبي الموصل)، قرب قلعة آشورية في الأصل، اسمها «برثا» أي البنت، والاسم الحالي «تيغورتا» أي التجارة. اختارها احودامه مقرًا للكنيسة السريانية في المشرق عام ٥٥٩، وأصبحت مفريانية منذ ماروثا التكريتي (٦٢٩–٦٤٩) تبعتها عدة أسقفيات سريانية، نافسَتْها في المفريانية في مواقع أخرى: دير مارتر، بلد (اسكي موصل)، قرة قوش، إضافة إلى كنيسة مار ماروثا، قامت فيها كنيسة سركيس وباكوس، كنيسة مار مورميس، والكنيسة الخضراء الشهيرة. نُكِبَت المسيحية فيها عام ١١٥٣، ثم أيام محلة صرلاكد عام ١٢٥٨، وبدأ نزوح أهلها من المسيحيين منذ القرن ٩. قامت عدة أديرة على أطراف تكريت واشتهر فيها علماء ولاسيما فلاسفة أصلهم منها أو عملوا فيها، أمثال احودامه وماروثا وقرياقوس البطريرك، وانطون الفصيح او البليغ صاحب كتاب معرفة الفصاحة، وموسى بن كيفا صاحب كتاب في النفس ومصنفات كثيرة، والفيلسوف الكبير يحيى بن عدي (٨٩٣ – ٩٧٤) الذي انتهت إليه رئاسةُ المنطق والفلسفة في زمانه، وشقيقه ابراهيم المعروف بالكاتب، وابو نصر يحيى بن جرير الطبيب والفلكي والفيلسوف تلميذ عيسى بن اسحق بن زرعة صاحب كتاب المرشد.

الفصل الثاني عشر
كنيسة المشرق والإسهام الحضاري

١- التواصل الحضاري

يصعب تحديد الحضارة، لكننا نقصد هنا مفهومها العام، حين يتخذ المرء موقفًا من الحياة والكون، فيعمل جادًا على البناء والعمران وتحقيق الذات، بشتى أنواع التعابير الفكرية، المجتمعية، الفنية، والعملية. هذا ما حمل المرء منذ البدايات على عدم الاكتفاء بما يلتقطه من الطبيعة من مأكل ومشرب، ولا على ما يسند إليه رأسه ويحمي جسمه من الحر والبرد وأخطار قد تأتيه من الحيوان أو غيره، فسعى إلى اكتشاف ما بوسعه أن يدرأ عنه الأذى، وما يؤمّن به طعامه وملبسه بشكل منتظم. فاخترع الزراعة، وعَرفَ بها الاستيطان، فنشأت المستوطنات والقرى والمدن والدول. ثم أراد أن يكون تعاملُه مع الآخرين بنفعٍ وذوق وفن وفكر وحكمة، فاخترع الكتابة والتدوين، وعرف الأدب والعلوم والفنون.

ما نشدّد عليه هنا هو هذا الإرث الحضاري الذي جاء نتيجةَ تراكُمِ عصارة التجربة الإنسانية المتميزة، في أي مكان وزمان، ومن أي جنس ولغة ومذهب. إنها «المدنية»، إرث الإنسان الحضاري بعمره التاريخي الحافل بالإبداع. أما الصفحات السُود التي سجلها الإنسان عبر تاريخه المديد فهي سلبية قد نستفيد منها أيضًا لتجنُّبِها أولاً، وللقيام بما هو مضادّ لها، أي بما يتيسر من إيجابيات تحقق مزيدًا من العمران.

ونتساءل: هل كان لإنساننا المشرقي إسهام في بناء الحضارة ورفد المدنية بما يمكن اعتباره إبداعات وروائع؟ لقد أجبنا عن هذا في فصل (البيئة الحضارية). لذا، فإننا نكمل سؤالنا بما يلي: هل لإنساننا المشرقي المسيحي دور خاص في عملية البناء هذه؟ هذا ما نحاول الكشف عنه في الفقرات التالية.

علينا الأخذ بما نسميه «التواصل الحضاري» لكي لا نعزل حضارة عن أخرى، ولا حقبة حضارية عن غيرها، ولا أي إسهام في بناء الحضارة عن الإسهامات الباقية. وهذا

زمزمية من النحاس المكفتة بالفضة من صناعة الموصل في القرن الثالث عشر الميلادي محفوظة في متحف الفرير بواشنطن.

يعني القول بحضارةٍ كوّنها أناسُ مناطق وبلدان وأقوام لا حصر لها بالسهولة التي نلقاها عادة في كتب تعميمات موسوعية تريد التركيز على بلد دون غيره، أو على قوم دون آخرين، أو على حضارة معينة.

يومًا بعد يوم يزداد البحر الحضاري ماء، وسنة بعد سنة يكبر عمر المدنية الإنسانية، وقرنًا فقرنًا يزداد الإرث الحضاري عمقًا ويتسامى شفافية، إنما ليس في كل البلاد ولدى الجميع، بل على الصعيد الإنساني الشامل. فقد يضعف الحس الحضاري في بلد ما ومجتمع معين، بل ربما في فترة زمنية محددة لوقوع كوارث أو حدوث أزمات خطيرة، بينما قد يتصاعد في مكان أو زمان آخر، لحصول مسببات تعمل على سرعة الإنماء والتقدم. إنما يبقى الخط البياني الحضاري معيارًا للشعوب وللبلدان وللإنسان.

ونحن مع التواصل الحضاري، ومع إسهام الكثيرين في تكوينه، وإنمائه، وتصعيده، واستمراره. ونزيد هنا، وهو سبب إطالة هذه المقدمة على غير عادتنا في هذا الموجز، فنقول: إن للإنسان المشرقي المسيحي أكثر من إسهام وإبداع عبر تاريخ كنيسته الثري بخبرات فريدة. لا يسعنا طبعًا التوقف عند كل الإسهامات والإبداعات، لذا سننتقي فترتين فحسب، إضافة إلى ما جاء متناثرًا من خلال فصول وفقرات هذا الكتاب.

٢- الإسهام الحضاري في بناء الحضارة العربية في العهد العباسي

كثيرون هم الذين تصدّوا لهذا الإسهام، لكنّنا نسجّل الفضل الأكبر هنا لمؤرخين وكتبة عرب مسلمين. فهم الذين، بالدرجة الأولى، رصدوا أسماء وأعمال فلاسفة وعلماء مسيحيين برزوا في العصر العباسي، بَنَوا حجارةً رائعة في صرح الحضارة العربية في عصرها الذهبي. فلولا ابن النديم، والبيهقي، وابن جلجل، والقفطي، وابن أبي أصيبعة، والحاج خليفة، وكذلك المسعودي وياقوت الحموي والاصفهاني وغيرهم، لما تجمّعت لدينا مادة دسمة تُظهر لنا بوضوح مساهمةَ المسيحيين من المشرقيين في البناء الحضاري في العديد من الجوانب الفكرية والعلمية.

اتّسم العهدُ العباسي بالاستقرار، وبعث هذا على تقدم الفكر والعلوم، بفضل انفتاحٍ كان عليه العديد من خلفاء بني العباس، فدخلت مسيحية المشرق عصرًا جديدًا، بعد أن

شمعدان من صناعة داود بن سلامة الموصلي المحفوظ في متحف الفنون الزخرفية بباريس مؤرّخ من سنة ١٢٤٢ ميلاديّة.

انتهت الاضطهادات التي قاستها أيامَ حُكم الملوك الفرس، وزالت المضايقات التي لاقتها في بعض سنوات انتشر فيها الإسلام في البلاد وفي ظل بعض الحكام الأمويين. ويمكن القول ان كل شيء كان قد بدا مهيئًا لافتتاحِ عهدٍ حضاريٍّ عظيم منذ أيام الخليفة المنصور، وانفتح المجالُ أمام أصحاب الفكر والعلم والأدب والفن، فتقاطروا إلى عاصمة الخلافة الجديدة بغداد، وتمكنوا من إظهار مواهبهم، وتطوير علومهم، بفضل احتضان الخلفاء والأمراء والأثرياء لهم.

يفيدنا التاريخ ان أطباء الخلافة كانوا عادة من المسيحيين. فإن الخليفة المنصور أول من استدعى جيورجيوس بن بختيشوع من مدرسة جنديسابور الطبية (البيمارتسان) لإبرائه، وخلَفه أولادُه وأحفادُه في خدمة الخلفاء والولاة والوجهاء، كما تَعاقَبَ على ذلك كل من يوحنا بن ماسويه، وحنين بن اسحق، وغيرهم كثيرون.

كما كان اعتماد الخلفاء على الناطقين بالسريانية ومَن يتقنون اليونانية، وجُلُّ هؤلاء من المسيحيين المشرقيين، لترجمة الكتب العلمية والفلسفية من اليونانية إلى العربية، عبر السريانية لغة كنيسة المشرق. وبذل الخلفاء والأثرياء أموالاً طائلة للحصول على كتب العلوم والفلسفة من بلاد الروم، وأوفدوا العلماء لهذا الغرض، حتى تجمعت النصوص القديمة. وقام المشتغلون بها بتحقيق نصوصها، ونقل محتواها إلى السريانية والعربية، بعد إجراء تعديلات كثيرة، لاسيما في ما يخصّ المعتقد، مزيلين من الكتب العتيقة ما ينافي التوحيد المسيحي والإسلامي. وكان العمل جماعيًا يسهم فيه الكثيرون، وأخذت بيوتُ العلم تنمو وتزدهر، بعد أن كانت مقتصرة على الأديرة والمدارس الكنسية. واحتلت العلوم غير الدينية حيزًا كبيرًا في هذه الفترة، بسبب الانفتاح الفكري والمناخ الحضاري الجديد. وكان التركيز على المنطقيات والفلسفة بشكل عام، كما على الطب وعلوم الطبيعة الأخرى. ولا مبالغة في القول ان العصر العباسي شهد أعظم حركة ترجمة عرفها العالم، لاسيما على يد حنين ومدرسته، وفي بيت الحكمة البغدادي.

وقرَّبَ الخلفاءُ رؤساءَ كنيسة المشرق أيضًا، لأنهم كانوا بعيدين عن التعصب، بل منفتحين على المذاهب وعالم الفكر والأدب والفن. لنا في ذلك أمثلة عديدة، من أشهرها علاقة البطريرك طيمثاوس الكبير بالبلاط وحواره مع الخليفة المهدي، وقد جاء الحديث

عن هذا البطريرك في باب البطاركة العظام. وكان للمهدي طبيبُه موسى بن اسرائيل الكوفي، وللخيزران زوجته المفضلة صيدلاني هو عيسى ابو قريش، وكلاهما مسيحيان. أما طبيب الخليفة الرشيد فهو جبرائيل بن بختيشوع، المقرَّب لدى جعفر البرمكي. وكانت زبيدة زوجة الرشيد مُحِبّة للكنائس والأديرة والمناسبات الدينية. أما المأمون فقد قرَّبَ العلماءَ والأطباء وبعث في حركة الترجمة روحًا جديدًا عاليًا، بحيث اتخذت طابعًا علميًا منظمًا أعطى ثمارًا وفيرة. واشتهرت مدرسة حنين، يساعده فيها ابنه اسحق، وابن أخته حبيش بن الحسن الاعسم، واصطفن بن بسيل، وموسى بن خالد، ويحيى بن هارون، وعيسى بن يحيى. وكانت طريقته في الترجمة نقدية علمية، يتوخى فيها العبارة لا الحرف، والدقة في الايضاح، على عكس طريقة ابن البطريق الحرفية المادية.

وبعد أن أدار يحيى (يوحنا) ابن البطريق ترجمة الكتب الفلسفية والعلمية، وقام سابور بن سهل بجهد كبير، تولى يوحنا بن ماسويه بيت الحكمة بعده، حتى برز هذا البيت في عهد حنين، فكان من أجَلّ الحركات العلمية التي عرفها العالم في تاريخه الحضاري، إذ استقطب خيرة المتمكنين في عالم الترجمة وصفوة العلماء، أربى عددهم أحيانًا على المائة، كانوا شبه متفرغين للعمل، يشرف عليهم حنين، فواحد يترجم وآخر يصحح وثالث ينقل. وبرز غيرهم في ميدان الترجمة كالصابئي ثابت بن قرة والمسيحي قسطا بن لوقا البعلبكي، وبرع في المنطقيات كل من أبي بشر متى بن يونس، أحد تلاميذ يوحنا بن حيلان معلم الفارابي، ثم يحيى بن عدي التكريتي وعيسى بن زرعة وغيرهم. بينما برز في ميدان الطب، إضافة إلى من جاء ذكرهم، أبو الفرج بن يحي بن التلميذ، وهبة الله بن التلميذ، وصاعد بن توما، وأبو الحسن ابن المسيحي، وأبو الخير ابن المسيحي، وجبرائيل الكحال، وسلمويه بن بنان، وأبو يحيى المروزي. ويربو عدد الأطباء من آل بختيشوع على الثلاثة عشر، خدموا عدة خلفاء وأمراء ووجهاء في بغداد وميافرقين عدة أجيال.

وقد بلغ نفوذ بعض الأطباء المسيحيين درجة عالية من التأثير، حتى ان دورهم في اختيار بعض البطاركة كان أساسيًا في بعض الأحيان، ومردود ذلك إيجابي وسلبي معًا. ووصل دخل العديد منهم إلى حد غير معقول، كما يسهب في ذلك المؤرخون، حتى انساقَ بعضُهم إلى الترف والبذخ وحتى الفساد، بينما عاش غيرهم قِيمَهم ومبادئَهم

قبّة كابيلّة السيّدة العذراء في كنيسة
دير مار بهنام (ق ١٢–١٣)

باب المعموديّتين داخل كنيسة دير
مار بهنام (ق ١٢–١٣)

مار بهنام بثياب صليبيّة يقتل الشرّ
(١١٦٤)

نهر دجلة في بغداد

أحدأطفال كنيسة المشرق

وأخلاقيتَهم المسيحية، كما فعل جيورجيوس عندما شاء المنصور أن يعوّض له في غربته عن زوجته بجاريتين، فطردهما. وكما فعل حنين عندما امتحنه الخليفة المتوكل طالبًا أن يصنع دواءً سامًا فامتنع لأن الدين والصناعة (الطب) لا يسمحان له بذلك. إلى غير ذلك من عبر ودروس مفيدة.

واشتهر المسيحيون في مجال العلوم الأخرى أيضًا، كالعلوم الطبيعية، وبعض الفنون. فمنهم من برز في الرياضيات، ومنهم في الفلك والتنجيم، وغيرهم حتى في الكيمياء، مع الحذر والتقيد في بعض العلوم والفنون بما لا يتنافى والدين والآداب العامة.

وبرع الناطقون بالسريانية في مجال الفلسفة، لاسيما المنطقيات، حتى انه ينبغي الاعتراف بفضلهم في انتقال فلسفة الإغريق إلى العرب، عن طريق السريانية، لأنهم لم يتركوا كتابًا في المنطق والفلسفة إلا ترجموه، وشرحوه، ولخصوه، وألفوا فيه. سواء كتب الاورغانون الارسطوطالية، أم جوامع الاسكندرانيين، أم مقدمة فرفوريوس الصوري المعروفة بالايساغوجي. فلهذه كلها، كما لغيرها من كتب الفلسفة لأرسطو وأفلاطون وغيرهما من فلاسفة اليونان أكثر من ترجمة وتعليق وتحليل. وكانت تدرَّس في مدارسهم السريانية، ثم عمت المدارس كلها. فكان علماء كنيسة المشرق هؤلاء حلقة وصل بين حضارة الاغريق وحضارة العرب، دون أن يعني ذلك أنهم كانوا مجرد نَقَلة كأدوات ووسائل، لأنه لا بد من استيعابٍ وهضمٍ وإبداعٍ لكي يتمّ نقلُ حضارة، ولا يمكن نقل أية حضارة كما هي، بل بما يضفي عليها الناقل من خصوصيات، وهو ما فعل مفكرو السريانية بشكل عام، وعلماء كنيسة المشرق بشكل خاص. لقد قاموا بدورٍ حضاري متميز ينبغي تسجيله لهم بكل حق.

ولا نغفل المفكرين والعلماء من رجال الكنيسة، أمثال حبيب بن بهريز مطران الموصل، وفثيون بن أيوب الترجمان، وتيودوروس أسقف الكرخ، وجرجس مطران الموصل، واسرائيل أسقف كسكر، وإيليا الأول الجاثليق، وعبدالله بن الطيب الذي كان كاهنًا، وأمين سرّ بطريركَين، وفيلسوفًا، وطبيبًا، وقانونيًا، وكتابيًا، ولاهوتيًا، ولُقِّب بالشيخ. وكذلك المطران إيليا برشينايا مطران نصيبين الذي له مجالس مشهورة ومناظرات مع أبي القاسم الحسين ابن علي المغربي، وقد ترك إرثًا فكريًا ودينيًا عظيمًا.

٣- الإسهام في الحركة الثقافية في العراق في القرنين ١٩ و٢٠

نكبت البلاد حضاريًا منذ حملات المغول، وضعفت الثقافة في عهد الأتراك العثمانيين، حتى بدت بوادرُ نهضةٍ فكرية وعلمية في أواسط القرن التاسع عشر، واستمرت في تصاعد مطّرد حتى الحرب العالمية الأولى، ثم نشطت بعد انتكاسة وجيزة، وأخذت تخطو خطوات حثيثة منذ تكوين الدولة العراقية، وما تزال. وإننا نودّ هنا تسليطَ أضواء على إسهام المسيحيين العراقيين في تحقيق هذه النهضة، كتأكيدٍ آخر على أنّ كنيسة المشرق لم تتخلَّ عن دورها الريادي في حمل مشعل الثقافة عاليًا.

وهنا لا بدّ من القول ان الفضل في بعث الحركة الثقافية كان على أيدي مرسلين أجانب، وكاثوليك من إيطاليين وفرنسيين وغيرهم، وانكليكان وبروتستنت (إنجيليين) من إنكلترا والمانيا وأميركا، ثم بعض الارثوذكس من روسيا. هؤلاء جميعًا فتحوا المدارس، وجاءوا بالكتب، بل وضعوا ركائز أولى للنشر في البلاد، بدءًا ببغداد والموصل وشمال العراق، كما في أورمية وحكاري.

صحيح أنّ ثمار هذه الارساليات لم تكن كلها إيجابية لأن الانفتاح والتعددية لم يكونا بعد مقبولَين في تلك الأزمنة، حتى انه قامت منافسات شديدة بين الأطراف، بلغت أحيانًا حد التطرف، وزرعت البلبلة. لكننا إذ نحكم على الأمور، لا بد لنا من أن نضعها في إطارها التاريخي الواقعي.

غير ان نهضة ثقافية حقيقية قامت على أكتاف مفكرين وعلماء من أبناء كنيسة المشرق، بعضهم درسوا في الخارج، وغيرهم تعلموا في مدارس مختلفة وأفادوا من الأجانب، لكنهم تمسكوا بالأصالة المشرقية، وحاولوا تقديم العون لأعضاء الجسد الواحد.

فعلى الصعيد الديني والثقافي الكنسي، لا بد لنا من أن نذكر الشماس روفائيل المازجي، البطريرك افرام رحماني، المطران يوسف اقليميس داود، البطريرك عبديشوع جرجس خياط، الانبا شموئيل جميل، المطران أدي شير، المطران توما اودو، القس بطرس نصري، المطران بطرس عزيز، المطران طيمثاوس مقدسي، (القس) الفونس

منكانا، القس قرياقوس مخنوق، الخوري يوسف تفنكجي، البطريرك يوسف عمانوئيل الثاني توما، المطران يعقوب اوجين مَنّا، القس يوسف قليتا، المطران (ثم البطريرك) يوسف غنيمة، الأب اوغسطين مرمرجي، القس (ثم الخوري فالمطران) سليمان صائغ، البطريرك افرام برصوم، القس عبد الأحد جرجي، الخوري بطرس سابا، المطران بولس هندو، الخوري افرام عبدال، الخوري بولس بيداري، البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث، المطران بولس بهنام، الأب بول نويا، وغيرهم. هؤلاء نشروا العلم وألفوا وأنشأوا الصحف والمجلات. ساندَهم في ذلك علمانيون كثيرون من مسيحيي البلاد، بل انفردوا وانصرفوا إلى الفكر والأدب والعلم والسياسة، أمثال: سليم حسون، داود صليوا، نعوم سحار، المستر هرمز والمستر كريستيان رسام، رؤوف الوس، جبرائيل البناء، جبرائيل حنوش، عبد المسيح وزير، رزوق فرج رزوق، الوزير يوسف رزق الله غنيمة، الطبيب سليمان غزالة، حنا خياط، نعمة الله دنو، مريم نرمي، روفائيل بطي، توفيق السمعاني، حنا رسام، حنا بطرس، زكريا يوسف، يعقوب سركيس، نرسيس صائغيان، الأب انستاس ماري الكرملي، بشير يوسف فرنسيس، روفائيل بابو اسحق، يوسف يعقوب مسكوني، فؤاد سفر، متي عقراوي، لطفي الخوري، فرج عبو، كوركيس عواد، يوسف عبد المسيح ثروة، وآخرون، عدا الأحياء الذين نضرب صفحًا عن ذكرهم هنا. لولا هؤلاء وأمثالهم لما كانت نهضة العراق الحالية. وهذا أيضًا ما يمكن أن يقال عن نهضة البلدان المجاورة، دون تعصب ديني أو نعرة مذهبية، إنما بإسهام الكثيرين من مختلف الملل والنحل، ودون إهمال حقوق أية فئة وشريحة.

إضافةً إلى الإسهام الكبير الذي قام به مسيحيو العراق من نشر وتدريس، فإن أول مطبعة كنسية في العراق أنشئت قبل عام ١٨٦٠ في الموصل، على يد الآباء الدومنيكان الفرنسيين، أعقبتها المطبعة الكلدانية في الموصل أيضًا، عام ١٨٦٦. وقد صدر عن المطبعة الأولى أكثر من ٤٠٠ مجلد، وعن الثانية نحو ١٥٠. كما أصدر المسيحيون العراقيون مجلات ونشرات عديدة، وأداروا أو أسهموا في صدور جرائد كثيرة، يضيق بنا المجال عن ذكرها هنا.

الفصل الثالث عشر

كنيسة المشرق والعرب

١- المسيحية لدى العرب

قلنا منذ البدايات ان كنيسة المشرق ليست كنيسة قومية بالمعنى العنصري أي من جنس واحد، بل انها ضمت في جسمها أعضاء من مختلف الأجناس والأقوام التي كانت منتشرة قديمًا في ديار المشرق، من أعالي بلاد ما بين النهرين، وحتى تركستان وإيران والهند والصين وأقصى الشرق، حتّى بلدان الخليج والجزيرة العربية. وعرفت قبائلُ عربيةٌ عديدة المسيحيةَ المشرقية، ناهيك عن أنه نشأت مملكتان صغيرتان عربيتان مسيحيتان، هما مملكة الغساسنة ومملكة المناذرة.

ولعل أول انتشار للمسيحية في ديار العرب حصل بسبب لجوء مسيحيين إلى تلك الديار النائية التي كان بوسعها أن تحمي أناسًا مضطهَدين في بلادهم، سواء في المملكة الرومانية، أو في المملكة الفارسية. فلا عجب أن يكون مسيحيو الجزيرة العربية وبعض بلدان الخليج من أتباع كنيستين: كنيسة «الغرب» أي انطاكية والاسكندرية خاصة، كما من أتباع كنيسة «المشرق». أما الاختلاف الذي ظهر في ما بعد بين مشرقيين (كلدان وأثوريين) وسريان، فهو نتيجة الخلافات المذهبية اللاهوتية التي تبلورت في أواخر القرن الخامس فما بعده...

وقد كان نزوح قبائل عربية من الجزيرة العربية، نتيجةَ انهيار سد آرم، إلى بلاد الشام، وإقامتها قرب مياه غسان، سببًا في نشوء «الغساسنة» وتأسيسهم عاصمتهم جنوب شرقي دمشق في أواخر القرن ٣. وعرفت مملكتهم أوج مجدها في عهد الحارث الثاني بن جبلة (٥٢٩-٥٦٩) الذي كان الامبراطور يوستينيانس (جوستنيان) يكرّمه لِعدائِه مع المنذر الثالث ملك اللخميين وتمكّنه منه عام ٥٦٣. بينما دُعي مَن استوطنوا الحيرة (على الضفة الغربية من الفرات جنوبي العراق) بلخميين ومناذرة. وقد كان لجوء القبائل العربية إلى العراق وسورية تخلصًا من متاعب كانت تحصل لهم في اليمن ونجران، حيث استشهد

بعضهم . ويفيدنا كِتاب الحِميَريين المكتوب بالسريانية (نشره موبرغ في لندن سنة ١٩٢٤) عن تاريخ المسيحية في الجزيرة العربية الجنوبية والوسطى ، ويرجع تاريخ الوثيقة إلى الثلث الأول من القرن ٦ .

ويمكننا تعداد أهم القبائل العربية التي اعتنقت المسيحية ، فهم: بنو حِميَر ، بنو غسّان ، بنو رابية التغلبي ، بنو بحرا ، بنو تنوخ ، قسم من قبائل التيج وكعدو ، بنو الحارث ، وقبائل بين المدينة والكوفة ، والملكة العربية . وقد كان لمشرقيي الحيرة أثر في اعتناق المسيحية من قبل بعض القبائل العربية الأخرى المتاخمة لبلاد فارس ، بينما عمل الغساسنة على استمالة بعض عرب الحجاز .

ولقد كان هؤلاء المسيحيون العرب يتكلّمون العربية على أنها اللغة الأم ، ويستعملون السريانية في حياتهم الكنسيّة والطقسية ، كونهم من أتباع كنيسة ذات تراث سرياني (سرياني غربي وكلداني أثوري شرقي) .

٢– مملكة الحيرة

تفيد المصادر أن أول مَن اعتنق المسيحية في الحيرة نحو سنة ٣٠٠م هو النعمان الذي صهَرَ تمثالَ عشتار الذهبي ووزّعه على الفقراء . وقد دلّت المكتشفات الأخيرة في الحيرة وضواحيها بأنّ المسيحية كانت منتشرة فيها وفي أطرافها منذ القرن ٣–٤ . لكنّنا مع هذا نحتاج إلى إيمان المنذر بن ماء السماء وقبوله العماد على يد شمعون مطران الحيرة ، لكي تعتنق مملكةُ الحيرة المسيحيةَ بشكل رسميّ ونهائي . ونلقى أخت الملك ، هند الصغرى ، تعزف عن الدنيا وتبتني ديرًا . وقد أنجب اللخميون شعراء كثيرين ، لهم معلّقات وملاحم شعبيّة . وللحيرة فضل في انتشار الثقافة الآرامية المشرقية والفارسية في الجزيرة العربية . وبتأثير اللخميين والغساسنة عرفت الجزيرةُ الثقافةَ اليونانيةَ أيضًا . وقام من العلماء الحارث بن كلدة ، ابن خالة نبي المسلمين ، درس على الأرجح في أكاديمية جنديسابور الطبية . ومعروفة هي اتّصالات المسيحيين والمسلمين منذ فجر الاسلام . إنّما كان العداء مستحكمًا بين المناذرة والغساسنة . فالمناذرة اللخميون يؤيّدون الفرس ضدّ سياسة بيزنطية ، بينما كان الغساسنة مع البيزنطيين .

وبزغت قبائل بني تنوخ ذوي الأصل اليماني في القرن الثاني إثر المنازعات بين الفرثيين والساسانيين. أقاموا في المنطقة الخصبة غربي الفرات، ثمّ أصبح مركز تجمّعهم في الحيرة، واعتنقوا المسيحية. منهم النعمان الثالث بن منذر الرابع. وفي الحيرة، على الأغلب، عقد داديشوع مجمعه عام ٤٢٤، وإليها لجأ هو وغيره من جثالقة، لدى اشتداد مضايقات الفرس.

وقد جئنا على ذكر أهم ديارات الحيرة وضواحيها.

ولا ينبغي أن نغفل ولو بكلمة عابرة دَور الانباط من جهة، ودَور الصابئة المندايين، الذين أنشأوا صِلاتٍ كبيرة بمسيحيي كنيسة المشرق، سواء من حيث الصلة اللغوية والحضارية وإمّا لأسباب أخرى لم يتمكن المؤرخون حتى اليوم من تشخيصها بوضوح.

أما مملكتا الغساسنة والمناذرة فقد أصبحتا جزءًا من الدولة العربية الإسلامية منذ الفتوحات.

الفصل الرابع عشر

كنيسة المشرق في الهند والصين وأقاصي آسيا

١- مسيحيّو مار توما (الملبار، كيرالا - الهند) وكنيسة المشرق

من الثابت وصول الرسول توما إلى الهند، عبر الطريق التجاري لبلاد ما بين النهرين، ثم استشهاده فيها، ونقل رفاته من قبره في ميلابور (قرب مدراس) إلى الرها، بحيث أنّ مسيحيي كيرالا في ساحل الملبار (أو الملكنار أو مليالام) يتسمّون باسمه منذ أقدم العصور. وربّما إسم «ملبار» عينه مشتقّ من «معبر». وفي الساحل الجنوبي المعروف بكورمانديل جَبلان، الأوّل صغير هو جينا مالاي، والثاني كبير وهو بيريا مالاي أو مبامالا أو جبل مار توما. وقد كانت ممالك جيرا وجولا وباندیا هي المهمة في القرون المسيحيّة الأولى، جنوبي الهند. ومعظم المسيحيين الأوائل كانوا من الأشراف والأعيان.

يؤيّد هذا كلّه تقليدٌ موثوق مفاده أن توما القناني (كنانايا أو قنانايا، من قنى، ٣٥ كم جنوبي طيسفون)، قصد كوتايام (الملبار) بمعية ٧٢ عائلة من المنطقة عام ٣٤٥، يرافقهم الأسقف مار يوسف وأربعة كهنة وشمامسة لإذكاء شعلة الإيمان. وأبرشيّة كوتايام الملبارية التي تَعدّ اليوم نحو ٢٠٠ الف ملباري تعتبر نفسها من أصل بابلي، وهم يحافظون حتى اليوم على عادات مشرقية كصبغ يدي وقدمي العروس بالحناء، وهذا لا وجود له في عادات الهند. وتذكر مصادر أخرى داود أسقف فرات ميسان، وتوما القناني (قنانايا، من دير قنى) كَرسولَين من البصرة وبغداد إلى جنوب الهند. ويؤكّد التاريخ بأنّ إحدى الإمارات في كيرالا كانت مسيحيّة.

ولا يمكن إثارة الشكوك حول علاقة كنيسة سلوقية - طيسفون ورئيسها الجاثليق البطريك بكنيسة الملبار. فإنّ الشواهد كثيرة، منها أيضًا أعمال الجاثليق سبر يشوع (٥٩٦-٦٠٤) ايشوعياب الثاني الجدالي (٦٢٨-٦٤٦)، فقد أرسل الأخيرُ أساقفةً إلى الهند، ونتبيّن ذلك جليًّا من رسائل البطريرك ايشوعياب الثالث الحديابي (٦٥٠-٦٦٠)، الذي يُظنّ أنّه رفع كرسي الهند إلى درجة المطرافوليطية. وإلاّ فهي كذلك حتمًا منذ عهد

البطريرك صليبا زخا (٧١٤–٧٢٨). وهذا يعني أنّ في المقاطعة الكنسية الهندية أكثر من أبرشية أسقفية. وهنا لا بدّ من إبداء رأينا في موضوعٍ طالما أقضَّ مضاجعَ اخواننا المباريين، وهو مدى صحة حجب كنيسة المشرق رسامة أساقفة هنود، واكتفائها بإرسال أساقفة من ديار المشرق (بين النهرين وفارس)، مما يشكّل نوعًا من استعمار كنسي. فنقول: نظنّ أن كنيسة المشرق رأت من المفيد إرسال أسقف إلى تلك الأصقاع النائية ضمانًا للشركة ووحدة الطقس والألحان الكنسية، وبمثابة أب ومرشد لا غير؛ أما الإدارة الفعلية والعامة فكانت للاركدياقون الهندي، الذي ربّما شاء بعد فترة أن يستأثر بالإدارة في المنطقة كلّها، فحجب عن كنيسته كلها رسامة أساقفة آخرين بحيث لم يبقَ في الملبار كلّه إلاّ أسقف واحد هو المطران المشرقي.

ولا يذكر التاريخ أية علاقة للبطريرك الانطاكي بكنيسة الهند، أقلّه قبل العام ٩١٠–٩١١. وبقي كرسي وحده يرسل أساقفة حتى القرن ١٤، ثمّ في السنوات ١٤٩٠–١٥٥٧، ويذكر ابن العبري (مفريان السريان المغاربة، توفّي سنة ١٢٨٦) بأن مطارنةً هنودًا حاولوا العصيان، فكتبوا إلى البطريرك طيثماوس الجاثليق قائلين إننا تلاميذ توما الرسول، ولا شأن لنا مع كرسي ماري (في سلوقية وطيسفون)، الأمر الذي يعزّز وجود العلاقة مع هذا الكرسي بشهادةِ أنطاكيٍّ الانتماء. وقد كان سكنى الأساقفة عادة في كرنغانور، كويلون، انغمالي، ديامبر، ميلابور، كاليانا، ولا شكّ في أنّهم كانوا أكثر من أسقف واحد في بضع فترات من الزمن.

ولا بأس أن نشير إلى الصليبيَن القديمَين، أحدهما محفوظ في ميلابور وقد عثر عليه سنة ١٥٤٧، والثاني في كنيسة كوتايام، وهما يحملان كتابة فهلوية قديمة. وفي كوتايام صليب ثالث نقشت عليه أسطر إنجيلية وفهلوية.

وبتدخّل البرتغاليين الحاكمين والمرسلين، أثيرت مسألة العلاقة، بل بترت بحجةِ عدمِ كثلكةِ الكرسي المشرقي ولاسيّما بتأثير مجمع ديابر عام ١٥٩٩. وحاول البطاركة المشرقيون الكاثوليك استعادتها فنجحوا حينًا وفشلوا في معظم الأحيان، واشتدّت القضية في عهد البطريرك يوسف أودو (١٨٤٧–١٨٧٨)، فكان جواب روما الحاسم بأنه ينبغي اعتبار كنيسة الملبار كنيسة مستقلة وتابعة لروما مباشرة.

واليوم، تَعُدّ الكنيسة الملبارية أكثر من ثلاثة ملايين ونصف، عدا السريان الأرثوذكس وهم قسمان، والاثرويون وهم قسمان أيضًا، والسريان الكاثوليك الملنكاريون، والانكليكان والبروتستنت. لقد تعدّدت الانقسامات في مسيحيّة كيرالا في السنوات الأخيرة.

٢- كنيسة المشرق في الصين وآسيا الوسطى وأقصاها

يؤكّد المؤرّخ قوزما انديكلبستوس (نحو ٥٢٠-٥٢٥) أنّ في جزيرة سوقطرة مسيحيين، وأن رؤساءهم الدينيين يرتسمون من قبل الكنيسة التي في بلاد فارس (المشرق)، ويوضح ماركوبولو الرحالة الإيطالي (القرن ١٣) بأنهم يخضعون للرئيس الكنسي الذي في بغداد، وهو عندهم مثل البابا. ويؤكّد قوزما أيضًا انتشار كنيسة المشرق في سيلان (سيرالانكا) ذاكرًا أن فيها كنيسة وأن هناك مستوطنين فرسًا مع الكاهن الذي يُرسم في المشرق، وعددًا قليلاً من الشمامسة والاكليروس.

ونلقى سبريشوع الأول الجاثليق (٥٩٦-٦٠٤) يهدي ماروثا (مفريان تكريت فيما بعد) عطورًا وهدايا تصله من الهند والصين على أيدي تجار مسيحيين من أتباع كنيسته. ويؤكّد ايشوعياب الثالث (٦٥٠-٦٦٠) في رسائله أن المسيحية المشرقية بلغت كاله أي مضيق ملقا. وأن ثمة تمركزًا في عاصمة التانغيين، حتى أن الامبراطور الصيني كاو - تسونغ أصدر أمرًا بإقامة أديرة مسيحية في جميع الولايات الوسطى من مملكته الواسعة. وتفيدنا رسائل البطريرك أن المرسلين المشرقيين وصلوا تلك البلاد عن طريق البحر (الأوقيانوس الهندي). وقد اكتشف صيني مسيحي يدعى لي - تشي - تساو (الدكتور ليون)، بأن صديقه غير المسيحي، تشان - كينغ - يو، من أهالي تشان - سي، عام ١٦٢٥، عَثرَ على كتابة صينية تؤرخ المسيحيةَ في تلك البلاد، وأن انتشار المسيحية في الصين كان بفضل مرسلين غيارى من كنيسة المشرق.

فالكتابة المكتشَفة كانت على مسلّة عُثِرَ عليها في سي - نغان - فو (هيسي - أن - فو) بالصينية والاسطرنجيلية. و(سي نغان فو) كانت آنذاك العاصمةَ الغربية لأباطرة الصين التانغيين. بينما لو - يانغ (كومدان، نانكين) العاصمة الأخرى. وقد نُقِلَت المسلّة عام

١٦٢٨ إلى معبد بوذي، على بعد كيلومترين إلى شمال الباب الغربي من المدينة، ووضعت على قاعدة صلاة على شكل سلحفاة. ويبدو أنها طُمِرَت إبان اضطهاد عام ١٨٤٥، حتى نُقِلَت إلى متحف «غابة المسلات» أو الانصاب في سي نغان فو في تشان لي، وذلك في ٢ تشرين الثاني ١٩٠٧. وللمسلّة نموذجان في متحف نيويورك ومتحف طوكيو، وقد أُهدِيَت نسخةُ متحفِ الميتروبولتان للفنون في نيويورك إلى البابا بندكتس ١٥، وهي موجودة الآن في متحف اللاتران بروما. وقد درسها الأب هابرت، والمستر هولم، ثمّ الكثيرون ولاسيّما وسايكي.

يحمل هذا النصب التذكاري تاريخ ٤ شباط ٧٨١ كسنة لإقامة المسلة التي هي من الكلس الأسود الحجري، أبعادها ٢،٧٧م × ٩، ٢٥ × ١، ٨٦م (أي ٩ أقدام × ٣ × ١٠ طولاً وعرضًا وسمكًا)، بكتابة صينية على الجانبين، واسطرنجيلية في الأسفل، والرأس مقوّس نحو الأعلى، وعليه نقش لؤلؤة في الوسط، يمسك بها ثعبانان معشقان تحتهما صليب وكتابة صينية كبيرة الحجم، وإلى الجانبين وردتا لوتس (حندقوقة) رمز البوذية، وسحابة رمز التاوية، واللؤلؤة والصليب رمز المسيحية. وتنقسم الكتابة الصينية إلى ثلاثة أقسام: قانون إيمان هو خلاصة تعليم مسيحي، ونبذة موجزة في معاملة بعض ملوك الصين للمسيحيين المشرقيين مع فذلكة في تاريخ المسيحية في العاصمة الصينية، وتاريخ إقامة المسلّة عام ٧٨١. بينما تتكوّن الكتابة الاسطرنجيلية من قسمين: تاريخ الاثر، وأسماء الكهنة السبعة الذين عنوا بإقامة المسلة، مع أسماء السبعين رسولاً الذين بشّروا بالمسيحية في الصين عام ٦٣٥ وحتى ٧٨١. وتسمي المسلّة الديانةَ المسيحية «ديانة تاتسين المشعة» أو النيّرة. وتمّ تدوين نُصوص المسلّة على يد كاهن راهب من دير في سي نغامن فو، لعلّه الخورأسقف آدم الذي يصف الجماعة المسيحية بنزعة رهبانية تصوّفية مركّزًا على أهميّة الصليب. وتفيدنا المسلّة بأن أول مرسلي كنيسة المشرق إلى الصين، عام ٦٣٥ كان ألويين الراهب والكاهن، الذي أصبح رئيس دير ثم أسقفًا، وقام بترجمة الكتب المقدّسة والدينية لاسيّما الطقسية طوال ٣ سنوات، أصدر بعدها الأمبراطور تاي – تسوغ مرسومًا يسمح بانتشار المسيحية في البلاد. وينص المرسوم (الصادر في ١٥ آب /١٢ أيلول ٦٣٨) على تأسيس دير بي – نينغ في مدينة تشان – نغان (سي نغان فو)، الذي بلغ عدد رهبانه ٢١ راهبًا. ويمكننا تشخيص راهبَين مشرقيَّين في المسلة (وهذان هما «مغربيان» بالنسبة

للصينيين) إبّان الاحتفال المهيب الذي أقيم في قصر الأمبراطور سنة ٧٤٤، فلعلّهما أسقفان. وقد جرى الاحتفال بفضل كي – هود (كيغوى)، ولعلّه خورأسقف أو أركدياقون، إذ أقيمت رتبة مقدّسة (رازا، قداس) أو صلاة طلب (باعوثا، كاروزوثا). أما المسلة فيعود الفضل في إقامتها إلى يي – سو (يزد بو زيد)، من بلخ (تركستان)، ابن كاهن دمشقي متزوج، قدم إلى الصين وأصبح ضابطًا كبيرًا (نائب معاون رئيس الإدارة لحراسة المكاتب العشرة التي تقوم بتجهيز فرق الأمبراطورية بالمؤن واللوازم)، ولاقتداره وغناه، تبرَّعَ بسخاءٍ لكنيسته، سواء بتجديد أبنيتها أو بإقامة أبنية جديدة. كما بضيافة الرهبان والكنسيين إبان اجتماعاتهم السنوية مدة ٥٠ يومًا، إذ كانوا يلتقون من مطلع كانون الأول حتى أواخر آذار، قادمين من الأديرة أو الكنائس الأربع، في دير سي نغان فو. ويأتي تدوين المسلة في أعقاب أحد هذه الاجتماعات الكنسية.

أقيمت المسلة يوم الأحد، السابع من الشهر الأول من السنة الصينية، السنة الثالثة من ملك تسو – تسونغ، أي في ٤ شباط سنة ٧٨١، في عهد البطريرك حنانيشوع (نينغ شو) الثاني، ومن المعتقد أن خبر وفاة البطريرك حنانيشوع (أواخر ٧٧٩) لم يكن قد بلغهم. ولا خبر ارتقاء خلفه طيمثاوس الأول (منذ ٧٨٠). وقام بحفر النصوص على المسلّة ليو – سيو – يين.

وسرعان ما ضعفت المسيحية في الصين إثر اضطهاد الامبراطور فو – تسونغ عام ٨٤٥، وحاولت استعادة قواها في القرن ١١، فرسمَ الجاثليق سبريشوع الثالث (١٠٦٤ – ١٠٧٢) كوركيس الكسكري على خراسان وسجستان. ونراه يمضي حتى الصين، كما نجد مسيحيين مشرقيين في ١٥ مدينة من مدن قتاى، لهم مطران في سي نغان فو. حتى أن قبلاى خان، كما يؤكد غليوم دي روبروك، كان يعفي الاكليروس من الرسوم، على غرار إعفاء الكهان البوذيين والتاويين، ونجد أسماءَهم سنة ١٢٦٤ في سجلات توزيع الحبوب، وشُكِّلت دائرة خاصة للعناية بهم. أما اباتا خان بن هولاكو، فإنّه يؤيّد انتخاب الجاثليق دنحا (١٢٦٥–١٢٨٢) والجاثليق يهبالاها الثالث (١٢٨٣ – ١٣١٧). لكن بعد أن يشهر أحمد، حفيد هولاكو، إسلامه، تتغير الأمور سواء في هذه البلاد أو في سائر المناطق الأخرى التي استولى عليها المغول عهد ذاك.

وقد أبانت اكتشافات أخرى مدى انتشار المشرقية المسيحية في أعالي آسيا وأواسطها، برًا وبحرًا، إذ عثر على مقابر مسيحية، منها مقبرتا لبيشيك وطوقحاق، تضمّان نحو ٢٠٠ قطعة حجرية منقوشة تتوسّطها صلبان، مكتوبة بالكلدانية الأثورية (السريانية) والتركية، نشرها نو وديفريا، منذ ١٨٩٠، تؤرخ الفترة. ويحتفظ متحف غيمي في باريس بالعديد من هذه الشواهد. وواضحٌ ضعفُ لغتها، على أن كتّابها من المسيحيين الأتراك، بينهم من الكنسيين الخوراسقف والفريودوطا والزائر (ساعورا) والكاهن والواعظ، ومن المدنيين رئيس (مختار) القرية ووكيل الكنيسة، ومن المعلمين الأستاذ (ربن) والمفسّر والإسكولي. وقد كان لهؤلاء المسيحيين أديرة ومدارس، إضافة إلى الكنائس. كما حفظ لنا إنجيل طقسي مكتوب بالكلدانية – الأثورية بماء الذهب على ورق اسمنجوني سنة ١٢٩٨، سطرًا للملكة أرادول، شقيقة ملك الأونغوت.

وقد جمع سايكي الكثير من الأدلّة على انتشار المسيحية المشرقية في الصين واليابان، إضافة إلى تخصيصه كتابًا للمسلّة، مقدمًا مصادر خطيّة هي وثائق الأسقف الوبين (Alopin) منها مقالات تتّسم بمذهب المشيئة الواحدة مثل أوناسيس حاكم الكون، وإظهار المحبة في خطاب دانا. وسوترا يسوع المسيح (مشيحا، ماسيا)، كان قد نشرها هانيدا في المعهد الشرقي بطوكيو عام ١٩٣١؛ ووثائق الأسقف جين جين (Chou-Chih) وبقايا آثار مشرقية (نسطورية، كما يكتب سايكي) وكتابة صينية مغولية عن المسيحية، وصلبان أوردية (Ordo)؛ وآثار مشرقية أخرى في بكين وأطرافها، كما في جنوب الصين، وفي مانشوكو (Manchukuo)، وفي اليابان؛ مع ملاحق كثيرة كالحجر الذي يخلّد الأمير ابراهام، ومرسوم الامبراطور تاي – تسونغ، ومرسوم الامبراطور هزوان – تسونغ الذي به يؤسّس ديرًا عام ٧٤٥؛ وأدلّة كثيرة تشهد بحضور رسول من فارس، وأسقف مشرقي، واحتجاج ضد نشاط الأسقف المشرقي جي – ليبه، وذكر آدم مبدع المسلّة؛ وشواهد قبور عدّة لأعيان أو لعامة الشعب. هذه وغيرها دلائل ناصعة على انتشار كنيسة المشرق في تلك البلدان النائية وفي عهود غارقة في القدم.

ولو عدنا إلى المصادر المشرقية، لرأينا أنه منذ مجمع مار داديشوع الجاثليق، سنة ٤٢٤، راحت كنيسة المشرق تمدّ طلائعها حتى الحدود الشمالية والشرقية، فأنشأت كرسيًّا أسقفيةً في الري، ونيسابور (أبراشهر)، ومرو، وهرات (هراة). ثم اتّسع

امتدادها فانتشرت لدى القاشانيين والأتراك والهونيين المستوطنين سواحل الاكسوس (الهكسوس). وقد جاء في حياة مار آبا الجاثليق أنّ زعيم الهفتريين كتب إلى الجاثليق سنة ٥٤٩ طالبًا رسامة الكاهن هفتران – خوداي المشرقي أسقفًا عليهم. وسوف يلقي نرسَي القائد الفارسي في السجن ألوف الاكسوس، لموالاتِهم بَهرام وعصيانِهم على مقارعة قوات كسرى الثاني، وقد كانوا يحملون الصليب وشمًا على جباههم.

وبحدود سنة ٥٢٥، سافر مطران اران (قاردوتشات) مع سبعة كهنة لنقل البشرى إلى قبيلة هونية في سيزوكسيان، وقاموا بنقل عدد من الأسفار المقدّسة إلى الهونيين. وكانت اران مركزًا مطرافوليطيًا مرتبطًا بسلوقية وطيسفون منذ سنة ٤٢٠. وقد حاول إيليا مطران مرو دعم انتشار المسيحية في صفوف القبائل التركية في أواسط القرن ٧.

أما مَن عَمِلَ على نشر بشارة الإنجيل بشكل كبير جدًا في مناطق آسيا الوسطى، فهو لا ريب البطريرك طيمثاوس الكبير (٧٨٠ – ٨٢٣)، الذي وجّهَ رهبانَ دير الغاب (بيت عابي، مرج عقرة)، كما يؤكّد توما المرجي. حتى قامت إمارة بل مملكة مسيحية، أو أكثر، في أواسط آسيا. لقد كان أمير كشغر (في تركستان الصينية)، مسيحيًا، واسمه سرجيانس. وقد كشفت الحفريات في تورفان عن بقايا اللغة الطقسية لكنيسة المشرق. وسوف يصطدم الشيعة، جنوبي تكلمكان، بقواتٍ معظمُ جنودِها من المسيحيين، تحت إمرة والي اكسو المسيحي الخاضع لنودوم خان أمير كوتان المسيحي أيضًا. وترجع مسيحية هؤلاء إلى أزمنة قديمة جدًا. إذ تتحدّث المصادر عن مطران في سمرقند منذ الربع الأول من القرن ٨. ويقول مار طيمثاوس في رسالته إلى الموارنة أن ملك الأتراك قد اعتنق المسيحية في السنة الثانية من بطريركيّته، أي سنة ٧٨١.

ومنذ أواسط القرن ٨ كان إيغوريّون مسيحيون يخدمون ضباطًا في الجيش الصيني. وأقبل الكريت، سكان منغوليا الشمالية، منذ العام ١٠٠٧، على اعتناق المسيحية بأعداد كبيرة، قدّرها عبديشوع مطران مرو بأكثر من مائتي ألف، تذكّرنا بتنصّر إفرنجة كلوفيس بعد واقعة تولبياك. ثمّ أقبل الانغوت المغول المنتشرون على ضفاف النهر الأصفر على الانضمام إلى كنيسة المشرق، شعبًا وقادة وزعماء، وقد كانوا يحفرون طرق المواصلات بين منغوليا والصين. ولم تنكسر شوكتهم إلاّ بظهور جنكيزخان وتشكيله التحالف المغولي

قسرًا. ومع هذا ظلّ العديد من الجنكيزخانيين يقترنون بأميرات مسيحيات.

وكان معسكر كويدك خان يضمّ عددًا كبيرًا من أساقفة وكهنة ورهبان، وهو يقول في رسالته إلى البابا اينوشنسيوس في ٢ تشرين الأول ١٢٤٦ أنه اعتمد على يد ملاخي أسقف كنيسة المشرق. يؤكّد ذلك داود ومرقس الموصليان اللذان يصلان قبرص في حزيران ١٢٤٨، موفدين من قبل المغول. وقد كانت طقوز خاتون زوجة هولاكو مسيحية، لذا نراه يعطف على المسيحيين، ويشن حملة على سورية وفلسطين للوصول إلى الأراضي المقدسة، لكنّه أخفق في عين جالوت. فقد استُدعي هولاكو إلى العودة إلى آسيا الوسطى بعد موت كبير الأسرة المالكة، مانكو خان، الأخ الأكبر لهولاكو، من أم مسيحية أيضًا، كما كان وزيره الأونغوتي المسيحي يدفعه إلى العطف على المسيحيين والإحسان إليهم. من هنا نراه يعطي الجاثليق ختمًا ذهبيًا يخوّله أن يمنح شهاداتِ رعايةٍ لدى كبار المغول. وقد استعمل يهبالاها الثالث، الجاثليق المغولي، هذا الختم، حتى ضاع إبّان اضطهاد المسيحيين في مراغا عام ١٢٩٧.

الفصل الخامس عشر

مَواطن تراثية

أولاً – سهل الموصل: من ألقوش إلى تلكيف

١ – ألقوش

تقع على بعد ٤٨ كم شمالي الموصل، جاثمةً قبالةَ جبلٍ يُعرَف باسمها في منطقة باعذرى. وهي عريقة في القدم، ولعل اسمها من مدينة في فلسطين، موطن النبي ناحوم، قرب عماوس. فلما سبى الملك تغلاتبلاصر الخامس (٧٢٧ – ٧٢٢ ق. م) بعضَ سكان فلسطين، أطلقوا على المكان الذي أسكنهم فيه اسم موطنهم الأصلي. يؤيد ذلك مرقد النبي ناحوم في ألقوش العراق، دون أن يعني هذا انه لم يكن هناك سكان من أهالي البلاد في المنطقة.

المسيحية فيها راسخة منذ القدم، وقد قام منها بطاركة ومطارنة وكهنة ورهبان وراهبات بأعداد غفيرة، من المتأخرين البطريرك يوسف اودو (١٨٤٧–١٨٧٨)، البطريرك يوسف عمانوئيل الثاني (١٩٠٠–١٩٤٧)، البطريرك بولس الثاني شيخو (١٩٥٨–١٩٨٩)، بالإضافة إلى بطاركة العائلة الأبوية (آل أبونا، دآوون ١٣١٨–١٨٣٨) الذين كان مقرهم دير الربان هرمزد وألقوش. وعدد المسيحيين فيها حاليًا نحو ٥ آلاف، وينتشر العديدون في العراق وخارجه.

وتشتهر بمواقعها المسيحية، أهمها دير مار ميخا النوهدري، أسسه مار ميخا الذي نجد مبالغةً في قصته المتأخرة (من القرن ١٥) إذ تجعل من هذا النوهدري (منطقة دهوك) راهبَ دير مار اوجين في جبل الأزل (ايزلا)، وأسقفًا على طرسوس يرسمه أسقفُ انطاكية نفسُه. ثم يقصد ألقوش فيؤسس ديرًا ومدرسة ويتوفى بعد ١٥ سنة عام ٤٢٩ (١ تشرين الثاني). ونجده يتنبأ بشأن الربان هرمزد وديره بأن «الله عتيد أن يرسل لكم نسرًا عظيمًا يرقى بمقامه إلى علو أكثر من الملائكة، ويقيم إلى جانبكم في هذا الجبل، ويلد لكم فراخًا روحية، فيضحي هذا الجبل أورشليم العليا». ويقع دير مار ميخا العامر شمال شرقي

البلدة. وقد كان سابقًا إلى الجنوب الشرقي، لتغيُّر وضع ألقوش، إذ كانت تنتشر على سفح الجبل وفي الوادي. ويتكوّن من هيكل للصلاة تعلوه قبة، وتتصل به عدة غرف صالحة للتدريس. وينتصب داخل الهيكل مرقد مار ميخا، إذ ترتفع مشكاة جميلة تزينها نقوش نباتية، ومرقد النبي ناحوم بمشكاة مضاهية، تحمل كلٌّ منهما بيانًا عن محتواها، فالأولى قبر مار ميخا، والثانية ذخيرة النبي ناحوم. وللهيكل باب قديم من المرمر المنحوت والمزخرف. ثمة ذكر لتجديد الدير في عهد البطريرك يهبالاها الخامس (١٥٧٨–١٥٨٠). وقد تم تجديده كليًا في عهد البطريرك يوسف اودو، عام ١٨٦٧، وأُعيد بناء المدرسة عام ١٩٢٣، ثم شيد باب جديد سنة ١٩٨٠ لما يعرف حاليًا بكنيسة مار ميخا، وأقيم في فنائه نصب جميل عام ١٩٩٨. ويذكر اسم القس إسرائيل الالقوشي (١٥٤١–١٦١١) من آل رابي ربا (المعلم الكبير) ممن دَرّسوا في مدرسة مار ميخا وطوّروها، وكذلك حفيده القس كوركيس، ثم القس يلدا، والعديد من الأدباء والخطاطين ورجالات الكنيسة العظام. وألقوش هي بحق بلدة الخطاطين المشهورين، آخرهم بولس قاشا.

وكنيسة مار كوركيس الحالية قديمة العهد جُدِّدت عام ١٩٠٦ بإشراف المهندس الخوري عبد الأحد معمار باشي. وعثر في ٥ نيسان ١٩٠٤ على جرن صخري بداخله جرن أصغر فيه قطعتان مستطيلتان نُقِشَ على أحدهما صليب طوله شبر وعليه آثار دم جاف، تخليدًا لذخيرة دم الشهيد المظفَّر كوركيس القائد الشجاع. أما هيكل العذراء الذي في الكنيسة فقد تجدَّد سنة ١٨٠٦، ثم سنة ١٨٥٤، وأخيرًا سنة ١٩٣٠.

ومزارات ألقوش هي مزار مار يوسف، ومار زديقا، مار سهدونا، ومار يوحنا، ومرت شموني، ومار شمعون، ومار قرداغ، وقد تحوَّلَ إلى كنيسة في السنوات الأخيرة.

ومن آثار البلدة هيكل النبي ناحوم، تجدَّد عام ١٧٩٦، يذكره بنيامين الطيلطلي في رحلته (١١٦٥–١١٧٣)، كان اليهود يزورونه ويقيمون فيه مراسمهم الدينية، كما كانوا يحتفلون بعيده شعبيًّا في مدخل كبا دمايا (كهف المياه). وقد كانت عائلات يهودية تقطن ألقوش حتى عام ١٩٤٨.

وتقع غربي ألقوش قريةُ بهندوايا (بيت الهنود) أي الرقي. ورد ذكر كنيستها، مار كوركيس، في مخطوطة محفوظة في خزانة الرهبانية الكلدانية، مؤرخة سنة ١٧٧٢.

وإلى يمين مدخل وادي بهندوايا، على مسافة ٧ كم غربي ألقوش على سفح الجبل يقوم أثر آشوري طوله ١٢٤ سم، يعرف باسم شيرو ملكثا (الملكة شيرين) أو الملك والملكة، يمثل سنحاريب الملك.

نُكِبَت ألقوش كغيرها من الأماكن عدة مرات، ولاسيما في غزو المغول عام ١٢٣٥، وفتَكَ بها وباءُ الكوليرا عام ١٥٩٦، وآذتها قوات طهماسب كولي خان عام ١٧٤٣، وأصابها طاعون عام ١٧٧٨، وقتَلَ ميره كور (محمد باشا الراوندوزي) في أواخر الصوم الكبير من عام ١٨٣٢ نحو ٤٠٠ شخص، من بينهم الانبا جبرائيل دنبو، مجدد الرهبنة الكلدانية. وعاد أخوه عام ١٨٣٤ فنهَبَ ما بقي من أموال الدير وكنيسة البلدة. ولم تسلم بعدها من هجمات متكررة ومضايقات عديدة، بحيث أنه يمكن القول ان عزم الألقوشيين الجبلي، مشفوعًا بإيمانهم بالله والمسيح والعذراء وقديسي البلدة والجبل، هو الذي أبقاهم حتى اليوم صامدين شامخين.

ومن المشاهير الذين لم يرد ذكرهم في غير مكان: القس كوركيس يوحانا، تولّى النيابة البطريركية في مطلع القرن ١٩، مع انه كاهن متزوج، والقس الراهب دميانوس كونديرا الذي خدم في الموصل وألقوش، وله تآليف كثيرة. ومن الخطاطين المتميزين، والقش اوراها شكوانا (١٨٥٠-١٩٣١) الطقسي والخطاط، والقس إيليا هومو (١٨٥٦-١٩٣٢) الخطاط، والمطران ارميا مقدسي (١٨٢٨-١٩٢٩) صاحب القواعد المطبوع في روما، والمطران اسطيفان كجو (١٨٨٤-١٩٥٣) وكتاباته عن الانبا جبرائيل دنبو، والقس يوسف عبيا (١٨٨٠-١٩٦٥) الواعظ والشاعر، والمطران اسطيفان بلو مؤلف تاريخ الرهبانية الأنطونية الهرمزدية والكنيسة الكلدانية، والمطران افرام بدي المرنو الشهير، وغيرهم.

٢- تلسقف

الاسم من (تلا زقيبا) أي التل المنتصب أو العالي لوجود تل مرتفع فيها، حاول بلاس التنقيب فيه، لكنه لم يكمل العمل. تبعد عن الموصل ٣٠ كم شمالاً. عدد سكانها نحو

٦ آلاف نسمة من الكلدان. يذكرها ياقوت الحموي (ويقول ان اسمها: تل الأسقف) والمستشرقون، وتأتي في أكثر من مخطوط. آذتها حملات المغول عام ١٢٣٦ (حسب مذكرات الأب توما الراهب)، وغزو برياق عام ١٥٠٨، كما آذت القرى الأخرى.

يرد ذكر تلسقف في ترتيلة (عونيثا) منسوبة إلى كوركيس وردا، ترجع إلى عام ١٥٤٧، تتحدث عن هجمات تتارية حصلت عام ١٢٣٥، ويأتي وصفها كقرية كبيرة وقوية، ويؤكد المصدر بأن كنيسة مار يعقوب المقطّع (أحد شهداء كنيسة المشرق، القرن ٤) قد هُدِمَت قِطَعًا. وتلحق بها نكبة أخرى بسبب حملات نادرشاه عام ١٧٤٣. بينما يذكر لنا كتابُ قراءاتٍ طقسية مكتوب عام ١٤٩٩ (محفوظ في المتحف البريطاني، ريج ٧١٧٤) كنيسةَ مار كوركيس إلى جانب كنيسة مار يعقوب المقطَّع. وقد هُدِمَت كنيسة مار كوركيس القديمة عام ١٩٥٥ وبُنِيَت كنيسة جديدة على أنقاضها، بطراز غربي. أما كنيسة مار يعقوب، فقد أصبح أحدُ أجنحتها الذي يحمل اسم مار يوحنان (المعمدان) هو الكنيسة التي بنيت حديثًا أيضًا. وهذا شأن العديد من «التجديدات» التي حصلت للأبنية الكنسية والدينية بشكل عام، إذ لم يتم الاحتفاظ بالطراز الأصلي، بل جرت تشويهات بتأثير تقليد غربي وبحجة التحديث.

نقع خارج القصبة، إلى الشمال الغربي على أطلال مزار مار سهدونا. أما بقايا مزار «بني شموني» فهي إلى الجنوب. وإلى الشمال «بئر المتوحّدين». أهم أثر هو خرائب دير أفنيمارن، شرقي تلسقف، تغطيه مقبرة القصبة، وتتم زيارته للتبرك يوم الاثنين بعد الأحد الذي يلي عيد القيامة، أعني في اليوم الذي يحتفل فيه أهالي باطنايا بعيد شفيعهم مار اوراها، وأهالي دهوك بعيد مار عبدا، وأهالي نصيرية بعيد مار عوديشو.

من هو افنيمارن؟ ألعله رئيس دير الزعفران؟ ام انه شخص آخر؟ إن الإسم معروف ومشهور بين صفوف رهبان كنيسة المشرق (فإن أحد رؤساء دير بيث عابي كان يحمل هذا الإسم). من المحتمل جدًا، كما يرى الأب فييه، أنه أفنيمارن المذكور في تاريخ يوسف بوسنايا، في النصف الأول من القرن ١٠، وقد كان له صومعة في جبل جدرون، غير البعيد من جبل دير الربان هرمزد، وسلسلة الجبال المعروفة بالكنود، القريبة من تلسقف). وقد جرى تجديد لهذا الدير عام ١٤٠٣ (كتابة كانت في كنيسة تلسقف، رآها ادوارد ساخو).

ويذكر ريج وجود راهبات، يسكنّ في البيوت، سواء في تلسقف، كما في ألقوش، أواسط القرن ١٩.

خطّاطو تلسقف أيضًا هم من المشاهير، أمثال: القس سليمان الذي نسخ عام ١٥٥٨ طقس حَبريّات (رسامات، كمبردج ١٩٨٨)؛ والشماس ابراهيم بن بدعا ناسخ كتاب السيرة الحسنة، في دير الربان هرمزد، سنة ١٥٨٣ (محفوظ في مطرانية كركوك)؛ والقس ابراهيم بن ماريسان نسخ عام ١٦٨٨ في قرية بيوز مَقَالات (ميامر) مار يوحنان الموصلي؛ بينما ألّف القس ابراهيم بن مربينا ٣ مجلّدات محفوظة ضمن مخطوطات الرهبنة الكلدانية، تحمل التواريخ ١٧٩٣ و١٧٩٤ و١٧٩٦ (فهرسة فوستي، الأرقام ١٥١، ١٧٧، ٤٦، وفهرس حداد - جاك، الأرقام ٤٨٢، ٤٩٩، ٥٣). ونسخ الراهب توما بن نيسان في دير الربان هرمزد كتاب الأشعة لابن العبري عام ١٨١٩ (فوستي ٢٩٤، حداد - جاك ٨٩٤). وهناك مخطوطان كُتِبَا لتلسقف: كتاب قراءات طقسية (قرياني) بيد القس إيليا المسمى علاء الدين بن فخرالدين والملقب برسفايا الموصلي سنة ١٤٩٩، وقواعد الإيمان، مستمدة من مجامع الرسل، بقلم عوديشو بن هدايا من باطنايا، بناءً على طلب القس عسكر بن عبدش من تلسقف سنة ١٧٠٢ (محفوظ في الفاتيكان رقم ٥٠٥). وأعطت تلسقف مطارينَ وكهنةً ورهبانًا وراهبات وشعراء.

٣- نصيرية

تقع على بعد ٤ كم من باعذري (قرب القوش). فيها آثار دير منسوب إلى مار عوديشو، وهو راهب سكن بابغش في أعلى الزاب الكبير، في القرن ٤، قرب صومعة الربان بويا في شقلاوة، في نيريم كوندرك (مقاطعة المرج)، على مقربة من قرية شرمن. يأتي ذكر الدير في تقرير البطريرك إيليا الثاكم إلى البابا بولس الخامس عام ١٦١٠، ثم في هامش إنجيل طقسي (إونكيليون دمفرشي) مكتوب عام ١٦٩٨. زاره بادجر عام ١٨٥٠، ورممه المطران بولس شيخو (الذي أصبح بطريركًا) عام ١٩٥٥.

٤- شرفية

تقع على بعد ٤٠ كم شمالي الموصل، و٥ كم جنوبي ألقوش. تسكنها نحو ١٠٠ عائلة أثورية وكلدانية. أراضيها ملك الرهبنة الكلدانية، مَلَّكَتها الدولةُ لأهالي القرية وبَنَت لهم بيوتًا جديدة في الثمانينات. كنيستها القديمة على اسم مار كوركيس، ترجع إلى

العام ١٩٤٠ ، أما مار كوركيس الجديدة فهي من العام ١٩٨٤ ، وكنيسة مريم العذراء من سنة ١٩٥٦ . وقد كان يسكنها يزيديّون في ما مضى .

٥– مجمع جنبور

يقع شرقي بحيرة سد الموصل ، قرب فايدة ، يسكنه نحو ٢٠٠ عائلة من المسلمين والمسيحيين (كلدان وأثوريين) واليزيديين . أصل المسيحيين فيه من المركايي (بيدا ، ليفو ، ميركه صور ، ملا عرب ، نفكنداله) . لهم كنيسة حديثة على اسم مار كوركيس .

٦– باقوفا

تبعد عن الموصل حوالي ٣٠ كم ، بجوار تل بين تلسقف وباطنايا . يعني اسمها بيث قوبا أي موضع القضبان أو القفف . وكانت قريةٌ قديمةٌ تحملُ الاسمَ نفسه على بعد ٣ كم جنوبًا . عدد سكانها ٥٠٠ نسمة من الكلدان ، يسكنون بغداد والخارج . كنيستها على اسم مار كوركيس ، وآخر تجديد لها حصل عام ١٨٦٨ . من شخصياتها المطران يعقوب اوجين منا (١٨٦٧–١٩٢٨) صاحب المؤلفات الشهيرة ولاسيما القاموس والقواعد والمروج النزهية . واشتهر قبله الراهب اسطيفان مروكي ، وهو خطاط من القرن ١٩ .

٧– باطنايا

تقع على مسافة ٢٠ كم تقريبًا شمالي الموصل . عدد سكانها نحو ٣ آلاف و٥٠٠ من الكلدان . يختلف شكلهم عن سكان بقية القرى ، فهم بيض شقر ، وحدهم الألقوشيون وبعض أهالي الشمال يقتربون منهم في بياض البشرة . مشهورون بصناعة الحصير ، ممّا يسبب لهم الإصابة بالتراخوما .

لعلّ الإسم من بيث طنانا أي أهل الغيرة ، إذ انهم يجهدون للعمل بدون هوادة . إلا ان هناك إسمًا قديمًا هو «بيث مادايي» أي مكان المدينين ، فلعلّ يزيديين كانوا يقطنون القرية ثم أصبحت مسيحية ، على يد الراهب اوراها (ابراهيم) ، في عهد البطريرك ايشوعياب الأول (٥٨٢–٥٩٥) (بحسب مجدل عمرو / صليبا) ، أو بالأحرى في عهد البطريرك ايشوعياب الثاني (٦٢٨–٦٤٤/٦٤٦) .

آذت باطنايا أيضًا هجماتُ نادرشاه عام ١٧٤٣ . نعرف من تقرير كرملي ان القرية كانت تعدّ ٢٠٠ عائلة عام ١٧٦٧ ، كلها كاثوليكية . وانخفض العدد لاحقًا ، إذ يذكر

بادجر عام ١٨٥٠ أنّ فيها ٦٠ بيتًا فقط، واينزورث ٥٠ بيتًا عام ١٨٥٧، ويقول مارتان ان عدد سكانها كان ٩٠٠ شخص عام ١٨٦٧.

أقدم كنائسها على اسم مار قرياقوس الطفل الشهيد، وهي بثلاثة أجنحة، الأيسر على اسم الشهيدة بربارة هُدِمَت وبُنِيَت من جديد عام ١٩٤٤. تحتضن البطريركية الكلدانية مخطوطًا يسميها ديرا (هو قواعد إيليل برشينايا، مستنسخ عام ١٤٧٤، فهرس بيداويد رقم ٩٠١). ويقوم في الجهة المقابلة للكنيسة مُصلًّى على اسم العذراء مريم، يرجع إلى نحو سنة ١٨٦٦. ولا تخلو باطنايا من مزارات، للقديسة شموني ومار يوسف، على أطراف المقبرة، وقد وُسِّع الأخير وأُعطِي لقب العائلة المقدسة. وقد تحدثنا عن دير مار اوراها الذي يعتزّ به أهالي باطنايا.

٨- تلكيف

تقع على بعد ١٨ كم شمالي شرقي الموصل، مركز قضاء منذ ١٩٦٩. اسمها كلداني - سرياني، يعني تل الحجارة (تل كيفي)، وتلّها يرجع إلى الأدوار الأشورية القديمة، الألف الرابع، نينوى الخامس، أو قبل ذلك، وهو حاليًا مقبرة.

كانت أكبر قرية مسيحية في المنطقة، من القرن ١٦ وحتى عام ١٩٦٠. إذ كانت تعدّ ٢٥٠٠ نسمة عام ١٧٦٧، وبسبب الطاعون والآفات الطبيعية، لاسيما الجراد، انخفض العديد إلى ١٥٠٠ عام ١٨٨٢، ثم أصبح ٢٥٠٠ عام ١٨٩١، وتقلَّصَ إلى ١٥٠٠ عام ١٩٢٣ في أعقاب الحرب العالمية الأولى، ثم قفز إلى ١٤ ألف و٣٠٠ عام ١٩٣٣، وأصبح عشرة آلاف عام ١٩٣٧، وتقلَّصَ بسبب النزوح والحرب إلى ٦٨١٩ عام ١٩٤٧، وغدا ٧١٠٨ عام ١٩٦٨ منهم ٤٩٢٨ من أهالي البلدة الأصليين، إذ هاجر العديدون إلى بغداد والولايات المتحدة الأمريكية خاصة، بينما قصدها مسيحيون من دهوك وزاخو وعقرة وقرى الشمال، وسكنها أقلية من العرب المسلمين. وهي تَعدّ اليوم نحو ٤ آلاف كلداني و٢٠٠٠ آثوري لهم كنيسة حديثة. وطبيعي أن تكون لغة أهاليهم السورث، يتكلمون بها أينما وجدوا.

أهم معالمها مزار اولاد شموني الشهيدة (مرت شموني) على بعد كيلومتر شرقًا، ثم أقيم مزار للشهيدة داخل القصبة عام ١٩٠٠، ثم مزار الشهيد (بوخت سهدا)، من

شهداء المشرق، وقد أزيلت القبة القديمة عام ١٩٦٧ ليحلّ محلّها معبد؛ ومزار عربيني أو الأربعين شهيدًا وحوله بعض القلالي دلالة على قيام دير قديم هناك؛ ومزار مار دانيال، الطبيب الشهيد من القرن ٤، وهو إلى الجنوب الغربي؛ ومزار مار يوسف المقام على أنقاض قبة صغيرة عام ١٩١٧.

كما كانت تلكيف تعرف باسم قرية مار قرياقوس، الطفل الشهيد، وزالت الشهرة بعد هدم الكنيسة عام ١٩١١. أما كنيسة قلب يسوع فهي أكبر كنيسة كلدانية في العراق طولها ٥٠ م.

ومن مشاهير تلكيف البطريرك يوسف الثاني آل معروف (١٦٦٧–١٧١٣) صاحب المؤلفات العديدة، اللاهوتية والطقسية والروحية، والقس خوشابا، والقس يوسف بن جمال الدين المعروف بقصائده الدينية الشعبية بالسورث، وماري تيريز أسمر (ولادة ١٨٠٦) المغامرة الكبيرة، صاحبة مذكرات (أميرة بابلية) التي طبعتها بالإنكليزية في مجلدين عام ١٨٤٤، مدعية أنها فعلاً أميرة بابلية، ثم نشرت في العام التالي كتابًا آخر بعنوان (صوت من الشرق إلى نساء انكلترا)، والانبا شموئيل جميل صاحب المؤلفات العديدة ولا سيما (العلاقات بين الكنيسة الكلدانية وروما) والرئيس العام للرهبنة الأنطونية الهرمزدية الكلدانية، والشاعر الشعبي توما تكتك (توفي عام ١٨٦٠)، والشاعرة الشعبية حنني نويثا دلو (توفي عام ١٩٤٦) والمؤرخ رفائيل بابو اسحق (١٨٩٣–١٩٦٤) والصحفية مريم نرمي (١٨٩١) صاحبة جريدة فتاة العرب، والصحفي يوسف هرمز جمو صاحب جريدة الحياة ثم صوت الشعب وكتاب آثار نينوى أو تاريخ تلكيف، والصحفي اسكندر معروف صاحب ٤ جرائد، آخرها صوت العروبة، والشماس يوسف ميري ناشر كتب طقسية شعبية وكراريس لتعليم الكلدانية وغيرهم. كما أنجبت تلكيف عدة مطارين، عدا المذكورين، وهم باسيليوس أسمر، ميخائيل كتور، عمانوئيل أسمر، بولس شمينا، يوحنا تمرس، ارميا شمعون سنجاري، يوحنان قينايا، وكلهم من القرن التاسع عشر ومطلع العشرين، وقدّمَتْ دعوات رهبانية، رجالية ونسائية، وتخرَّجَ منها كهنةٌ بعدد كبير.

وقد كانت الكنائس، كالأديرة، تنشئ مدارس داخل مبانيها أو ملصقةً بها، لتعليم الأحداث خاصة، مع التركيز على اللغة الطقسية. ومنذ مطلع القرن ٢٠ قامت في تلكيف

كنيسة منتظمة لتعليم اللغة الكلدانية واللغة العربية ومبادئ الحساب وأصول الدين، حتى فُتِحَت سنة ١٩١٩ أول مدرسة حكومية رسمية.

وتضم كنيسة تلكيف مجموعةً كبيرة من المخطوطات الكلدانية، أقدمها من القرن ١٦، ومعظمها طقسية. ومن مشاهير خطاطيها ايشو بن يوسف القس جمال الدين، القس هرمز دنحا إيليا، القس اسحق مقدسي عبديشوع، شمعون بطرس ديزا، القس اندراوس يوسف أسمر وغيرهم.

وقد اعتنقت تلكيف الكَثلكَة منذ مطلع القرن ١٧. ففي ٦ كانون الثاني (عيد الدنح) ١٧١٩ وقّع الكاهنان ميخو وايار بن عبدال والشماس حنا وعدد من الأهالي مع القس خدر الموصلي أوراق الانضمام إلى الكثلكة، ثم انضم آخرون عام ١٧٦٣ على يد الشماس حنا الجزري حتى بلغ عدد العائلات الكاثوليكية عام ١٧٦٧، حسب تقرير بابيه، أكثر من ١٥٠ عائلة. ومالَ أهالي تلكيف بشكل عام إلى موقف البطريرك يوسف اودو ابان معارضته روما. وقد كان أحد المرتسمين ضد التعليمات الرومانية الراهب التلكيفي متي بولس شمينا، إذ رسمه البطريرك اودو على العمادية في ٢٤ أيار ١٨٧٤، كما رسم الراهبين التلكيفيين قرياقوس كوكا لأبرشية زاخو، وفيليبس يعقوب اوراها للمبار، ثم انقسم الأهالي بين «بلي» و«بردى» و«ندابى» و«بباسي»، بعد أن رضخ البطريرك لروما (رسالة الخوري بطرس كتولا في ٢٢ تشرين الأول ١٨٧٧ تفصل الأحداث وموقف المطران كوكا المتشدد وعدم رضوخه).

إن عددًا لا بأس به من أهالي تلكيف هم حاليًا في بغداد، أما الغالبية الساحقة ففي الولايات المتحدة الأمريكية ولاسيما في ديترويت (ولاية ميشيكان)، ومعظمهم تجار وأصحاب مخازن ومشروبات ومطاعم وفنادق.

ثانيًا– سهل الموصل (برطلة، كرمليس، قره قوش)

١– برطلة

تقع على بعد ٢٠ كم شرقي الموصل. عدد نفوسها نحو ٧٥٠٠ نسمة (سريان ارثوذكس وكاثوليك)، واسمها من «بيث طلا» أي بيت الظل، أو مصنع الأرطال. تَحوَّلَ أهاليها من مشارقة إلى سريان مغاربة في القرن ٧. اشتهرت كنسيًا في القرن ١٢،

إذ اتُّخِذَت مركزًا لأبرشية سريانية كان اغناطيوس لعازر أول أساقفتها عام ١١٥٣ (الذي وسّع الكنيسة الكبرى)، اثر التنازع بين مفريانية تكريت ودير مار متى. قامت فيها مدرسة للعلوم الدينية والطقسية، أعطت رجالات علم وأدب، منهم غريغوريوس يوحنا مطران جزيرة قردو (+ ١٣٠٠)، البطريرك بهنام الأول الحدلي (+ ١٤٥٤)، البطريرك يوحنا الرابع عشر (+ ١٤٩٣)، البطريرك يعقوب الثالث (+ ١٩٨٠)، الخوري بطرس سابا (+ ١٩٦١)، المطران بولس بهنام (+ ١٩٦٩).

ومن خطاطيها المشاهير الشماس كريم بن حوشان بن وهب (+ ١١٦٨)، والراهب مبارك بن داود (+ ١٢٣٩). تزدان بجملة كنائس: كنيسة بشموني من القرن ١٤ (تجديد ١٨٦٩)، كنيسة مريم العذراء الوارد ذكرها منذ القرن ١٥ (اكتمل بناؤها عام ١٨٩٠)، كنيسة مار كوركيس (تكرَّسَت عام ١٩٣٩)، كنيسة مار أحودميه (ورد ذكرها عام ١١٥٣)، وكنيسة مار كوركيس القديمة (ورد ذكرها عام ١٧٠١)، ودير مار يوحنا برنكاري (ابن النجارين)، وربما من الموطن الأصلي للمؤسس، أي من قرية باأكري، لأن الغموض يكتنف تاريخ الدير ومؤسسه، لكننا نلقى له ذكرًا أيام ابن العبري (+ ١٢٨٦)، ودير الأربعين شهيدًا (ورد ذكره عام ١٢٦٩).

وتضمّ بعضُ كنائسها مخطوطات نفيسة، من جملتها مقالات (ميامر) يوحنا الداري كتبها الراهب بهنام ابن القس عيسى، من القلعة (الموصل) عام ١٥٦٥، وشرح الكتاب المقدس بالكرشوني من سنة ١٧٥٩ للشماس متي ابن المقدسي يوسف، وفيه أخبار الجفاف والجراد والنهب وتجمّد نهر دجلة في الأعوام ١٧٥٦–١٧٥٨. وكثيرًا ما نلقى حواشي في مخطوطات القرن ١٩ تشير إلى حَجّ بعض الأهالي إلى الأراضي المقدسة.

٢– كرمليس

تقع على بُعد ٢٨ كم جنوب شرقي الموصل و٤ كم من قره قوش و٥ كم من برطلة، تحيط بها تلول أثرية، تل الغنم، تل برابرة، ربن يوحنا، بسيدى، خاتون خمرة، خربة عيسى. فقد كانت مدينةً آشورية مهمّة هي اورو – كرميش او كارا موليسي، أي مدينة الإلهة مليلتوا، ولها باب من جملة أبواب نينوى، واسمها الأقدم أير – أيلوا – بانوا، أي مدينة الالهة بانوا.

غير بعيد منها جرت معركة كوكاميلا بين الفرس والإغريق في ١–١٠–٣٣١

ق . م ، وانتهت باندحار داريوس ، وكان قد مر بالقرب منها مؤرخ حملة العشرة آلاف ، كزينوفون ، عام ٤٠١ ق . م ، واحتلها الامبراطور الروماني ترايان عام ١٦٦ ، وزارها سترابون ووصفها بأشهر المدن الآشورية يومذاك . بينما يصفها ياقوت (+١٢٢٩) بأنها قرية شبيهة بالمدينة ، كثيرة الأبنية والأهل ، وبها سوق عامر وتجار . ويضيف ابن عبد الحق (+١٣٣٨) ان أهليها كلهم نصارى ، ويقول حمدالله مستوفي القزويني ان دخلها السنوي ١١ ألف و٣٠٠ دينار . ونظرًا لأهميتها تولاها أمراء ، هم الأمير مسعود (+١٣١٧) ، ناصر الدين حسن (+١٣٥٨) ، متي شقيقة (+١٣٥٨) ، بيازيد (+١٣٦٤) ، سلطان شاه (+١٣٦٩) ، نجم الدين (+١٣٦٩) ، سحب مسعود (أواخر القرن ١٤) .

كانت كرمليس ضمن الأبرشية المطرافوليطية حدياب ، ثم أصبحت تابعة لأبرشية نينوى (الموصل) ، حتى أصبحت مقرًا أسقفيًا وكان لها أن تأوي ثلاثة بطاركة من نكبات المغول ، بعد انقلابهم على المسيحيين ، وهم دنحا الثاني (١٣٣٢–١٣٨٠) ، وإيليا الرابع (١٣٨٠–١٤٠٨) ، وشمعون الثاني (١٤١٨–١٤٢٧) الذي نقل الكرسي إلى ألقوش عام ١٤٢٦ . أما اعتناقها الكثلكة فتمّ في القرن ١٨ .

عُرِفَت عدة أديرة في كرمليس وأطرافها ، أشهرها دير مار كوركيس ، دير مار يونان ، دير مار يوحنا الدليمي ، دير بنات مريم . وقد عفا الدهر آثار الديرين الأخيرين ، بينما بُنِيَت المدرسة القديمة على أنقاض دير مار يونان ، وتحوّل دير مار كوركيس إلى مقبرة للبلدة ، ودير مار كوركيس على اسم راهب كرمليسي من أواخر القرن ٦ ، ومن رهبان دير مار ابراهيم الكسكري مجدّد الرهبنة . مكث كوركيس مدة في دير برعيتا ، ثم مضى إلى جبل عقرة فشيد ديرًا ، وأخيرًا حطّ في مسقط رأسه مشيدًا ديره . ويؤكد توما المرجي أنه أصبح أسقفًا بعد مدة ، ثم استشهد سنة ٦١٥ ، وله كتب في السيرة النسكية وضد البدع . وقد بقي ديره عامرًا حتى القرن ١٤ على أقل تقدير ، وجرى له ترميم عام ١٧١٥ ، وعُثِرَ إبان ترميمات عام ١٨٧٩ على صندوق رخامي كتب عليه (ذخائر = ميناث مار ادي الرسول ومار ايشوعسبران الشهيد) ، نقلت إلى كنيسة مريم العذراء ، وسط القرية ، ثم إلى كنيسة مار ادي التي شيدت عام ١٩٦٤ .

أما دير مار يونان فيقع شرقي القرية ، أنشأه يونان الكرمليسي تلميذ الربان برعيتا في مطلع القرن ٧ ، ولعله تهدّم إبّان غزو نادرشاه (طهمايب) للقرية عام ١٨٤٣ ، وقد عثر

في اطلاله على قبور وشواهد بالاسطرنجيلية .

وتسمى بقايا دير مار يوحنان «تل الربان يوحنا» ، جنوبي البلدة . وهذا أيضًا تلميذ للربان برعيتا ، وكاتب حياته نحو ٦٦٠ ، وكان قد انخرط في الرهبنة ، بمعية الراهب كوركيس ، منذ عام ٥٩٠ ، وعمَّر طويلاً . وهو الذي بنى ، على الأرجح ، دير نقورتايا القريب من قرة قوش . وقد كانت كنيسة دير مار يوحنان عامرة عام ١٧٣٦ ، وتعرضت للدمار يوم الغزو (١٥ آب ١٧٤٣) . وتداعت للسبب نفسه كنيسةُ الأربعين شهيدًا (بسيدى ، أي بيث سهدى) ، وكذلك دير بنات مريم الذي كان قريبًا من دير مار كوركيس .

وقد شُيِّدَ فوق التل الأثري غربي كرمليس ، مزارٌ للشهيدة بربارة ، ويعتقد العامة أن التل هو من أنقاض قصر أبيها الملك ، كما في قصتها . وقد تعرَّضَ هذا المزار أيضًا للدمار إبان غزو نادرشاه ، والقبر الحالي تمَّ تجديدُه سنة ١٧٩٧ . وبالإضافة إلى يوم عيدها (٤ كانون الأول) ، فإن المكان يستقطب الجماهير الغفيرة من كل حدب وصوب كل الأيام ولا سيما في فصل الربيع .

وقد شُيِّدَت كنيسة وسط القرية على اسم مريم العذراء عام ١٨٨٧ ، وجرى توسيعها عام ١٩٠٢ ، ولدى تدشين كنيسة مار ادي الرسول في الجهة الشمالية ، هُجِرَت هذه الكنيسة ، ثم رُمِّمت للعمادات والمناسبات .

٣- قره قوش (باخديدا)

تقع على بعد ٣٥ كم شرقي الموصل ، وعدد سكّانها نحو ٢٠ ألف نسمة (سريان كاثوليك وقلة من السريان الأرثوذكس) ، فهي أكبر تجمع مسيحي حالي . إسمها الحالي تركي بمعنى الطير الأسود ، والآرامي من «بيث خديده» أي بيت الالهة . دخلت المسيحيةُ إليها منذ انتشارها ، وتمَّ تحوّلُها من مشرقية إلى سريانية في القرن ٧ (بحسب الأب فييه) ، على يد الراهب يوحنا الديلمي الذي ما تزال آثار ديره شاخصة بالقرب من القصبة . وقد لجأ إليها ، وإلى غيرها من أماكن ، مسيحيون غادروا تكريت في القرن ١٢ . برزت منذ

القرن ١٢ كمركز مميز في تاريخ الكنيسة السريانية، وأصبحت مقرًا أسقفيًا في القرن ١٨ باسم أبرشية ار بهنام وباخديدا، وبرز منها شخصيات كنسية ومدنية مرموقة.

فيها ٨ كنائس: الطاهرة القديمة، ورد ذكرها منذ القرن ١٢؛ الطاهرة الجديدة، شُيّدت بين عامي ١٩٣٢ و١٩٤٨، وجرت لها ترميمات وتجديدات لاحقة، وهي أكبر كنيسة في العراق؛ كنيسة مار يوحنا (الإنجيلي أو المعمدان) فيها كتابات من القرن ١٣؛ كنيسة مار يعقوب (المقطّع)، ومار اندراوس، ورد ذكرها في حريق عام ١٧٤٣ (ابان حملات نادرشاه)؛ كنيسة مار زينا (غير واضح السيرة، وله علاقة مع مسيحية تكريت)، ورد ذكرها عام ١٥٨٩؛ كنيسة مار سركيس وباكوس، وهي أقدم كنيسة في القصبة؛ كنيسة بشموني (بني شموني)، وفيها كتابة تشير إلى تجديد غير واضح، يبدو من النقش أنه من القرن ١٢، كما تجري فيها سنويًا «أعجوبة» ظهور الشهيدة شموني وبنيها السبعة حسب تقليد شعبي يرقى إلى مطلع القرن ٢٠؛ كنيسة مار كوركيس، ورد ذكرها عام ١٢٦٩. وتحتضن بعضُ الكنائس مخطوطاتٍ نادرة، كما نلقى مخطوطات ثمينة لدى بعض أهالي قره قوش، قام بفهرستها الأب بهنام سوني.

ثالثًا– الشيخان وعقرة

١– الشيخان (عين سفني)

يقع قضاء الشيخان على بُعد ٥٠ كم شمال شرقي الموصل، ويُنسَب إلى الشيخ عادي بن مسافر الاموي (توفّي عام ١١٦٢ م) والشيخ صخر والشيخ حسن والشيخ شمس الدين. وتعني «عين سفني» عين الأوتاد. كانت مركز أبرشية مشرقية، من أساقفتها برشهدي الذي اشترك في مجمع مار حزقيال الجاثليق عام ٥٧٦. وظهرت إمارة الشيخان في القرن ١٢ م اثر انقراض إمارة داسن.

في القضاء حاليًا نحو ١٥٠ عائلة مسيحية، كلدانية وأثورية. للكلدان كنيسة حديثة شيدت عام ١٩٦٠ باسم مار يوسف، بدلاً من الكنيسة القديمة التي كانت مبنية بالطين، وللأثوريين كنيسة صغيرة باسم مار كوركيس. وبقرب البلدة مزار الشيخ عادي محجة اليزيدية.

٢- ميزي وأطرافها

تقع بين عين سفني وأتروش، ويمكن الوصول إليها عن طريق دهوك وزاويته وسواره توكا. ترتوي من عين ماثا وعين دبركي وعين دشتا دارا، وتكثر فيها الأشجار المثمرة والمزروعات، كما في أتروش وبيبوزي وهرماش وتلان وغيرها. كان فيها ٣٠ عائلة أيام زارها بادجر عام ١٨٥٠، وكنيستها على اسم مرت شموني. وبين آطوش وجمانكي يقع مزار مار اوراها.

وكانت تتناثر قرى عديدة في سفح جبل كارا: اصن، أركن، صيدر، آطوش، برامونكي، جمانكي، سواري، بينداوي، ومنطقة مرانية التي أنجبت ٧٧ كاهنًا، وفيها آثار صوامع وقبور قديمة.

٣- عقرة

تقع مدينة عقرة في منطقة جبلية تَبعُد مسافة ٩٦ كم شمال شرقي الموصل، بيوتها متدرجة وفي أعلاها كنيسة. كانت الديارات والمزارات منتشرة في أطرافها بكثرة، فهي منطقة المرج التي يسهب في وصف دياراتها توما الأسقف (القرن ٩). وفي الأزمنة الأخيرة، قسم البطريرك يوسف اودو أبرشية العمادية الواسعة إلى ثلاث أبرشيات: العمادية، عقرة، زاخو. واختار لعقرة إيليا سفرو تدول من آل ابونا أسقفًا عام ١٨٥٢، وبعد سنة من استقالته، أقام إيليا ملوس خلفًا له عام ١٨٥٤. ورسم يعقوب حنا سحار أسقفًا عليها سنة ١٨٩٣. وامتدت صلاحياته على أبرشية العمادية أيضًا حتى وفاته عام ١٩٠٩. ومنذ ذلك التاريخ لم تعرف الأبرشية راعيًا، فكانت تخضع للعمادية، أو للموصل البطريركية، متخذة أيضًا صفة وكالة بطريركية، حتى تم استحداثها سنة ١٩٤٧ فرُسِمَ أسقفًا لها بولس شيخو، الذي خلفه، بعد انتخابه بطريركًا، المطران اندراوس صنا عام ١٩٥٧، وخلفه المطران عبد الأحد ربان، كوكيل ثم كأسقف سنة ١٩٨٠، وبوفاته عام ١٩٩٨ عادت عقرة وكالة بطريركية، نظرًا لهجرة معظم أهاليها منذ الستينات، سواء من القصبة عينها بشكل كلي، كما من معظم القرى المجاورة.

٤- مجمع القادسية (نحلا) وهزارجود وملا بروان والأطراف

يقع مجمع القادسية جنوبي قضاء عقرة على مسافة ٥ كم، سكنه أهالي نحلا

(الواقعة بين دينارتا وجم) منذ عام ١٩٨٧، وفيه نحو ١٣٠ عائلة هم بالأصل من تياري، سكنوا نحلا منذ ١٩٢٦. وهناك قرى عديدة هجرها أهاليها بعد الستينات، بعضها استعادت شيئًا من الحياة بعد التسعينات، منها كربيش، دورية، خربه، شرمن، خرجاوه، ملا بروان، نوهاوا، خردس، طلانيثا، هرني، صورا، ارتون، بديل. والأديرة عديدة متناثرة هنا وهناك، منها مار عوديشو، مار كوركيس، باسكا، بيث عابي، بيث طوري وغيرها.

٥- ميركي وبعشيقة وباحزاني

ميركي، قرية تابعة لدير مار متى. أصل معظم أهاليها (سريان أرثوذكس) من تكريت. تعرضت للغزو والحريق عام ١٨٦٣، فهجرها أهلها، ثم عاد إليها بعضهم. كنيستها حديثة شُيِّدَت على أنقاض الكنيسة القديمة.

وتقع **بعشيقة** على بُعد ٢٤ كم شمال شرقي الموصل، وهي مركز ناحية. سكانها نحو ٨ آلاف، يزيديّون ومسيحيّون (نحو ٢٥٠ عائلة من السريان الكاثوليك والارثوذكس) ومسلمون، وهي نموذج تعايش ديني. كان معظم سكانها مسيحيين في عهد ياقوت الحموي (القرن ١٣). ويتكلمون العربية بِرَطانة. إنها غنية بالعيون والزيتون. اسمها «بيث شحيقي» أي بيت المنسحقين، وبجوارها تل آشوري (تل بلا). كنائسها على اسم مرت شموني (من سنة ١٨٩٠، إنما على أسس قديمة)، مار كوركيس (على أسس دير قديم)، مريم العذراء (١٨٥٦)، والعذراء الطاهرة (١٩٣٢).

تجثم **باحزاني** على سفح جبل علوه ٢٠٠٠ قدم، على بعد ٢٠ كم شمال شرقي الموصل. سكانها يزيديّون ومسيحيّون (نحو ١٥٠ عائلة سريان أرثوذكس خاصة)، فيها أكثر من ١٠ آلاف شجرة زيتون، اسمها من «بيث حزوي» أي بيت المناظر. في أطرافها آثار صوامع نساك، لعلهم من جملة مَن طاردهم برصوما مطران نصيبين (القرن ٥)، من ضمنهم ٩٠ راهبًا، منهم برسهدا الذي حمل جثمانه إلى دير بيزانيثا عام ٤٨٠ ثم دُفِن إلى جانب ضريح مار متى. أمست باحزاني ضحيةَ غزو جنكيزخان. كنيستُها على اسم مار كوركيس (١٨٨٤)، خَدَمَها ١٥ كاهنًا من عائلة أدي.

٦- خنس ودزي وبدويل وبيريستيك

تقع **خنس**، واسمها الأشوري القديم خنوشا، على الضفة الغربية من نهر الكومل، على بعد ١٠ كم عن عين سفني. فيها أسس بابي الجبلتي (أواخر القرن الخامس) واحدة من مدارسه الموسيقية الشهيرة. ولعل البطريرك كوركيس الثاني (٨٢٨/٨٣٠-٨٣١) منها. تقوم فيها الآثار العجيبة لسنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م) كواجهة مدخل قناته التي بطول ٤٨ كم حتى نينوى، يذكرها توما المرجي في كتاب الرؤساء، ليؤكد بأن دير لحبيس (حويشا) هو هناك.

وتقوم **دزي** أيضًا على الضفة الغربية من الكومل، على بعد ١٨ كم شمال غربي خنس. كنيستها على اسم مار كريستوفوروس الشهيد، لها كُتِبَ في بيبوزي إنجيلٌ طقسيّ عام ١٧٢٠، وطقس وفيّات في ألقوش عام ١٧٣١. كما ان القس نيسان يطلب كتابة رسائل عام ١٨٠٧، فيقوم بالعمل الشماس مرقس ابن القس عوديشو حفيد القس يلدا ابن القس كوركيس من ألقوش، وقد كان يومذاك في العمادية. عندما يمر بها بادجر عام ١٨٥٠ يلقى فقط ٢٠ عائلة بدون كنيسة.

وهناك قرية صغيرة باسم **بدويل**، على بعد كيلومترين عن دزي، شاهد فيها بادجر ٢٠ عائلة وكنيسة دون كاهن، إلا اننا نلقى بعد سنة (١٨٥١) كاهنًا اسمه شمعون يكتب كتاب صلوات طقسية (كشكول) لكنيسة مرت شموني في بيوز.

وعلى بعد ٥ كم غربي عين سفني تقع **بيريستيك**، لعلها بيث رستاقا القديمة. فيها أيضًا أسس بابي الجبلتي مدرسة، وفيها مرَّ برعيتا وتلاميذه نحو عام ٥٦٢، كما لجأَ إليها في نهاية القرن ٦ برسهدي الذي أبعَدَه المونوفيزيون عن ديره مار آدونا، قرب برطله. وفي مدرستها الشهيرة نلقى الربان سرجيس صاحب كتابٍ يصفه توما المرجي. وأحد أساتذة المدرسة الربان قاميشوع من ريشا في باجرمي، انطلق إلى المدائن حيث توفّاه الله. تذكر مصادر عربية بارستاق كقرية إسلامية (قلائد الجواهر). ثم سكنها أثوريون، وبعدهم أكراد مسلمون ويزيديّون.

وقد كان دير مار يوحنان ومار ايشوسبران في جبل الفاف (مقلوب)، يؤكّد الأب

دير مار متّى – الموصل (ق ٦ مع عدّة ترميمات)

مدفن ابن العبري († ١٢٨٦) في دير مار متّى – الموصل

الباحة الداخليّة في دير مار ميخائيل – الموصل (ق ٤ مع عدّة ترميمات)

جرن عماد بمستوى الأرض في دير مار ميخائيل – الموصل (ق ٤ حسب التقليد)

فيبه أنّ مكانه في المكان الذي يقوم فيه حاليًا المركز الأعظم لليزيديّين أي مزار داكي نشاك المعروف بمزار الشيخ عادي.

وعلى بعد كيلومتر واحد غربي بيريستيك يقع دير الصليب (الربان صليوا)، كان فيه ٥٠ راهبًا في أيام مؤسسه، الذي خلفه الربان قرياقوس (أسقف بلد نحو عام ٧٦٠)، ثم أثقن (الديورة لايشوعدناح).

رابعًا- دهوك وعمادية

١- دهوك وأطرافها

عروس الشمال، على بعد ٧٢ كم شمالي الموصل، ضمن جبال بيخير (الجبل الأبيض) شمالاً، وجبال شندوخا (الجبل الأسود) جنوبًا، وترقى إلى القرن ٧ ق.م. على أقل تقدير. تدل على ذلك منحوتات آشورية في كهف الجبل الأسود (شكفتا هلاماتا) مقابل قرية كفركي، ترجع إلى عهد الملك سنحاريب (٧١٥-٦٨١ ق.م). وبعد أن كانت قرية صغيرة أصبحت منذ ١٩٧١ مركز محافظة تشمل مناطق سميل والعمادية وزاخو. انتشرت فيها المسيحية منذ العقود الأولى، وقد أعطت المنطقةُ القديمة نوهدرا أو باهذرا اسمها لأبرشيّتها، منذ أول مجمع رسمي لكنيسة المشرق (مجمع مار اسحق عام ٤١٠)، واسم أسقفها اسحق، ولعل كرسيه آنذاك في تل خش (تل خشاف) على الطريق الملوكي.

مزار مار ايثالاها في مدخل دهوك هو مزار شهير، على اسم شماس استشهد إبان الاضطهاد الأربعيني (٣٣٩-٣٧٩) بمعية الأسقف عقبشما والكاهن يوسف، وكان تلميذ مدرسة شهيرة في نوهدرا، تخرَّجَ منها في القرن ٧ سهدونا أو مرطوريس صاحب المصنفات الرائعة في الحياة النسكية. يسمي الأكراد هذا المزار ديرا براني أي دير الكبش أو الدير الخارجي (البراني). يأتي ذكر المزار - الدير في التقرير المرفوع إلى روما عام ١٦١٠. تجدَّدَ عام ١٩٣٣، وهُدِم عام ١٩٩٨ لتقوم مكانه كنيسة ضخمة، أنشئ عام ١٩٨٧ بقربها دارٌ للمطرانية. وفي دهوك كنيسة على اسم سيدة الانتقال، ترجع إلى العام ١٨٥٠، وجُدِّدت عام ١٩٤٨، ثم ١٩٧٦. وهناك كنيسة أخرى على اسم العذراء

مريم، وأخرى في بروشكي. ومسيحيو دهوك هم من الكلدان والأثوريين.

وتقع دلب على بعد ٤ كم شمال غربي تل معلثا. سُمّيت أيضًا عين دلبي، فيها ولد نَرسَي الملفان عام ٣٩٩. فيها كنيسة على اسم الشهيد كريستوفر، كما نقرأ في عدة مخطوطات. ونجد في هذه المنطقة أيضًا جبل دلباتا حيث أقام يوحنا دلياثا بضع سنوات (القرن ٨).

وقبل مدخل دهوك بكليومترين تقوم مالطه، التي هي «معلثايا» القديمة أو «معلثا» أي المدخل إلى الجبال، وبالتالي إلى منطقة كردستان، حيث الطريق إلى داسن وإلى بيت طوري. تسكنها عائلات كلدانية، وقد حفظ لنا التاريخ جملة مخطوطات مكتوبة لكنيسة مار زيعا في معلثايا (حاليًا في كنيسة الانتقال في دهوك) ترجع إلى السنوات ما بين ١٦٩٨ و ١٩٠٠، منها إنجيل طقسي (أونكيليون دمفرشي) خطه بحرف اسطرنجيلي جميل القس كوركيس ابن القس إسرائيل ابن القس هرمزد ابن القس اسرائيل من ألقوش عام ١٦٩٨. ولدى مروره بمعلثايا يلقى بادجر فيها ٢٠ عائلة (١٨٤٢–١٨٤٤) وكذلك لايارد (١٨٤٩)، بينما يلقاها الأب ريتوري أطلالاً عام ١٨٨٥. إلا ان الأهالي يعودون إلى قريتهم عام ١٨٩٤. نلقى قريبًا منها حاليًا مجمعًا إسلاميًا. وفي سميل ومنصورية الجبل وشيوز (شيزي) عائلات كلدانية وأثورية. وقد كان يسكن سميل عائلات كلدانية، وكنيستها على اسم السيدة مريم، كانت بادية للعيان حتى الحرب العالمية الأولى، حيث انتقل أهاليها إلى شيوز، وحلَّ محلهم عائلاتٌ أثورية، نكبتها مجزرة عام ١٩٣٣. وعاد بعد ذلك بعضُ كلدان شيوز ومار ياقو فسكنوها. لنا جملة مخطوطات تذكر سميل في السنوات ما بين ١٧٠٨ و ١٧١١. وهناك وجود لبعض السريان في سميل في القرنين ١٧ و١٨.

نلقى ذكر شيوز أو «شيزي» منذ القرن ١١ في مرسوم البطريرك عبيشوع الثاني (١٠٧٥–١٠٩٠) القاضي بعصمة بعض الأديرة، وخمسة كتب طقسية مكتوبة لكنيسة مار كوركيس في شيوز نقلت إلى دير مار ياقو عام ١٨٨٣ لكي يصلحها الشماس عوديشو ايليشاع (وهي حاليًا في مكتبة الآباء الدومنيكان). آذتها أحداث ١٧١٢–١٧١٣.

ويغلب الظن أنّ ألوكه أيضًا كانت مسيحية في السابق (ربما المخطوط الذي كتبه القس اوراها ابن القسّ مرجان عام ١٦٩٧ لكنيسة مار كوركيس في ألوكان هو لألوكه، وهو ضمن مخطوطات البطريركية الكلدانية).

٢- سرسنك وبردرش وبيباد

يفصل بين سرسنك وبردرش الطريق العام لمصايف الشمال دهوك - العمادية. وتَمَّ الكشف عام ١٩٢٢ على أنقاض بداهرش أو «بيث دراشا» أي بيت الدرس، ويذكرها بادجر عام ١٨٤٢. وقامت سرسنك لتكون مركز ناحية ومصيفًا للعائلة المالكة (فيصل الأول، غازي، فيصل الثاني). تسكن نحو ١٠٠ عائلة من الأثوريين خاصة قصبة سرسنك، ولهم كنيسة على اسم مار متى، ونحو ٢٠ عائلة من الكلدان والأثوريين في بردرش والكنيسة على اسم مار كوركيس.

أما «بيث بيدا» فتعني موضع القناني، لأن أهاليها مشهورون بصناعة القناني الفخارية، كأهالي دركني، لما تمتاز به صناعتُها من مطواعية. تقع على الشارع الرئيسي الذي يربط العمادية بالموصل، يحتضنها شمالاً جبل متينا. كنيستها على اسم بني شموني، من القرون الوسطى، وشفيعها مار كوركيس. ذاعت شهرتها عندما أصبحت في الأعوام ما بين ١٩٢٢-١٩٢٥ مقرًا لبطريركية كنيسة المشرق الأثورية، بعد أن هاجر البطريرك الأثوري من قوجانس عام ١٩١٥. وقد استُخدِمَت لهذا الغرض المدرسةُ الثانية اللاهوتية والمطبعةُ التي أنشأتها بعثةُ أسقفيةِ كنتربري عام ١٩١٠، وظلت البناية قائمة حتى أحداث الشمال عام ١٩٦١ إذ أُحرِقَت، وأُزيلَت القرية عام ١٩٨٧.

٣- تنا والداوودية

تقع بين جبلين شامخين، كارا ومتينا، يحدها مطار بامرني شرقًا، والداوودية غربًا، وبامرني شمالاً. كان فيها نحو ٥٠٠ شخص إذ انّ أهاليها رحلوا سنة ١٩٦٢ إلى بغداد وأماكن أخرى، وعاد بعضهم بعد أحداث ١٩٩١. كانت تضم عام ١٨٧٥ نحو ٤٠ بيتًا (ريتروي)، وكان عدد سكانها ٤٥٠ شخصًا سنة ١٩١٣ (تفنكجي). وجميعهم كلدان، كأهالي الداوودية وأرادن واينشكي ومانكيش.

يأتي ذكرها في سياق تاريخ دير شهير هو دير «بيث صياري» أي دار الرسامين، الذي يبعد عنها مسافة ربع ساعة مشيًا، وكذلك في تاريخ دير مار ابراهيم الناسك الذي يبعد مسافة ساعة، وهناك رَحَى الدير على بعد نصف ساعة. وهي قرية الراهب اسرائيل معاصر الربان يوسف بوسنايا (القرن ١٠). والربان موشي، من دير بيت صياري، ومعلم يوسف بوسنايا، ترك لنا محاوراته مع أحد علماء العرب «الرهزديين» ويقع تذكاره في ١٥ تشرين الثاني (وقد كانت وفاته عام ٩٤٧). وهناك مخطوط كتبه كاهن القرية حنا عام ١٧٩١، اشتراه المطران (ثم البطريرك) يوسف اودو سنة ١٨٤١ (محفوظ حاليًا في مطرانية كركوك). أُحرِقَت عدة مرات. وربما جاء اسمها من أنها أُعِيدت أي كُرِّرَت (تنا، بالآرامية). لها شفيعان: مار كوركيس ومار يوحنا المعمدان، وللأخير تقليدٌ يهرع في عيده الأهالي إلى عين الحمى (أينا دشاثا) للاغتسال والاستشفاء.

ويقع دير مار اوراها الباكي (ابراهيم التائب) في زاويته، على بعد ساعة مشيًا من تنا، غربي بامرني. وبتحوُّل القرية إسلامية، ارتفع جامع الشيخ بيراموس في موضع كنيسة الدير القديمة (من القرن ١٠). يذكره ابن كلدون كاتب سيرة يوسف بوسنايا ويعتبره الأسمى بين الأديرة في زمانه، إذ يلقى فيه ٢٧٠ راهبًا، ٥٠ في الدير والآخرين في صوامع كحبساء، وكان رئيسه الربان كوريل (جبرائيل) أخا يوسف بوسنايا نفسه. وقد كان لهذا الدير علاقات مع أديرة أخرى، كدير اينشكي ودير مار ايشوعياب ودير الربان هرمزد ودير شمرخ ودير الربان قيوما. يقصده أهالي تنا والداوودية في آخر أحد من تشرين الأول للتبرك، ويوزعون بالمناسبة خبزًا على فقراء قرية بيراموس المسلمين. وقد تنبأ على خرابه الربان يوسف بوسنايا قبل مماته، وفعلاً فإن الرهبان اضطروا إلى هجره بسبب المناوشات المستمرة ما بين بني حمدان الحاكمين في الموصل يومذاك وبين أكراد المنطقة وآغَواتِها.

تقع الداوودية غربي مطار بامرني، وتشرف على وادي صبنا. تقوم في وسطها آثار قلعة حيكت الأساطير حولها. كانت تضم عام ١٨٧٥ عشرين عائلة (الأب ريتوري)، و٣٠٠ شخص سنة ١٩١٣ (تفنكجي)، و٨٠ عائلة عام ١٩٦٣. هُجِرَت عام ١٩٨٧، واستعادت الحياة بعد ١٩٩١. كنيستها على اسم مار يوحنا المعمدان، ولها مخطوط (طقس كهنة) كتب عام ١٧٠٧، بناءً على طلب سيدة من القرية بيلكان (مخطوط

كمبردج ١٩٨٤). ويرد اسم كاهمن، هرمزد، في القرن ١٧ (مخطوط المتحف البريطاني، ريج ٧١٥٦).

قبل الوصول إليها بكيلومتر تبدو أنقاض دير يُسمَّى شعبيًا «دق ريشا» أو «ريش دقي»، ويفسر على أنه دير «المقطوع الرأس»، وبالتالي فهو مار يوحنا المعمدان. وتوجد آثار دير مار داودو الذي يقع بينها وبين قرية حسن بيركا.

٤- ارادن

تقع على سفح جبل متينا المطلّ على وادي صبنا، على علو ١١٤٠ م. كانت تَعُدّ عام ١٨٧٥ نحو ٦٠ بيتًا من الكلدان (ريتوري)، و٦٥٠ نسمة عام ١٩١٣ (تفنطجي)، ٥٠٠-٦٠٠ عام ١٩٢٧ (الأب لابي)، ونحو ٣ آلاف عام ١٩٦١ (حسب حبيب ايشو)، وحاليًا بضعة أشخاص. تحيط بها بساتين مثمرة وتسقيها عيون مياه صافية وعذبة. فهي جنّة عدن (أرعا دعذن أي أرض عدن)، ومن أجمل المصايف العراقية. كانت مركز أبرشية بهدينان (١٩١٠-١٩٤٧)، ثم نقل الكرسي إلى العمادية. أشهر مزاراتها هو مزار سلطان مهدوخت الشهير، يقع على بعد ٤ كم من القرية. يتكوَّن من صحنَين حجريَّين طول كل منهما ٢٤ م، ويعتقد أن البناء من القرن ٤، شُيِّد بالحجر والكلس. ومعروفة قصة استشهاد سلطان مهدوخت مع أخويها اذوبردا وميهر نَرسَي عام ٣١٨، بعد اعتمادهم على يد مار عبدا أسقف خربة جلال (قرب كركوك)، وقد كتب أعمال الشهادة جبرائيل تورتا من شهرزور ومن رهبان دير بيت عابي في القرن ٧ ويُعيّد الأهالي شفيعتهم في ١٢ كانون الثاني، و١٥ أيار. وفيها مزار على اسم مرت شموني (وهناك مخطوطات قديمة مستنسخة لمرت شموني وسلطان مهدوخت)، وكهف واسع على اسم مار كوريال (جبرائيل)، وعلى مقربة ٣ كم شرقًا آثار دير مار يوسف من اينشكي، ودير مار ابراهيم بيث صياري (٨ كم غربًا)، وكلاهما من القرن ٦. ومن خطّاطيها سمنو عام ١٧٠٠، الذي هو ابن القس دانيال ابن القس يوسف ابن القس خوشابو. بينما نلقى القس كوركيس بن هرمزد يوعز باستنساخ طقس تشييع الموتى لمرت شموني وسلطان مهدوخت سنة ١٧٥٩. ونجد مخطوطًا آخر يحمل اسم الكنيستين استنسخ عام ١٨٤٦ بناءً لطلب الشماس يوحنان ابن الشماس كويو. وفي أرادن أقام سنواتٍ الشماس الياس بن هومو من

ألقوش، فيها استنسخ جملة مخطوطات عام ١٨٨٨، منها حياة البطريرك يوسف اودو عام ١٨٨٩، والعهد الجديد عام ١٨٩٠ لكنيسة مار كوركيس في هركيل، قرب جوليرك. وفي أرادن نشأت رهبنة بنات قلب يسوع الأقدس عام ١٩٠٨ بهمة القس عبد الأحد ريس.

٥– اينشكي

كانت تَعُدّ عام ١٨٧٥ نحو أربعين عائلة (ريتوري)، و٢٥٠ نسمة عام ١٩١٣ (تفنكجي). كنيستها على اسم مرت شموني، بناها المطران قرياقوس كوركيس كوكا سنة ١٨٨٥. أما القرية الأصلية فإلى الجنوب قليلاً، وكنيستها على اسم مار كوركيس، يُعيّد له الأهالي في ٢٤ نيسان وفي ٣ تشرين الأول. ربما لهذه الكنيسة يَكتُب القس ابراهيم بن زنجيشا مجموعةَ ألحان عام ١٧٢٨ (مخطوط كمبردج ١٩٧٧). نلقى حواليها مغائر وصوامع عديدة، لاسيما في كلي مغائر الربان على بعد ٢٠ دقيقة مشيًا غربي القرية، منها صومعتان وسط جبل متينا، في كل منهما ثلاث مصطبات منقورة في الصخر تحت سطح الأرض، أشبه بقبور نسّاك. وفي الموقع المسمّى «عين شاثا» أي عين الحمى، يقع مزار مار قرياقوس، يعيّد له الأهالي في ١٥ تموز. وباتجاه ارادن، نلقى مزار مار يوسف، يحمل اسم «ديري سور» (بالكردية) أي الدير الأحمر، وقد كان الباب ظاهرًا حتى عام ١٩٥٣. ليس من المستبعد أن يرتبط بتاريخ الربان يوسف بوسنايا. فنحن نقرأ أنه بعد وفاة الربان موشي من دير بيث صياري، أي بعد العام ٩٤٧، جاء الربان عوديشو الداسني إلى دير الربان يوسف، وإذ لم يكن المكان ملائمًا بسبب الهجمات الكردية المتكررة، نقله إلى مكان أعلى مطل على القرى، بحيث يمكن للجميع سماع أصوات الرهبان. وسيتوفى الربان عوديشو في دير مار اوراها (ابراهيم) في شمرخ. لذا فهناك ديران على اسم الربان يوسف.

٦– أقدش وبامرني (بيث مورداني)

بيث مورداني هي بامرني اليوم، بين أراد وتنا. وبارني تكية معروفة للطريق النقشبندية منذ القرن ١٣، إلا ان اسمها القديم ظل يتردد حتى القرن ١٧ (كما لدى ياسين بن خيرالله الخطيب العمري في كتابه منية الأدباء). نلقى ذكر القرية قديمًا في قصة الراهب

زيعا من القرن ٤ ، أصله من فلسطين ، وقضى ٤٠ سنة في مغارة في كورزان (جرهان) في جبل كارا ، بمعية تلميذ إسمه طابور ، ثم قصد بيث مورداني حيث صنع عجائب . وتلقّاه أسقف الموقع . ويكمل مار زيعا طريقه إلى أقدش ، بين اينشكي والعمادية حيث يشفي ممسوسًا . وقد كان في أقدش كنيستان ، على اسم مار متى جنوب القرية الحالية ، وعلى اسم مار زيعا في وسط القرية ، ثم تحولت الأخيرة إلى مُصلّى للأكراد المسلمين الذين سكنوا القرية . لهذه الكنيسة الأخيرة كتب طقس حبريات (رسامات) في اينشكي ، بطلبٍ من قبل القس عوديشو ابن القس توما بن موشي من قرية كاسا (تخومي) سنة ١٨٠٩ ، ودفعت نفقاته السيدة مرتا ابنة خايي ، ويتحدث أيضًا عن تجديد الكنيسة عام ١٨٠٨ .

٧- شمرخ ودير مار اوراها

تقع شمرخ جنوبي مانكيش وجنوب غربي الداوودية ، وليس في المرج؛ وهي غير بعيدة من الزاب الكبير (كما ظن هوفمان وتبعه شابو وآخرون) . وشمرخ جبل وقرية نلقى ذكرها في القرن ٧ ، إذ ان أحد أهاليها شفاه الربان قبريانس (الذي ديره في بيرتا على الخابور) . يقع دير مار اوراها الباكي (ابراهيم التائب) ، في وادي شمرخ ، غير بعيد من دير النساء (ديرا كشنك) . كانت أطلال الكنيسة بادية عام ١٩٥٨ (حين زار الدير الأب جان فييه) ، وبقربها جدران جامع أقيم لدى تحول القرية من مسيحية إلى إسلامية . في هذا الدير توفي مار عوديشو (عبديشوع) مؤسس الدير الواقع في اينشكي . ورهبان هذا الدير (اوراها) حضروا تشييع الربان يوسف بوسنايا عام ٩٧٩ . وهناك آثار كهوف وصوامع وقبور قرب دركالي (دير جيلي) وكلي ناروسك .

٨- مانكيش

مركز ناحية الدوسكي ، تبعد من دهوك نحو ٤٠ كم شمالاً ، يسكنها أكثر من ٢٠٠ عائلة كلدانية . فيها كنيسة قديمة على اسم مار كوركيس ، تجددت عام ١٩٣٤ . ويقع مزار مار توما جنوبي القرية في قلاية (صومعة) منقورة في الجبل ، حيث تبدو آثار صوامع أخرى . وفيها مزار لمرت شموني ، وفي أطرافها عين الشهداء (أينا دسهدي) ، وآثار دير للنساء (دير كشنك) . أصبحت منذ الستينات مركز أبرشية العمادية ، وأعطت

مطارين و كهنة ورهباناً وراهبات ، إضافة إلى شخصيات مدنية . يكثر عدد النازحين منها إلى الموصل وبغداد ومدن وبلاد أخرى .

٩- ديري وكوماني

ديري أو دير مار عوديشو (عبديشوع) ، ٥ كم شرقي العمادية في وادي جبل بشيش على السفح الجنوبي لمتينا ، تكتظ بالبساتين والعيون . أهاليها نحو ٣٠ عائلة أثورية نزح معظمُهم إلى المدن ورحل بعضهم إلى الخارج ، فلم يبقَ حاليًا سوى ٥ عائلات . شهرة الدير واسعة وتنسب إليه الأعاجيب الكثيرة ، وعيده في الأحد الثاني من موسم القيامة . لكننا لا نعلم هل هو عبديشوع الذي هدى مار قرداغ الذي استشهد عام ٣٦٧ ، أو انه راهب متوحد اجتمع إليه رهبان آخرون . الأرجح أن يكون عبديشوع هو الذي هدى مار قرداغ لارتباط الاثنين سواء في القصة أم في هذا الدير عينه . وقد كان ضريحهما في قرية بيت عزيزة في طال ، قرب تخوما في حكاري . أقدم ذكر للدير يرجع إلى العام ١٢٢٤ ، في مخطوط كتب في هذا الدير (دير عبديشوع الأبيل المسمَّى كوم ، قرب العمادية) . كما في مخطوطات أخرى ، بعضها أُحرق وفقد عام ١٧١٢ ، وبعضها محفوظ في كمبردج . يَذكر ديرَ كوم هذا ياقوتُ الحموي (القرن ١٣) . ويأتي ذكره في القائمة التي أرسلها البطريرك إيليا الثامن إلى البابا بولس الخامس (روما) عام ١٦١٠ . لقد قام بإصلاح الدير الدومنيكي ليوبولدو سولديني في النصف الثاني من القرن ١٨ ، إذ ان الآباء الدومنيكان تملكوا الدير ، بمساعي أمين باشا الجليلي في السنوات ما بين ١٧٧٣–١٧٧٩ . وأجريت له صيانة أخرى عام ١٨٤٣ . وقد كانت كنيسته ، قبل هدمها عام ١٩٨٧ مكونة من صحنين ملتصقين ، الواحد ١٠ م × ٣ ، ٥ على اسم مار قرداغ ، والثاني ٩ × ٤ على اسم مار عوديشو ، ووسع الصحن الأخير ببناية حديثة .

وتقع **كوماني** أو كواني على بعد ٥ كم شرقي العمادية ، وهي مطلة على وادي صبنا . تكثر فيها البساتين المثمرة . كانت مشهورة بالتبغ . أهاليها من الكلدان والأثوريين يعدّون نحو ٢٠٠ نسمة ، وقد كانوا ١٣ عائلة «نسطورية» لدى زيارة بادجر عام ١٨٥٢ ، وأصبح فيها ٢٠ كلدانيًا عام ١٨٦٧ ، و٦٠ عام ١٩١٣ (تفنكجي) . نشأ فيها مجمع إسلامي في الثمانينات . الكنيسة على اسم مار قرياقوس ، شيدت في السنوات

١٩٥٤-١٩٧٨ على أنقاض دير قديم (كما في مخطوط كتبه القس نرسي نيسان ابن القس يوحنا ابن القس نرسي دركنايا سنة ١٨٤٧ مكتوب لكوماني المباركة المطلة على دير مار قرياقوس الشهيد والطوباوية مريم)، فإن مريم العذراء سيدة الانتقال شفيعة كوماني (ولقبها القديم في كوماني: أم الحياة والنور)، يعيّد لها أهالي القرية في ١٥ آب، كما يعيّدون في ١٥ تموز من كل عام باحتفال كبير (شيرا). لكنيسة العذراء كتب الشماس يوسف نزيرا بن داويذ مقدسي ابن الرئيس حنا من المنصورية (على دجلة أسفل جزيرة ابن عمر) عام ١٥٧٦ كتاب جامع الصلوات الدورية (حوذرا) في فيشخابور الواقعة على حدود بازبدى، وذلك بناءً على طلب القس اسحق من كوم، ابن القس ماربينا (وقد كان المخطوط في مكتبة العمادية التي احترقت عام ١٩٦١). وهناك آثار دير قديم يحمل اسم مار ابرون (افرام)، نلقى فيه آثارًا ساسانية، وهناك مزار مار ساوا (الشيخ) في مدخل كلي ديرش على سفح جبل كاره. وجاء في قصة مار زيعا ان المسيحية دخلت كوماني في القرن ٤، وان مار زيعا بعد تحركه من صومعته إلى بامرني (بيت مورداني) وأقدش، جاء إلى كوماني (كوم). وبعيدًا في الجبال الممتدة شرقًا بحيرة ألقيت فيها جثة مار سولاقا أول بطريرك كاثوليكي (كلداني) عام ١٥٥٥.

خامسًا- زاخو والجبال

١- عومرا دمار سوريشو وبلون

عُومرا دْمار سوريشو أي دير مار سبريشوع، مؤسسه راهب من القرن ٦. قامت بعده قرية تقع على مسافة ساعتين مشيًا شمال شرقي سناط (شمال زاخو في الجبل). أصل أهاليها القلائل، ١٨ عائلة، من جولميرك. كنيستها على اسم صاحب الدير، وعلى بعد نصف كم مزار باريسيا أخت مار سبريشوع. رحل أهاليها في بداية العشرينات بسبب المجاعة وآثار الحرب إلى بيهيري واسطفلاني، فالموصل وبغداد.

وتقع **بلون** شمالي سناط، وأمست منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ضمن الحدود التركية وسكانها من المسلمين. وكان عدد أهاليها الكلدان ٣٠٠ نسمة سنة ١٩١٣، ربما أصل الكلمة من أصن او هسانة جنوب شرقي بوتان (جبل جودي). لها ثلاثة شفعاء: مار

كوركيس، مرت شموني، ومار ياقو (يعقوب). من بين أبنائها المطران توما بيداويد (+ ١٩٧٢) وغبطة البطريرك مار روفائيل الأول بيداويد (١٩٨٩ –).

٢- سناط وعومرا ويردا وآلانش وشرانش

يقال بأن سفينة نوح توقفت عند جبل ارارات على قمة جبل جودي، فكانت اسناخ (**سناط**)، مثل شرناخ (نوح العالي) ودورناخ (بيت نوح). تقع على بعد ٥٠ كم شمالي زاخو، في آخر موقع من أرض العراق. وقد كانت المنفذ الوحيد إلى تركية قبل إنشاء جسر ابراهيم الخليل. كان عدد سكانها ٦٠٠ نسمة عام ١٩١٤. وهي مكتظة بالبساتين غنية بالعيون والمتكلسات التي قد تكشف عن مغائر ممتدة في قلب الجبل. كنيستها على اسم مرت شموني وفيها مزار مار سهدونا. هدمت عام ١٩٨٧ بسبب الشريط الحدودي الأحمر.

وتنبسط **عومرا** أو دير شيش فوق قمة شرقي سناط. في لحف الجبل يقوم دير مار اثقن، ذكره ايشوعدناح البصري (القرن ٨). أصل أثقن من باجرمي، ترهّب في دير ايزلا، وهو صديق يوسف حزّايا، مضى إلى جبل بانوهدرا، قرب دير الانبا صليبا، وبنى ديرًا عظيمًا، ولحق به يوسف حزّايا حيث توفّي ودُفن. وصاحب الدير معروف في المنطقة باقتداره على صنع العجائب. وتوجد أطلال دير الربّان صليبا على بعد كيلومترين من مار اثقن. ترك أهالي عومرا قريتهم عام ١٩٧٨ طلبًا للعيش، وامّحت القرية عام ١٩٨٧ بسبب الشريط الأحمر.

وشرقيها تقع **يردا** عبر درب جبلي وعر، في أعلى قمة يقع مزار مار أدي (مار عدا) وقد كان عدد سكانها ٢٥٠ نسمة عام ١٩١٤.

وتقع **آلانش** في قلب وادي بيتخري. كان عدد سكانها ٧٠ نسمة عام ١٩١٤.

وتقع **شرانش** على بعد ٣٢ كم شمالي زاخو وفوق قمة في قلب منطقة السندي. أصل التسمية شهرا آنوش أي بلدة آنوش، وهي محاطة بسبع قلاع حصينة مبنية منذ عهد الرومان، بل ربما أقدم، وفيها كهف طوله ١٤٠ م. كان عدد سكانها ٦٠٠ نسمة عام ١٩١٤، و٢٧٠ عائلة حتى عام ١٩٨٧، وتحتها شرانش السفلى التي يسكنها مسلمون.

منها ألفونس منكانا والمطران حنا كلداني (معاون بطريرك القدس للاّتين). فيها كنيسة مرت شموني، من أقدم كنائس المنطقة، وكنيسة مار قرياقوس من العام ١٨٧٠.

٣- مركا

مركا، عدد سكانها ٧٦٠ نسمة عام ١٩١٤.

٤- كاني ماسي (عين نوني)

تنحصر هذه المنطقة بين ذراع الزاب الكبير شرقًا ونهر الخابور غربًا، والحدود العراقية التركية شمالاً وجبل متينا جنوبًا.

٥- بشمابي

تقع وسط منطقة برواري بال على بعد ٥ كم جنوب شرقي عين نوني، و٣٠ كم شرقي العمادية، على تلونهر دبيث خيلابي. إسمها «بيث شميائي» أي بيت السماويين، أو «برش ميايي» أي قرب المياه. تطل على القرى التالية: بي تنوري، ايت، دوري، بر بوري. كنيستها على اسم بشموني (بْني شموني) مبنية من الحجارة الجبلية، وفيها كنيسة أخرى على اسم مار افرام. كانت تضم سنة ١٨٤٢ ستة بيوت (بادجر)، وكانت تَعُدّ ٧٣٨ نسمة قبل ترحيل أهاليها عام ١٩٧٨، وقام فيها خطّاط شهير هو القس يخانس يوحنا.

٦- دوري

تقع غربي وادي نهله على الخازر الذي يصب في الزاب الأعلى، ويطلّ جبل متينا عليها جنوبًا. تكتظّ بالأشجار المثمرة، وهي حلقة وصل بين تياري السفلى وبرواري. شفيعها مار كوركيس، وفي الكنيسة كتابة تشير إلى تاريخ بنائها عام ٩٠٩ وكانت مركز أسقفية أثورية تشمل العمادية، صبنا، نروا وبرواري بالا. ومقر المطران بناء محفور في الصخر قرب كنيسة مار قيوما الصغير، أشبه بصومعة، يرجع تأسيسها إلى العام ٩٨٥. فيها أقام يوحنا الديلمي (تاريخ الرؤساء لتوما المرجي). من أساقفتها مار سوريشو (سبريشوع) أيام البطريرك شمعون العاشر، عام ١٦١٠، وخَلَفَهُ يهبالاها الوارد ذكره في مخطوط عام ١٦٦٢ (سعرت ١١٧). ويذكر التاريخ أسقفًا باسم ايشوعياب عام ١٨٢٩

و١٨٤٣ و١٨٥٠ (بادجر) وعام ١٩٠٣ (نصري). وشغر الكرسي بوفاة أسقفها مار يهبالاها عام ١٩٦٦. فيها آثار كنيسة على اسم العذراء مريم، وأخرى على اسم مار كوركيس، وثالثة على اسم مار بيوس. تكثر في المنطقة كنائس ومزارات بلا شبابيك وذات أبواب واطئة وصغيرة.

وَلْنَعُد إلى كنيسة مار قيوما، إذ يقال انها أول هيكل مسيحي بُني في منطقة برواري. لعله قيوما البازي الذي يُعيَّد له في الجمعة الثالثة من موسم إيليا الطقسي (في الخريف)، ويقول التقليد انه تَلمَذَ منطقةَ باز ٢٠ سنة قبل مار زيعا، أي في القرن ٤. أقدم ذكر لدير مار قيوما في تاريخ الربان يوسف بوسنايا، يفيد ان الربان عبديشوع (عوديشو) الشيخ، أحد رهبانه، حَضَرَ تشييعَ الربان موشي في دير بيث صياري عام ٩٤٧، كما ان رهبان الدير (مار قيوما) حضروا مراسيم تشييع الربان يوسف بوسنايا سنة ٩٧٩. نجد ذكر الدير أيضًا عام ١٢٢٤ في مخطوطٍ كَتَبَه القس طيطس بن داود بن تركان بن أبي نصر على طلب الشماس ابراهيم ابن الرئيس منصور بن يوسف من قرية بيث بوري (بابيرا) لدير قيوما (سعرت ٩١، حاليًا في المكتبة الوطنية باريس، ٣٦٤). وعام ١٦٠٢ يستنسخ المطران يهبالاها (ياوالاها) ابن القس توا ازنخايا كتاب ابن زوعبي في الايمان القويم (سعرت ١١٧). ويأتي اسم الدير في قائمة ١٦١٠ المرفوعة إلى روما. ويكتب القس هوديني مجموع مدائح سنة ١٨١٧ لدير مار قيوما القريب من دوري. وينسخ المطران ايشوعياب ابن الشماس ابراهيم ابن الشماس سوريشو (سبريشوع) ابن القس ايبيت، عام ١٨٢٩، حياة مار زيعا لدير مار قيوما الذي في أعلى قرية دوري في بلد بيث تنورا (سعرت ٦٠). وقد وصف كنيسة الدير الراعي ستيرن عام ١٨٤٩، وفالتر باخمان عام ١٩١١.

٧– بيرسفي

تقع على بعد ١٦ كم شمالي زاخو في ناحية السندي، سكانها نحو ٥ آلاف في العالم، منهم ٧٠ عائلة كلدانية، نزحوا إليها من جلك وشيمابي وهيتي، وانضم إليهم اثوريون من منطقة بروارا وهي من أقدم قرى المنطقة، والمسيحية عريقة فيها (القرن ١ – ٢) قام فيها خطّاطون ماهرون، وكنيستها على اسم مار كوركيس (من العام ١٢٠٠)، ومار افرام (سنة ١٩٧٨). وقد قام بقربها مجمع أكراد مسلمين.

٨- بيدار

عدد سكانها ٤٠٠ نسمة عام ١٩١٤ .

٩- فيشخابور

في عناق أنهر ثلاثة (دجلة والخابور وهيزل)، وتحت أقدام جبل بيخير، تقع قرية فيشخابور على بعد ٣٢ كم غربي زاخو، واسمها فيروز – سابور في بانوهدرا (لأن هناك موقعًا آخر بهذا الاسم في الانبار). ولموقعها الاستراتيجي تَهافَتَ عليها الفرس والرومان بعد انهيار الدولة الأشورية عام ٦١٢ ق.م، وآذتها موجةُ اضطهادِ الأرمن والمسيحيين في أعقاب الحرب العالمية الأولى. ورد ذكرها في القرن ٧، فقد كان فيها أسقف اسمه حزقيال، ومدرسة وتلميذ اسمه اسحق (التاريخ السعرتي)، وذكر ابن العبري حادثة وقعت فيها في أيار، مع إشارة إلى شفيعها مار كوركيس، ومزاره ما يزال موجودًا. أنجز فيها إنجيل طقسي (إونكيليون دمفرشي) عام ١٥٧٢ (مخطوط سعرت، رقم ٢٠). ونجد فيها آثار جسر روماني، وكنيسة باسم مار اوراها (ابراهيم)، ومزارًا باسم مار ساوا (الشيخ)، وكنيسة مار قرياقوس. أما الكنيسة التي هي على اسم مريم العذراء، فقد أعيد بناؤها عام ١٨٦١ .

وعلى مسافة ٨ كم جنوبي فيشخابور تقع «ميشارا»، وهي أسقفية حسب قائمة البطريرك عبديشوع الرابع مارون عام ١٥٦٢، تابعة لمطرانية حصن (حساني) الواقعة على بعد ١٦ كم شرقي جزيرة ابن عمر.

١٠- ديرابون

قرية مسيحية حديثة العهد، سكنها الكلدان بعد الحرب العالمية الأولى وحتى إزالتها أواخر السبعينات، كالقرى الشمالية الأخرى بعد أحداث الشمال.

ويقع شمال شرقي ديرابون موضع اسمه «بيث زماري» أي مكان الألحان والصلوات، ويحتمل أن يكون ديرًا قديمًا.

أما اسم القرية فمن دير شهير هو «ديرا دآوون» أي دير آبون أو الأب، الذي عَصَمَهُ

مار آبا، وكرّسَ ذلك البطريرك عبديشوع الثاني (١٠٧٥–١٠٩٠). فهل هو على اسم البطريرك الكبير مار آبا (٤٩٠–٥٥٢)؟ أم انه على اسم مار أوجين الذي يأتي ذكره في الصلوات الطقسية، لاسيما الرهبانية، باسم «آوون» أي الاب، لأنهم يعتبرونه أباهم ومؤسسهم الأول. الثابت الأكيد أن الدير كان في مقاطعة نوهدرا.

غير ان المؤرخين العرب، كياقوت الحموي (القرن ١٣) يذكر ديرًا باسم «دير ابون» (أبونا، أبيون) ويضعه في قردو، ما بين جزيرة ابن عمر وقرية ثمانون، قرب باسورين. ولكن، هل ان هذا الأخير هو الدير المعروف بدير الفلك في جبل جودي؟ إننا ندخل هنا في باب أساطير لا حصر لها، تتمحور حول الطوفان وبطله نوح.

ويظلّ ذكر «دير ابون» قائمًا حتى القرن ١٤ (المسالك للعمري).

١١– زاخو

مركز قضاء في شمال العراق، يبعد عن الموصل ١١٠ كم، يمر بها الخابور. اسمها زاخوثا أي الظفر أو الانتصار، نسبة إلى واقعة جرت في بيدار. تفخر بجسرها المشهور الذي تدور حوله قصة شعبية طريفة. عدد المسيحيين نحو الألفين، بعضهم سكنها في السبعينات. وهي مركز أسقفية قديمة تابعة لمطرانية حصن (حساني)، ومقر أبرشية كلدانية منذ ١٨٥٢. وقد شَيَّدَ المطران طيمثاوس مقدسي، صاحب قواعد اللغة وتآليف أخرى، دار المطرانية عام ١٨٩٤ في موقع جميل. كنائسها، الكبرى أو الكاتدرائية على اسم مار كوركيس، ترجع إلى ما قبل القرن ١٦، واسمها القديم كنيسة الزيتون، تجددت في العشرينات، وتوسعت عام ١٩٨٥. وكنيسة مريم العذراء في العباسية من بناء عام ١٩٨١، وفيها كنيسة قديمة للسريان على اسم العذراء مريم، وكنيسة تحمل الاسم نفسه للأرمن تعود إلى السنة ١٩٣٠.

سادسًا– أربيل والجبال

١– عينكاوه

جاء اسمها أيضًا (عمكو)، وتقع على بعد ٥ كم شمالي مدينة أربيل. سكانها نحو

ألفي عائلة، فهي أكبر تجمّع كلداني، عدا مَن استقر في مدن أخرى أو رحل إلى بلدان شتى. فيها كنيستان، الأولى قديمة على اسم مار كوركيس، فيها قبر حجري قرب جرن العماد يعود إلى كاهن متوفى في ٤ تشرين الأول سنة ٩٢٥. كنيستها الجديدة الجميلة والكبيرة على اسم مار يوسف، شُيِّدَت عام ١٩٨١ بمساعدة الحكومة العراقية. لدى تجديد أبرشية اربيل (حدياب) عام ١٩٦٨، أقيم فيها كرسي المطرانية. تفخر بمزار قديم على اسم مرت شموني، وبكنيسة قديمة على اسم مرت مريم.

٢- شقلاوة

تقع على سفح جبل سفين (علوه ١٤٧٥ م) في واد كثيف الأشجار، تسقيها عيون مياه عذبة، وتشتهر بفاكهتها. هي ذات عدة أسماء: شقلاباذ، شقلابند، شنقلاوه، شتلاقى، بمعنى موضع الاستشفاء. رممت كنيستها القديمة عام ١٨٥٢، ووسعت عام ١٩٢٤، حتى بنيت على اسم سيدة الانتقال عام ١٩٦٥. تكثر في أطرافها الكهوف والصوامع، بعضها يحمل أسماء نساكها: ترونيسن كوركيسن يوسف. وفيها مزارات ومصلّيات للقديسة سارة، وشماشوني، ومرت شموني، ومار توما، ومار اوراها في قلب البلدة، ومار يوحنا شرقيها، وضريح الراهب شمعون الشقلاوي. وشُيّدت كنيسة حديثة في البساتين على اسم مار يوحنا. ومن شخصيات شقلاوة المطران العلامة أدي شير (استشهد عام ١٩١٥).

ويقع مزار (رَبَن بويا) في أعلى وادي شقلاوة، وهو حاليًا حائط كلسي يجمع حواليه قلالي متوحدين وصوامعَ نساك وقبورَهم. بويا ناسك من القرن ٤، يسمّيه كاتبُ قصةِ مار قرداغ الشهيدَ رَبَن بِيري، أمضى ٦٨ عامًا من الزهد والصلاة في الجبل، وكان قرداغ يتردد عليه بصحبة عبديشوع الناسك.

٣- أرموطه وكويسنجق

كويسنجق مركز قضاء في محافظة أربيل، فيها زهاء ٤٠ عائلة كلدانية وأثورية، ترقى جذورها إلى القرن ١٨، جاءت من هيران، تازه تين، راوندوز، حرير، وارموتا.

وأرموطه (أرومتا) قرية يقطن فيها نحو ٥٠ عائلة كلدانية وبعض عائلات كردية مسلمة، تربض وسط بساتين وفيرة الثمار. تبعد عن كويسنجق ٣ كم، حلّت بها كوارث مفجعة فكان اسمها «ار – موتا» أي أرض الموت. شفيعها مربينا أي مار بهنام، تقع أطلال ديره على سفح جبل باداجي. وهناك آثار كنيستين، مار يوسف (١٩٢٣)، ومار ميخائيل. الكنيسة الحالية على اسم العذراء حافظة الزروع (١٨٦٨).

٤– ديانا

تقع في مدخل كلي علي بك الشرقي، على بعد ١٠٥ كم شمالي اربيل، قريبًا من راوندوز. معنى اسمها الحاكم أو الديان، لأن الأشوريين القدامى بنوا محكمة كبرى في الموقع. فيها آثار آشورية، منها أسلحة من القرن ١٥ – ١٦ ق م. عدد سكانها دون الألف.

صلبان مدافن بطاركة كنيسة المشرق في دير ربان هرمزد (ق ١٥ حتّى بداية ق ١٩)

صليب مدفن ربان هرمزد في الدير الذي أسّسه (ق ٧)

دير ربان هرمزد – ألقوش
(ق ٧)

قلالي دير ربان هرمزد –
ألقوش (ق ٧)

الطريق إلى ألقوش

الفصل السادس عشر

كنيسة المشرق في تركية وإيران

أولاً- كنيسة المشرق في الجنوب من تركية

١- تياري وتخوما وجيلو وباز ودز

تقع على الضفة اليمنى من الزاب الكبير، وهي مقسمة إلى التياري العليا والتياري السفلى.

تقع **تياري السفلى** جنوب غربي حكاري، وقد كانت تَعُدّ في مطلع القرن ٢ نحو ٢٥ قرية، منها ٧ قرى ليزان (مثاثا ليزان، زاويثه، آشيثا)، و٦ قرى قيرامون (جيراموس) موطن عشائر تياري، و٦ قرى كسرا (منها لاجيبا، وسالاباكا حيث يقيم ملك تياري)، وتخوما (خان ديريزي).

آشيثا تبعد زهاء ٣ كم شمالي كاني ماسي، منبسطة في حضن واد منفتح على أودية أخرى: دويلا، سيارى، زاويته. كان عدد بيوتها في مطلع القرن ٢٠ نحو ٧٠٠، ويأتي ذكرها منذ القرن ١٧. كان البطريرك مار شمعون يحكمها، واركذياقونه الآشيثي يحكم في الدعاوى الدينية في تياري وتخوما. اشتهرت بالعلم والكهنة والشمامسة، كالقس يوسف قليتا. قام فيها في آن واحد ١٥ كاهنًا و٤٠ شماسًا وخطاطون ماهرون وكتبة. كنيستها على اسم مار كوركيس.

اما **تياري العليا** فتشمل ٢٥ قرية واقعة على الضفة اليمنى من الزاب الكبير، شمالي ليزان وحتى سوراوا، غير بعيد من جولميرك، منها ٥ قرى والتو، وتخوما حيث يقيم ملكتياري، قرب مزار مار ساوا (الشيخ).

تقع **تخوما** على الضفة اليسرى من الزاب الكبير، يفصلها عن سالاباكا مضيق ضيق، وينحدر وادي خان ديريزي جنوب غربي جيلو، حيث كانت تتناثر ٦ قرى، يقيم الملك في القرية الرئيسية منها، تخوما كاوايا. تليها قرى طال السبع.

وتقع **جيلو** جنوب شرقي قمة جبل جيلياسين على علو كبير، غير بعيد من جبل سات داغ وقمة ريسكو (٤١٧٠ م) ومزار مار زيا (على علو ٢١٠٠ م). شاهَدَ بادجر ١٦ قرية في أواسط القرن ١٩، أكبرها زيراني حيث الملك، ثم مرتا مار زيا حيث المزار ومقر الأسقف، وقرية زير على علو ١٦٥٠ م.

وتقع منطقة **باز** في الجنوب الغربي من جيلو، وقد كان فيها عام ١٨٥٠ خمس قرى، منها ماثا تشتيتا حيث يسكن الملك، وأعلاها قرية اركوب مطلة على تخوما.

أما منطقة **دز** فهي واد قصير (كار سو) يشمل الشمال الغربي من جيلو حتى الضفة اليسرى من الزاب الكبير، غير بعيد من قوجانس، لذا فإن أهالي المنطقة كانوا يحظون بحماية البطريرك. لاحظ بادجر في المنطقة ٧ قرى، وكان الملك يسكن اما في ربان عوديشو أو في مادس.

لقد كانت هذه المناطق مكتظة بالسكان، اثوريين وأكراد، وكان التعايش سلميًا بينهم، حتى مذابح ١٨٤٦.

٢– مناطق رايا (جولميرك وقوجانس)

لقد كان يتداخل في هذه المنطقة أيضًا الاثوريون والأكراد. ففي الشمال منطقة حكاري، وبلدتها الإدارية جولميرك (جومال، جيلمار، حكاري) بقلعتها على علو ١٧٠٠ م، وسكانها نحو الألف. والمركز الديني قوجانس، على بعد ٢٠ كم إلى الشمال الشرقي من جولميرك، كان يضم نحو ٣٠ بيتًا في أواسط القرن ١٩. وكلتاهما في أسفل منابع الزاب الكبير. ومنطقة رايا برواري التي كانت تضم ٢٣ قرية عام ١٨٥٠ (بادجر)، هي: برواري شووثا (سيفوت) بقراها الثلاث على الضفة اليمنى من الزاب الكبير (طريق مضيق كوندال، وعلوه ٢٦٥٠ م)، وبرواري سيويني، شمالي قوجانس، وبرواري قوجانس. إضافة إلى مضيق بيليجناي بقراه السبع. ثم تنتشر قرى رايا مختلطة بالأكراد الأرتوشيين، ما بين وادي ليوين ووادي نوردوز، حيث تقوم ٨ قرى اثورية ونحو ٢٠ كردية، ومزار مار كوركيس الشهير في قرية ديرا زنكيل. كما كان في منطقة نوردوز ٧ قرى، عام ١٩٠٠، حول مركز مارفان، جميعها على علو ألفي متر تقريبًا.

وفي منطقة الباغ (الوادي الكبير للزاب الكبير) كانت تنتشر ١١ قرية، أيام بادجر. وفي المنطقتين الأخيرتين خاصة، كانت علاقات الأثوريين بالأكراد والأرمن قوية.

وكانت هناك ٤ قرى أثورية، من عدد ٦ قرى، في جالديران، على مسافة ٢٠ كم جنوبي باشكالي. أما في بقية قرى ألباغ فقد كان الأثوريون في قرى هي خليط من أرمن وأكراد أيضًا، عدا قرية بردك الأثورية، وقرية سيل ببيوتها الأربعين، أواسط القرن الثامن عشر، على علو ٢٤٠٠ م في حوصاف سو تحت أقدام طوز.

وكانت تنتشر قرى أثورية أخرى إلى الشمال، قبل عام ١٩١٤، في السهل الأرمني، قرب وان (فان)، أي إلى الشمال. فيها نلقى آثار أبرشيات قديمة من أبرشيات كنيسة المشرق، في فان، فاستان، وأهلات، شمالي بحيرة وان. وقد كانت هناك ١١ قرية أثورية أو كلدانية مأهولة نحو سنة ١٨٨٠، وآخر قرية حدودية على تماسّ مع إيران هي ساراي، قرب ممليك سو، لعل أصل أهاليها من أورمية.

وإذا ما اتجهنا صعودًا نحو الشرق، فإننا نلقى سهل كافار، على علو ٢٠٠ م، حيث كانت تقوم ١٨ قرية أثورية، ٦ أرمنية، و٥ كردية (ريتوري). وإلى جنوب كافار وجيلو، كانت تنتشر قرى أثورية في غابات شمدينان، تتبع تركية وإيران معًا، وهي تنتج التبغ ومحاصيل أخرى. وقد اشتهرت المنطقة بالقلاع: خومارو ونهري. أما زيرين فمركز شيخ جيردي. ونصل هكذا إلى وادي برادوست ووادي راوندوز.

ونضرب صفحًا عن مناطق أخرى أكثر شهرةً، كمنطقة طورعبدين، الغنية بالأديرة، وقد أوشكت أن تقفر قراها المسيحية في السنوات الأخيرة. كما ان التقلبات التي حصلت لمناطق وأبرشيات سعرت وآمد (دياربكر) وماردين ونصيبين والرها، تجعلنا نكتفي بما جاء عنها في صفحات كتب التاريخ وبعض فصول هذا الوجيز. ونكتفي بذكر ما سجله الخوري تفنكجي بشأن الأبرشيات التي كانت ما تزال قائمة عام ١٩١٣، ثم أصابتها النكبة العظمى اثر الحرب العالمية الأولى، راح ضحيّتها مطارين وكهنة وألوف المسيحيين من سائر الكنائس، الأرمنية والكلدانية، والأثورية، والسريانية الأرثوذكسية والكاثوليكية، هؤلاء الذين تضمخوا بعطر الشهادة.

ثانيًا– كنيسة المشرق في ايران

شهير هو زرادشت ومعروفة ديانته التي انتشرت في إيران وبلاد عديدة، وتركت آثارًا واضحة في ديانات ومعتقدات أخرى. ويمكننا القول ان الشعوب الإيرانية شعوب عرفت التدين منذ أقدم العصور.

أما المسيحية فقد انتشرت في بلاد فارس منذ السنوات الأولى. وقد حاول التقليد أن يعتبر «المجوس» الذين قدموا من المشرق للسجود للطفل يسوع (متى ٢: ١–١٢) من بلاد فارس. إنما حال هذه البلاد كحال بلاد ما بين النهرين، تغلغلت فيها المسيحية منذ القرن الأول، على أيدي رسل وتلاميذ كانوا حَمَلَة الإنجيل. يشهد بذلك فيليب تلميذ برديصان في كتاب «شرائع البلدان» (ما بين ١٩٦ و٢٢٦). إضافة إلى أعمال توما وأدي وماري، وحجر ابرسيوس، وشهادات آباء ومؤلفين قدامى كأوسابيوس وسوزومين وسقراط. وهناك «المسبيّون» بعد سقوط انطاكية على يد سابور الأول عام ٢٥٦، وإسكانهم في بيت لافاط (عيلام، الاحواز)، وهي العاصمة الصيفية لملوك الفرس. وقد كانوا من المسيحيين، وسمح لهم سابور ببناء مدينة خاصة بهم، سميت «جنديسابور». وكان بين المأسورين أسقفُ انطاكية، ديمتريانس (أسقفها منذ عام ٢٥٢)، وخلفه في جنديسابور الأسقف ارداق عام ٢٦٠. وحصل سَبيٌ آخر لمسيحيين من مملكة الروم في عهد سابور الثاني (٣٠٩–٣٧٩)، ثم سبي ثالث في عهد كسرى الثاني (٥٩١–٦٢٨).

كانت أبرشية جنديسابور تتكوّن من ٥ أسقفيات هي: كرخ ليدان، هرمزد ارداشير (الأحواز)، شوستر، سوسه، رام هرمزد. لدينا سلسلة لأساقفتها أقله في السنوات ما بين ٣٤١–١٠١٨.

وانتشرت المسيحية في بلاد المديين (وعاصمتها همدان)، حيث الطريق من سلوقية – طيسفون (المدائن) إلى الري (قرب طهران) وحتى بحر الخزر، فالشرق الأقصى. ونلقى أسقف حلوان، واسمه هرمان، من بين الشهداء في عهد سابور، سنة ٣٤١. وهناك سبايا أيضًا في أرض المديين. كما نقرأ في مجمع مار داديشوع عن هططا أسقف بلشفر. بينا نقرأ في أعمال الشهيد فثيون (+ ٤٤٧) انه نشر المسيحية في همدان. ونلقى ذكر أساقفة في همدان حتى عام ١٢٢٠. أما أول أسقف مذكور في مدينة الري فهو داود في

مجمع مار داديشوع أيضًا.

وعرفت جيلان المسيحيةَ منذ البدايات، كما جاء في كتاب شرائع البلدان لتلميذ برديصان. ولنا سبي في جرجان أيضًا (هرقانية)، وأول أسقف مذكور هو دوميسيانس عام ٤٢٤.

وازدهرت المسيحية في خراسان أيضًا، إذ أصبحت مرو قاعدة مسيحية مهمة، كما نقرأ في التاريخ السعرتي. ويعزى الانتشار إلى أخت زوجة سابور المسيحية التي زوجها حاكم خراسان، فنشرت الإيمان المسيحي في مرو. وبوسعنا اعتبار هراة مدينة مسيحية لحيويتها. وبوسعنا الامتداد حتى بلاد الهونيين. في جميع هذه الديار عرفت كنيسة المشرق وجودًا متميزًا. إلا ان الاضطهادات آذتها، فسقط ألوف الشهداء، لكن الدم كان بذار نمو واكتمال، فلم يتوقف الازدهار، وازداد الاندفاع الرسولي، بحيث نستدل من إشارات عديدة على وجود علاقات مستمرة بين «الكنيسة في فارس» والمسيحية في الهند عن طريق الحرير البحري، عبر الخليج والمحيط الهندي، بل ان تسمية «الكنيسة في فارس» طغت على تسمية كنيسة المشرق في بعض المصادر والعهود.

نلقى تقريرًا عام ١٨٩٣ لإرسالية الكنيسة الانكليكانية (الكنيسة القديمة) يرصد القرى المسيحية المشرقية في إيران، وهي: أباجلوي؛ عبدالله كندي؛ آدا، وفيها كنيسة قديمة على اسم مار دانيال؛ الواخ؛ أمبي في تركوار؛ انهار؛ ارديشاي حيث يقيم الأسقف؛ ارموتكاش، وقد كانت كرسيًا للأسقف؛ بادالاوه؛ بالولان؛ جاجاكلوي؛ جرباش، وفيها كنيسة على اسم مار قرياقوس؛ ديكالا؛ ديزا؛ ديزاتاكا؛ دوستالان؛ كول: كول باشان؛ هالكي؛ هازر؛ ايرياوا؛ خانيشان؛ مار سركيس؛ ماوانا؛ موراداللوي؛ موشاوا وكنيستها على اسم مار نوخا، وتحتفظ بتقليد قديم مفاده ان مار توما قد مر بها لدى عبوره البحيرة؛ نازي وكوزي؛ قلعة؛ قراكوز؛ قراجالوي وكنيستها على اسم مار كوركيس؛ قرالاني؛ قرانا؛ قاراسانلوي؛ قيزيلاشيج؛ قرتبه وكنيستها على اسم مار كوركيس؛ سنكار؛ شماشاجان وكنيستها على اسم بشموني؛ شيباني؛ شيرابات وكنيستها على اسم مار شليطا؛ سير؛ سوبركهان؛ تنازعة الأسقفية؛ تسمالوي؛ تيكا؛ ترماني؛ تولاكي؛ تولو؛ وزيراوه؛ ينكيجا؛ زنجيلان؛ زومالان. وقد كان في جميع هذه القرى مدارس أنشأها

المرسلون الانكليكان لتعليم الصغار، وكثيرًا ما كانوا يكلّفون بذلك شمامسة يتقنون اللغة، إضافة إلى دروس دينية وعلمية وفقَ برامج وكتب مطبوعة في انكلترا، ثم في أورمية.

ونكمل هذه المعلومات بإحصائية عن الأبرشيات الكلدانية في إيران:

أولها أبرشية سلماس، تحدّها شمالاً الحدود التركية الروسية، وغربًا الحدود التركية العراقية، وهي عينها سميت أبرشية سنا، ثم أبرشية طهران (منذ عام ١٩٧٢).

أبرشية الري القديمة: كان على رأسها أسقف منذ عام ٤١٠، والأسقف داود في مجمع ٤٢٤، ويوسف في مجمع ٤٨٦، ودانيال في توقيع مجمع مار يوسف سنة ٥٥٤، وشارك مطرانها حبيوا نحو عام ٨٠٤–٨٠٥، وتوما عام ٨٥٣ في انتخاب البطريرك تيودوسيوس، وعيّن يوحنا الثاني مرقس مطرانًا عام ٨٩٣، وحضر عبد المسيح رسامة البطريرك عبديشوع بن العارض سنة ١٢٢٠، ولا ذكر لأبرشية الري في قائمة عبديشوع الصوباوي (عام ١٣١٦). أما أبرشية سنا فقد كان لها كرسي أسقفي حتى عام ١٩٤٢، ثم انتقل الكرسي إلى طهران مع الاحتفاظ باللقب، وأخيرًا أصبح اللقب «مطرانية طهران». وقد كانت تابعة لأبرشية كركوك منذ أواخر القرن ١٨ حتى عام ١٨٣٠. وألحق بها عام ١٨٣٧ وكالة الاحواز.

وأبرشية أورمية، تحدّها شمالاً أبرشية سلماس، وغربًا الحدود العراقية.

واستعيدت عام ١٩٦٦ أبرشية الأحواز.

ويذكر التاريخ كنائس بعض قرى هذه الأبرشيات: كنيسة مار توما في بالولان، و٣ كنائس في آدا (كلدانية عام ١٨٩١، أثورية شيدها مرسلون روس، وبروتستنتية). كنيسة مار أدي في الكاي. كنيسة مرت مريم للاثوريين، وكنيسة مار بطرس ومار بولس في أنهار. كنيسة مار كوركيس في كولباشان. و٣ كنائس للكلدان والأثوريين والبروتستنت. كنيسة مارزيا في كوكتابيه للأثوريين، وكنيسة مرت مريم للكلدان. دير مار بطرس ومار بولس في كيليسا كاندي، من القرن ١٤. كنيسة مار سركيس ومار باكوس في قرية مار سركيس، على بعد ١٥ كم من أورمية، يقصدها المسيحيون والمسلمون لاسيما أيام الآحاد والجُمَع صيفًا لإقامة الذكرى أو القربان. كنيسة مرت مريم

في مافانا من العام ١٨٥٠ . وثلاث كنائس في سوبر كهان ، الكلدانية على اسم العذراء مريم (١٨٨٦) . كنيسة مار شليطا للأثوريين وكنيسة مار كوريل في تكيي ارديشاي . وكنيسة مار يوحنان في جمالافاد في أبرشية سلماس . وكنيسة مرت مريم في كافيلان ، وكنيسة قديمة على اسم مار يوحنان . وكنيسة مار كوركيس ، ومصلًى مار زيا في خوسراوا (ومن هذه القرية برز الأب بولس بيجان أعظم محقّق وناشر لتراث كنيسة المشرق في أواخر القرن ١٩) . وكنيسة مار قرياقوس في كوهناشهر . وكنيسة مرت مريم في سورا . وكنيسة المجوس الملوك في انديميزي في الأحواز . كنيسة القلب الأقدس في عبادان . ومصلًّى في بندر عباس .

ومن مطارين وأساقفة أبرشية سنا: شمعون تكتك سنجاري (١٨٥٣-١٨٨٥) المعروف بمدائحه بالسورث . أصله من تلكيف وراهب دير الربان هرمزد . ومتى بولس شمينا (١٨٨٥-١٨٩٢) . قرياقوس كوركيس كوكا (١٨٩٣-١٩١١) . يوحنا نيسان (١٩١٤-١٩٣٤) . هابيل زيا (١٩٣٥-١٩٣٨) ، ثم ابراهيم الياس ، يوسف شيخو ، ويوحنا عيسائي ، ورمزي كرمو .

ومن أساقفة ومطارين أبرشية همدان (بيت مادايي): ابراهيم الذي حضر مجمع آقاق عام ٤٨٦ ، وبابي حضر مجمع بابي عام ٤٩٧ ، وآقاق مجمع يوسف عام ٥٤٤ ، ويزدفست مجمع غريغور عام ٦٠٥ ، وابراهيم الرجل القديس في السنوات ٩٦٣ - ٩٨٦ ، ويوحنا الموصلي في القرن ١٢ .

ومن أساقفة ومطارين أورمية: يوحنا الذي يقول التقليد انه حضر مجمع نيقية ، عبديشوع سنة ١١١١ ، يوحنان (١٥٦٠-١٥٦٩) يوقع صورة إيمان البطريرك إيليا الخامس إلى البابا سيكتس الخامس عام ١٥٦٨ . يوسف المذكور في قائمة الأساقفة عام ١٦١٠ (قائمة البطريرك إيليا السادس إلى البابا بولس الخامس) . إيشوعياب المذكور في قائمة العام ١٦١٤ باسم رئيس أساقفة فارس (إيليا السادس إلى البابا بولس الخامس) . ابراهيم المذكور في قائمة عام ١٦١٦ . مار يوسف نحو عام ١٦٥٠ . ثم يتوالى أساقفة أثوريون حتى عام ١٨٤٠ . وتتجدد الأبرشية الكلدانية عام ١٨٩٠ ، وأول مطران لها توما اودو (١٨٩٢-١٩١٨) صاحب القاموس والمؤلفات الشهيرة . اسحق خوداباشي

(١٩٣٤–١٩٤٠). هابيل زيا (١٩٤٠–١٩٥١). افرام زيا دشتو (١٩٥١–١٩٧٢)، شموئيل شوريز، وتوما ميرم.

ومن أساقفة ومطارين سلماس: يوسف (+ ١٢٨١). يوسف (١٥٦٠–١٥٩٢) مذكور في صورة إيمان البطريرك شمعون التاسع إلى البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٨٠. اوسابيوس أو يوسف (١٥٩٢–١٦٠٨) مذكور في تقرير إيليا السادس إلى بولس الخامس عام ١٦٠٦. ايشوعياب (١٦٠٨–١٦٤٣؟) مذكور في تقرير إيليا السادس إلى بولس الخامس عام ١٦٤٠. إيشوعياب الأول (١٧٠٩–١٧٥٢). إيشوعياب الثاني (+ ١٧٧٧). إيشوعياب الثالث (١٧٧٧–١٧٨٩). إيشوعياب الرابع كوريل يوحنان ايشايا (١٧٩٥–١٨٣٢) رئيس أساقفة آذربيجان. إيشوعياب الخامس (ملكيزدق ١٨٣٢–١٨٥٩). نيقولاوس زيا (زيعا، اشعيا) (١٨٣٦–١٨٣٩). كوركيس اوغسطين برشينو (١٨٤٦–١٨٩٠). اسحق يهبالاها خودابشي (١٨٩٩–١٩٠٨). بطرس عزيز (١٩١٠–١٩١٨).

ومن أساقفة ومطارين الأهواز (خرمزد ارداشير): يوحنا سنة ٣٤١ من رفاق مار شمعون برصباعي الشهداء. يوحنا الذي أيده مجمع مار اسحق عام ٤١٠. عبدا شهيد وحكيم وفاضل (٤٢٠). باطي (٤١٠–٤٢٤). باطي يحضر مجمع آقاق ٤٨٦. سيلا يحضر مجمع بابي سنة ٤٩٧. بوزاق (٤٨٨–٥٣١). بولس عام ٥٣٤ (وبطريركًا سنة ٥٣٧). سيلا يوقّع على مجمع مار يوسف عام ٥٤٤. داود وحزقيال. بوسي يوقّع على مجمع غريغور عام ٦٠٥. مجهول الاسم يموت عام ٦٥٠. تيودور يمضي في وفادة إلى شمعون أسقف ريو ارداشير ما بين ٦٥٠ و٦٥٩. بر سهدا أسقف دخيل في الأعوام ٧٩٩–٨٠٤. وفي سوق الأحواز: ميخائيل الكسكري سنة ٨٤٨ (ثم بطريركًا). شمعون عام ٩٠٠. عمانوئيل عام ١٠١٢. ومنذ تجديد الأبرشية عام ١٩٦٦: توما بيداويد (١٩٦٦–١٩٧٢). شموئيل جميل (١٩٧٢–١٩٧٤). حنا زورا.

وهناك بطريركان اتخذا مقرهما الوقتي في سلماس هما: شمعون التاسع دنحا (ثبت من قبل روما في ١٦ حزيران ١٥٨١ وتوفي عام ١٦٠٠)، وشمعون العاشر (١٦٠٠–١٦٣٨).

بينما اتخذ البطريركان التاليان مقرهما في أورمية: شمعون الحادي عشر (١٦٣٨-١٦٥٦) وشمعون الثاني عشر يوحنان (١٦٥٦-١٦٦٢).

الفصل السابع عشر

روحانيات كنيسة المشرق

١ – المقصود بالروحانيات خبرة حضور الله فينا وبقربنا، هي تساعدنا على معرفة سر الله بوضوح أعظم، وهي ما تسمّى بالتصوّف، دون أن يجرّنا هذا الى الزهد والتنسّك والتوحّد بالمعنى الدقيق. وطبيعي أن يتأثر كتبة الروحانيات في كنيسة المشرق بالتراثين الكبيرين، الاسكندري والانطاكي، لكنهم ركزوا بخاصة على الكتاب المقدس فكانوا «كتابيين» بالدرجة الأولى. ويجدر القول ان صوفية المعرفة سبقت صوفية القلب لدى هؤلاء الكتبة، فكانوا عقليين وعمليين، وحاولوا التوفيق بين أسرار الله والإدراك العقلي، مع تمييز واضح، لدى المشارقة خاصة. بين صفات العنصرين الإلهي والبشري، والطبيعتين الإلهية والبشرية، وفق تَوَجُّههم المذهبي الديوفيزيتي.

٢ – أول الروحانيين المشرقيين أفراهط الحكيم صاحب «البيّنات» (تحوياثا) ما بين ٣٣٦ و٣٤٥. يتحدث عن الكمال المسيحي مفترضًا الامتناع عن الزواج للوصول إليه بشكل أكمل، إذ يتحول الحب البشري إلى صلاة، بفضل الروح القدس الذي يلد الإنسان ولادة ثانية فيغدو جزءًا من الألوهية، غير قابل الموت.

٣ – وكان ططيانس (نحو ١٢٠–١٨٠) قد بالغ في فهم البتولية، فحرّم الزواج، وحاول في إنجيله الموحّد (الدياطسرون) استبعاد الآيات التي تقبل بالزواج. وسار في ركابه صاحب (إنجيل توما) و(أعمال توما). وصحّح مار افرام (٣١٠–٣٧٣) نظرته، فقال ان الله هو الذي خلق الإنسان رجلاً وامرأة. الا ان الجنس تابع للأرض، بينما البتولية تخصّ الفردوس.

ولا بد من التنويه بالمفهوم الثلاثي لكيان الإنسان. فمع أن المدرسة الانطاكية تتمحور حول فلسفة أرسطو بالدرجة الأولى، على العكس من مدرسة الاسكندرية الأفلاطونية المنحى. إلا ان آباء الروح، بشكل عام، كانوا ميالين إلى «الافلوطينية» مع إجراء تحويرات بل تطور نوعي بما يتلاءم ومعطيات الكتاب المقدس من هذا المفهوم الثلاثي لكيان الإنسان، إذ على غرار الثالوث الأقدس، نلقى في الإنسان: الروح، النفس، الجسد،

كما ان الله هو: الآب، والابن، والروح القدس. وإذ نطبّق هذا في الروحانيات، نجد بأن الحقيقة (المسيح: الطريق والحق والحياة) تسكن قلبنا. وحبها يسكن روحنا، ورجاؤها يسكن نفسنا. فالمسيح هو الوسيط الضروري حتى في «الرؤية الطوباوية». ولحل الإشكال بالنسبة إلى عدم تمكّن الإنسان من رؤية الله، أي معرفته معرفة تامة، يقول الروحانيون ان معرفة الله إنما هي كشفُ الله عن ذاته، وهو نفسه يلبسنا نحن البشر صورًا إنسانية لكي نتمكن من إدراكه، دون وصول إلى الجوهر الإلهي بأي حال.

٤ – ويصعّد نَرسَي الملفان (٣٩٩–٥٠٣) التعاليم الروحانية، فيؤكّد بأن موضوع الرؤية الطوباوية في الحياة الأبدية سيكون ناسوت (بشرية) المسيح الممجَّد، لأن الإنسان لا يستطيع أن يدرك جوهرَ الله. لذا فإن النفوس في الأبدية ستشاهد «القدس» (أي المسيح، الجسد المنظور)، وليس «قدس الأقداس» (الله، اللاهوت غير المنظور). ويؤكّد نَرسَي على التعليم المشرقي بشأن أنفس الصديقين منذ ساعة الموت وحتى القيامة العامة، فهو «رقاد النفوس» حتى يوم القيامة، كما لدى افراهط، افرام وآباء مشارقة آخرين. ويوضح بأنه نوم دون نوم، لأن النفس لا تستطيع أن تعمل بدون الجسد، لكنها تعي بأنها مدعوة إلى الملكوت لرؤية الله في الأبدية.

٥ – ويطوّر يوحنّا المتوحّد (المعروف بالأفامي، من القرن ٥) التعليم الثلاثي بشأن كيان الإنسان. فيتحدث عن ثلاث منازل أو درجات. الأولى جسدية، يعيش فيها الشخص بما هو جسديّ فيه وفي العالم رافضًا الزهد. والثانية نفسية، تتّسم بالتوبة إذ يتوجه المرء نحو الله ويعمل على إصلاح ذاته بالزهد بممارسة أفعال خارجية، كالصوم والعمل والامتناع عن ملاذ الحياة والخيور الزمنية، محاولاً اكتشاف حكمة الله. أما الثالثة فروحية، تتميز بالنقاء (دخيوثا) وذلك بالتخلص من الميول الرديئة، وبالصفاء (شفيوثا) أي بشفافية تؤهّل روحَ الإنسان لقبول تجلّيات أسرار الله والعالم الجديد. وهي بالتالي درجة الكمال، عربون القيامة، فيها الصلاة دائمة، ومحبة البشر كاملة. وقد تأثَّرَ بهذا معظمُ كتبة الروحانيات في التراث السرياني، عدا يوحنا الدلياثي وفيلوكسينوس المنبجي.

٦ – ويمثّل ابراهيم النثفري (أواسط القرن ٦) الروحانية الرهبانية المشرقية قبل أن يؤثر فيها التيارُ الاسكندري من خلال أوارغيس (أفاغريوس Evagrius)، ولا التيار السرياني

الغربي عن طريق مكاريوس (مكار Macarius). فابراهيم يؤكد على الزهد أكثر مما على التصوف، مركّزًا على التوبة والنعمة، إذ في الله راحة الإنسان.

٧ – واستخدم سَهدونا (من هلمون، القرن ٦) تشبيه الله الآب بالشمس، والابن بشعاعها، والروح القدس بحرارتها، وهو تشبيه تقليدي، وشبَّهَ اتّحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية في المسيح باتّحاد النفس والجسد. وأكّد على طهارة القلب لدى القيام بالصلاة، ووجوب المواظبة على قراءة الكتاب المقدس لبلوغ الصلاة في النور. وهو مع الزواج النقي، إنما في خط الروحانية الرهبانية المشرقية، ففي الرهبنة تتحقق الألفة مع المسيح. يستوحي من مكاريوس صوفية القلب، وذكر الله الدائم، ورؤية الجمال الإلهي. ويركّز على خبرة الاتصال بالروح القدس، فتجتمع فيه تأثيرات عدة، من أوارغيس، ويوحنا المتوحّد، وديونيسيوس الاريوفاغي إضافة إلى مكاريوس.

٨ – من أقوال سَهدونا في اللامعرفة: «لا يوجد حدود لإشباع الحب. ولكن، بقدر ما يُركَّز نظرٌ على النور يتنقى أكثر لكي يتصل بالنور الذي لا دنو منه، حتى يستقر في حدود اللامعرفة. بهذا يعرف، باللامنظورية، عظمة المعرفة لذاك الذي لا يدرك» (رسالة ٥، ٣١).

ويقول في القلب: «طوبى لك أيها القلب الصافي يا سكنى الألوهية! طوبى لك أيها القلب الطاهر، يا ناظر الجوهر الخفي! يا له من كائن من اللحم والدم، وبيت تحل فيه النار الآكلة! يا له من كائن جسدي مصنوع من التراب ومحل إقامة اللهيب الذي يحرق العالمين! حقًا إنه لَشيءٌ عجيبٌ ومحيّر أن نقول ان الذي ليست السماء طاهرة أمامه، والذي يزرع الذهول في ملائكته، يحب قلبًا من لحم يمتلئ حبًا له ويتلذذ بهذا القلب! وان نقول أيضًا انه رحب وطاهر بحيث يصبح سكناه المقدس، وانه يخدم بفرح من يقوم أمامه بمخافة و«يشمس» عددًا لا يحصى من الكائنات النارية التي تخدم وقاره» (٤، ٩).

٩ – يقترب التعليم الروحاني لفيلوكسينوس المنبجي إلى المشرقي أكثر منه إلى السرياني الغربي، ولا عجب فأصله من باجرمي (منتصف القرن ٥)، درس في مدرسة الرها، وعاشر «المصلّين» ومال الى التيار المونوفيزي، وأصبح أسقفًا على منبج. يعتبر ترك العالم بمثابة عمادٍ ثانٍ، يؤهل الإنسان لذكر الله الدائم، لذا فللإنسان ٣ ولادات:

الطبيعية، العماد، وترك العالم. العماد الأول هو عماد «الصدّيقين» الذين يكتفون بحفظ الوصايا مع بقائهم في العالم، بينما العماد الثاني هو عماد «الكاملين» الذين يتركون العالم. وله مفهوم خاص به بشأن الاتحاد بالله وعمل الروح القدس، إذ كما يتكوّن الجنين في الرحم من البذرة والدم، كذلك الإنسان الروحي بالنار والروح في العماد. ولا ينبغي أن نفهم هبة الروح مجرد هبة خارجية، بل علينا أن نعتبر الروح جزءًا مكملاً للإنسان، بحيث يصبح «نفس نفسنا»، وتغدو خصوصيات الروح عندئذ خصوصيات طبيعية وثابتة. ونتيجة لذلك لا تعود الخطايا تقوى على طرد الروح، لأنها أمراض النفس، لا تدمر الهيكل، بل تبعث فيه الظلام فحسب وتحزن الروح، عدا خطيئة الجحود، فهي ضد الروح القدس، لا تغتفر.

١٠ – واشتهرت في تاريخ كنيسة المشرق حركة «المصلّين» (مصلياني Messaliens)، اعتبرتها المجامع المشرقية والأوساط الرسمية لهذه الكنيسة بدعة غريبة، فشجبتها تكرارًا وحاربتها، منذ القرن ٤. وذلك لِما نُسِبَ إليها من أقوال، أهمها: اتحاد الإنسان منذ الخطيئة الأصلية بأحد الشياطين، لا تستطيع المعمودية ولا الأسرار أن تطرده، بل الصلاة وحدها تخلّص الإنسان، شرط أن تكون مستمرّة. وبوسع الإنسان أن يرى الآب والابن والروح القدس بعينيه الجسديّتين، بفضل الصلاة التي تطرد الشيطان وتعمل على مجيء الروح القدس لدى الإنسان. فلا يحتاج الإنسان بعد الى الزهد، ويصبح العمل اليدوي غير شريف، إذ وصل الإنسان إلى اللاهَوَى. لكنها مجرد اتهامات، لأنها أقوال جاءت أيضًا في كتابات مكاريوس، وهو من كبار الروحانيين، ومن بلاد ما بين النهرين (القرن ٤). فهي مبالغات لا صحة لها، لأن هناك رمزية لم تفهم كما ينبغي، فظن بعضهم أنها أقوال منافية للإيمان القويم، من ذلك تشبيه الأقانيم الثلاثة بالأرغفة، والطبيعة الإلهية الواحدة بالزيت، فيقول مكاريوس: «حدث ان إنسانًا كان يصلي وكأنه خارج من ذاته، وانتقل أمام مذبح الكنيسة، وقدمت إليه ثلاثة أرغفة خبز وكأنها ممزوجة بالزيت، وكانت تنمو وتكبر كلما كان يأكل منها» (مقالات روحية ٨، ٣). كذلك الأشكال الرمزية التي يتخذها الله، النار، الراحة، الجبل، لا تتطلب «تحولاً» على الصعيد الانثولوجي، بل على صعيد الخبرة الإنسانية، فهو يقول: «عندما تتحد نفسك بالروح، وتخترق النفسُ السماويةُ نفسَك، حينئذ تصبح إنسانًا كاملاً في الله، وإرثًا، وإبنًا»

(٣٢، ٦). وكذلك بشأن امتلاك الشياطين طبيعة الإنسان، فقد قال بذلك يوحنا الدمشقي ومكاريوس وغيرهما. فهو عدم فهم إذن، بسبب الرمزية الروحانية، وهو السبب الذي سوف يدفع بالسلطة الكنسية المشرقية إلى تحريم يوحنا الدلياثي ويوسف حزايا في القرن ٨.

١١ – تنطبق هذه الأفكار على «كتاب المراقي» (كثاوا دمسقاثا Liber Graduum)، أقدم كتاب روحاني في التقليد المشرقي، لمجهولٍ من شرقي بلاد ما بين النهرين من القرن ٤، فيه تأكيد على التحرر من قوانين وشرائع، لأن «الكامل» أصبح دون هوى، كآدم قبل الخطيئة، فهو يشبه الملائكة. والتمييز واضح بين «الصدّيقين» و«الكاملين»؛ وهؤلاء الأخيرون هم مَن اقتبلوا معمودية النار والروح، بفضل مجيء ثان للروح الفارقليط، الذي يصبح بملئه فيهم. أما الصدّيقون فهم المعمَّدون بعربون الروح القدس وعليهم أن يحفظوا الوصايا الصغرى (الصوم، الصلاة، الصدقة) والقوانين الكنسية؛ بينما الكاملون هم مَن تركوا العالم، والزهد هو الوصية العظمى. وما يسود حياة الصدّيقين هي محبةٌ فاعلة، تؤهّلهم أن يكونوا مبارَكي الآب، يتخلون عن الزواج والعائلة والأهل والأقارب، ليعيشوا حياة ترحال، على مثال المسيح الذي «لم يكن له ما يضع عليه رأسه» (متى ٨، ٢٠)، ولا يتملكون شيئًا، لذا لا يسعهم إعطاء الفقراء صدقة ولا إيواء الغرباء، مع انهم مفعمون محبة لجميع الناس، يمنحونهم خيرات روحية بتعليمهم. ولا تقتصر صلاة الكاملين على أوقات محددة كالصدّيقين، بل هي مستمرة، وكذلك صومهم، لذا فهم «معفيون» من التشريعات القانونية للصلاة والصوم. صومهم هو كلي، لا جزئي، لأنه «صوم عن العالم». داخل الصدّيقين يتعايش عربون الشيطان وعربون الروح، بينما لم يبقَ عند الكاملين أيُّ عربون، بل الروح القدس بملئه. ويظل باب الكمال مفتوحًا أمام الصدّيقين، شرط أن يجاهد الإنسان لكي يبلغ إلى عماد النار والروح.

يقول صاحب كتاب المراقي: «إن الإنسان، بعد أن جاهد داخل الكنيسة المنظورة، يقيم في كنيسة القلب وكنيسة الأعالي. كذلك عندما يعتمد بالماء المنظور، فإنه بفضل هذا الماء يعمَّد بالنار والروح غير المنظورَين. وكما ان الإنسان، بعد أن آمن أحبّ، وبعد أن أحبّ اكتمل، وبعد أن اكتمل ملك، كذلك لا يعمَّد أحد بالنار والروح دون العماد

المنظور (الأول). ودون الكنيسة المنظورة أيضًا لا أحد يقيم في كنيسة القلب (غير المنظورة) وكنيسة الأعالي» (مقالة ١٢، ٤).

١٢ – وتأثّر داديشوع القطري (النصف الثاني من القرن ٧) بالآباء اشعيا وأواغريس ومكاريوس، لكنه ظلّ ملتصقًا بالتقليد الرهباني الذي تجدَّدَ على يد ابراهيم الكسكري، فكان تصرفه عمليًا. نراه يشرح قولَي بولس الرسول (٢ قور ٣، ١٨؛ ١ قور ١٣، ١٢) معتبرًا ذلك رؤى مجيدة بها يتجلى ربنا لقديسيه، ويسمي «وجهًا لوجه» الرؤيةَ الكاملةَ والتجلي الصحيح؛ والوجوه المكشوفة والصورة والمرايا فهي نور النفس المقدس؛ وتنوّعات هذا النور، بها يرى الروحُ (العقل) تجلياتِ ربنا المتعددة، إنما لا مجال لرؤية الله، لأن الله غير منظور في ذاته، الآن وإلى الأبد، على حد تعبير بابي الكبير (٥٥٣–٦٢٨)، وللإنسان نعمة مشاهدة تجلياته وحدها، أي مجد الله المنعكس في الخلائق، وستكون التجليات في الحياة الأبدية أقوى وأدق، فهي في الخليقة وفي ناسوت المسيح الممجد.

١٣ – ويحاول شمعون طيبوثيه (القرن ٧) أن ينظر لاهوت الروحانيات. كان طبيبًا قبل أن يترهّب، لذا نراه يحلّل القلب والدماغ وما تلعبه القوى في المعرفة الروحانية. فهو يميز بين مفهوم الذهن النقي أو العاري ورمز المذابح الثلاثة، كما لدى أواغريس، ويعطي القلبَ أهميتَه كمكانٍ لخبرة الإله والصلاة المستمرة، والإحساس بفعالية النعمة كأنها نار، وتذوّق أسرار الروح القدس، مستوحيًا ذلك من مكاريوس. ويأخذ نظريةَ المسالك الثلاثة عن يوحنا المتوحّد، ونظريةَ اللامعرفة عن ديونيسيوس الاريوفاغي. ويؤكّد بأن الحب الحقيقي لله لا يبدأ إلا بنقاء النفس وصفائها. وبذكر الله الدائم من خلال الصلاة ندخل في إلفةٍ مع الله، إذ يصبح القلب النفساني قلبًا روحيًا. ويتحدث عن المذابح الثلاثة: الأول، علم الأفعال أو تطبيق الوصايا. والثاني، علم المشاهدة، أو المسلك النفساني، وهو مفتاح أسرار الله المخفية في طبائع الكائنات والعاملة في كل شيء. والثالث، معرفة موضوع الرجاء الموعود به الإنسان، عن طريق المعرفة الكلّية، بالدنو من المذبح الحي، يسوع المسيح؛ في هذا المذبح الخيِّر يتقدّس روحُنا ويمجِّد ويباركِ اللهَ كل حين، فيمتلئ القلبُ فرحًا.

١٤ – ويمتاز اسحق النينوي (القرن ٧) بتقنية خبرات الحياة الروحية. نراه يستعير من أواغريس هيكلَ المشاهدات المختلفة، منها رؤية نور النفس الطبيعي. ومن مكاريوس مفهوم عمل القلب، أي الزهد على صعيد الأفكار والأحاسيس النفسية. ومن يوحنا المتوحّد تركيب مذهبه الفكري المبني على تمييز المسالك الثلاثة. لكنه يعتمد خبرةً روحانيةً حقيقية شخصية، إذ يعتبر نفسَه مجنونًا لأنه حاول أن يعبّر عن خبرته الشخصية لأسرار الله. فلا عجب أن يهتف: «إن قلمي قد احترق من شدة نارك!» و«ترمّدتْ عيناي بأشعة جمالك!». يقول في السكوت: «أحبِبِ الصمتَ أكثر من أي شيء فهو سيقرّبك من الثمر الذي يعجز اللسان عن وصفه. إننا، في البداية، نُكرِه أنفسنا على حفظ الصمت، ثم يتولد لنا من صمتنا ما يجذبنا إلى الصمت»!... في هذه السيرة تتولد لنا دموعٌ وافرة، تسبّبها الرؤية المذهلة لأمورٍ مختلفة يحس القلب بكل واحدة منها. إنها أحيانًا دموع الألم وأحيانًا دموع الانذهال. إن القلب يصغر ويصبح كقلب طفل، وحالما يبدأ الصلاة، تنهمر الدموع. والصمت (شتقا) يساعد على السكينة أيضًا (شليا).

١٥ – ويُعتبَر يوسف حَزّايا (الرائي)، من القرن ٨، المعلمَ النظريَّ المتميز للروحانيات المشرقية. اهتدى إلى الإيمان من الزدكية، وترهّبَ في منطقة قردو وحدياب، وكان يفضّل التوحّد، وقد ترك رئاسة ديره مفضلاً الاعتزال التامّ. استعار من أواغريس هيكلَ مشاهداته، والمنازل من يوحنا، وجمَعَ بين العناصر المكونة للأول والمنازل التي للثاني، فقال بدرجةٍ جسدية، أي زهدٍ جسدي يؤدّي إلى النقاء والمشاهدة الروحانية للخلائق الجسمانية؛ ودرجة نفسية، أو زهد نفسي يؤدّي إلى الصفاء والمشاهدة الروحانية للخلائق غير الجسمانية ومشاهدة التدبير؛ ودرجة روحية، أي مشاهدة الثالوث الأقدس بالنور دون شكل، أي ذهنيًا. ويبدو تأثير مكاريوس في تحليلاته للتواضع الروحي والحبّ الشامل واستخدام رمية النور والنار. ومن أقوال يوسف: «للسماء ولقلبنا باب واحد، فإذا فتحنا بابَ قلبنا بحفظ الوصايا فإن باب السماء سيُفتَح لنا، لأن الذي يسكن القلب هو نفسه يسكن السماء». ويقول في المشاهدات: ان النفس ترى ذاتَها بلون الياقوت والسماء (الطبائع الجسمانية)، وبنور البلّور (غير الجسمانية)، وذلك برؤية النور الإلهي الذي في الكون، بينما تشاهد الثالوثَ الأقدس بشكل نار أو نور، وترى المسيحَ في النور بلا شكل. وهذه المشاهدات الثلاث تحتاج نقاءً، وصفاءً جزئيًا، وصفاءً كليًا، بحسب

الدرجات الثلاث: الجسدية، والنفسية، والروحية. فيكتب في الرسالة ٤٨: «كتب لي حبُّكَ: إني أرى الشمس عندما تصعد أحيانًا إلى الجَلَد العالي، والجلَدُ يعجّ بالكواكب، ونورها يخفي نور الشمس بحيث لا ترى. وأرى أيضًا الشمس دون الكواكب، لأن نورها يخفي نور حسن الكواكب بحيث لا ترى. أرى أحيانًا أيضًا نور الكواكب بدون نور الشمس، وأحيانًا أرى قرص القمر إذ يكون مليئًا بالكواكب بجملته، وأحيانًا أراه وقد تَعرَّى من الكواكب وهو قائم وحده... في القلب النقي والذهن الذي وصل إلى بلد الصفاء، كثيرة هي أفعال النعمة وعلى أنواع مختلفة. فالأفعال التي ذكرتَها لي هي بحسب الدرجات الثلاث للذهن القائم في المعرفة: الأولى هي درجة النقاء بلا هوى النفس؛ والأخرى هي صفاء الذهن؛ أما الثالثة، ففعلها أعلى من النقاء والصفاء».

١٦ – عاش يوحنا الدلياثي متوحدًا في جبال دلياثا العالية والوعرة والقاحلة، وكان يتمنى الموت في العزلة، «لأن المسيح وحده سيكون بالقرب منه ليغلق عينيه». أصله من الكواسي، ما بين زاخو ودهوك، وقد كان راهبًا مبتدئًا نحو سنة ٧٠٠. كانت كتاباته موضوعَ تَداولٍ بين الرهبان، إنما في الخفية، ودون أن تحمل اسمَه عادة، لأنه دِينَ بعد موته، هو ويوسف حزّايا، من قِبَل مجمع البطريرك طيمثاوس الأول سنة ٧٨٦ – ٧٨٧، واعتُبِرَ متأثرًا بسابيليوس. إلا ان كتاباته التي جُمِعَت في مجلّد ضمّ ٣٠ مقالة و٥٠ رسالة، تتميز بالاندهاش أمام عظمته وأمام قربه معًا، إذ يقول: «سبحانكَ! جميلةٌ هي السماء العلوية ببهائها، إنما ليس كجمال القلب الذي تتجلى فيه رؤيتكَ على الدوام». ولا عجب، فهو قد بلغ اكتماله النهائي في إلفة روحانية عالية. ويستخدم أبعادًا رمزية شديدة القوة، كرمز الكهف المحصور في الجبل، رمز الله في جبل نور، ورمز الاتحاد الذي يقيّد ويحرّر. تأثّرَ بأواغريس، ومكاريوس، وديونيسيوس الأريوفاغي، وغريغوريوس النيصي، وعرف أن يجمع الجوهري ويوحّد بين العناصر، ربما أكثر من أي واحد آخر. فاستخدمَ مراحل الاريوفاغي الثلاث: التطهير، والتنوير، والاتحاد، مضيفًا إليه تأثيرَ المحبة على الإنسان، ثم تأثيرَ الحب. فالمحبة قوة روحية تدفعنا إلى تطبيق الوصايا، بينما الحب هو الكمال الروحاني الصوفي. مرحلة الحب كلها نور، مرحلة الاتحاد، حتى يصل المرء الى الانهيار في الغمام النيّر. فإن طريق المحبة، وهي المرحلة الجسدية، يقود إلى التطهير والتنوير من خلال الزهد الأولي ونفوذ النعمة، بينما يقود طريقَ الحب، وهي مرحلة نفسية

ثم روحية، إلى رؤية نور النفس، ومشاهدة الطبائع الجسمانية، وغير الجسمانية، من خلال انعكاس نور بلا شكل على الخلائق، وصولاً إلى رؤية غمام المجد، فالاختطاف، وأخيرًا رؤية أشعة تأتي في عمق أعماق الغمام فيتمّ الانخطاف، في مرحلة الاتّحاد، بفضل الولوج الدائم في رؤية مجد الله والاتّحاد بالذات الإلهية. فيقول: «إلى أين رحلت كل الأشياء من أمامي؟ ربُّ الكل هو وحده منظور، فأين أنا؟ لا أدري. إن حسن الحسن سبى قلبي! طوبى لمن عانقكَ ونام واستنشق رائحتكَ اللذيذة! طوبى لمن جلس وأبصر إشراقكَ متحدًا به كشعاع الشمس بقرصها! طوبى لمن يرى مأكله وقد تبدل إلى صورةٍ لكَ، يتذوقه ويتحول إليه تلذذًا بعذوبتكَ! طوبى لمن يراكَ ممزوجًا في شرابه فيرتوي ويبتهج قلبُه بحبكَ! طوبى لمن يَدخُل إلى نفسه ويراكَ رؤيةً عجيبة ويندهش بحسن أسراركَ التي تنبع من داخله. احتدَّ قلبي على القلم. سأكسره، لأنه عاجز هنا عن رسم الحسن المدهش. فإني أرى أنهارًا من ماء الحياة تجري من ينبوع الطوبى. وهي مكسوة ومستترة بالسكوت عند ظهورها. لا تَلُمْني، لأنّ الجنون أدركني هنا من غليان النبيذ الذي يبهج كل شيء، فنسيتُ ذاتي. كل ذهنٍ متواتر الكلام يُلجَم عن الكلام والحركات بالسكوت من دهشة الأسرار إذا دخل إلى هذا البلد. هنا، يُري اللهُ حسنَه لمحبيه. هنا، تبصر النفسُ ذاتَها، والمسيح الذي يشرق فيها، يُبهجها برؤيته. هنا، تبصر النفس ما للملائكة القائمين في دهشة مجدِ محيي العالمين من حسنٍ مذهل. هنا، يُظهِر الثالوثُ الأقدس ذاتَه سريًا، وتتراءى أقانيمُه للذهن العاري. عظيمٌ هذا السر الذي يتراءى للذهن الصافي وحده. هنا، يَظهَر العالم العتيد سريًا للذين رقدوا في المسيح. هذا يعني ان الله يتجلى، وهو عالم العالمين، العالم الجديد... القيامة المسبقة: كل مَن لم يرها بعد، هو في عداد الأموات».

إنها صفحة مشرقة من تاريخ كنيسة المشرق، متّسمة بروحانية عالية، منبعها الأساس الكتاب المقدس، وذات امتدادات حضارية عريقة، نعرفها في أقدم حضارات العالم، في وادي الرافدَين، ووادي النيل، وحوض البحر الأبيض المتوسط، ووادي نهر الهندوس. طوَّرَها هؤلاء الآباء الروحانيون المشرقيون وركّزوا على اختبار الله بفضل روحه للوصول إلى الكمال من خلال اتحادٍ عميق في القلب بين روح الله وروح الإنسان. يتضح ذلك في نوعٍ من حسٍّ روحي، رمزيتُه النور والنار، في صلاة دائمة.

ملاحظة: اعتمدنا في هذا الفصل كتابات الأب روبير بولاي الكرملي.

الفصل الثامن عشر

إحصائيات قديمة (بادجر، كتس، شابو، تفنكجي)

أولاً- إحصائية القس جورج بيرسي بادجر في الأعوام ١٨٤٢-١٨٤٤:

تجوّلَ القس الانكليكاني جورج بيرسي بادجر في أبرشيات كنيسة المشرق الأثورية (النسطورية) بعد حصول الكنيسة الانكليكانية (كنتربري) على تقرير عن أوضاعها عام ١٨٤٠ قام بتدبيجه المستر انينورث والمستر رسام، فكلفت الرئاسة الأسقفية الانكليكانية القس بادجر استكمال المهمة رسميًا، وذلك عام ١٨٤٢، فقام بالمهمة وزار المناطق والأبرشيات والشخصيات الكنسية في الشرق حتى عام ١٨٤٤ ونشر كتابًا قيمًا في مجلدين عنوانه:

George Percy BADGER, *The Nestorians and Their Rituals*, London, 1852.

وهذه حصيلة تقصّيه للأوضاع والإحصائية التي يعطيها في نهاية كتابه (ص ٣٩٢ – ٤٠٠).

١- أبرشية مار ابراهيم (كندك)

إسم الموضع	كنيسة	كهنة	عائلات
شرمن (قرب عقرة والزيبار)	١	٢	٣٠
شوش =	–	–	٣
كندك =	١	١	١٢
ارتون =	١	١	١٥
بامشمش =	١	–	١٥
اردبل (في المزوري)	١	–	١٤
بيكولي =	١	–	٢٠
باسم مجهول =	١	١	١٦

ازين (أصّن) (جنوب جبل كارا)	١	١	٤٠
أركن =	١	–	١٠
كلانيثا =	١	١	٦
ميزي =	١	١	٣٠
بارمين =	–	–	٨
آدخ (آزخ) =	١	–	١٥
ارماشي (هرماشي)	١	–	١٥
المجموع	**١٣**	**٩**	**٢٤٦**

٢– أبرشية تل ايشوعياب في برواري

إسم الموضع	كنيسة	كهنة	عائلات
عمادية (في وادي صبنا)	–	١	٢٥
ديري =	١	–	١٢
كوماني =	١	–	١٣
دركني =	١	٢	٤٠
بيليجان =	–	–	٨
بيبيدي (بيباد) =	١	١	٢٠
همزية =	١	–	٦
دهي (في زوا)	١	–	١٠
كارو =	١	١	١٠
اليه =	١	–	٢
باش =	١	١	١٢
ويلاه =	١	١	١٠
تاشيش (في برواري)	١	١	٢٠
جديدي =	–	–	٥

بيكولكي (في بdroاري)	—	—	٥
توثا شامايا =	—	—	١٠
مايا =	—	—	١٥
ديرسكي =	—	—	١٥
عينا دنوني =	١	١	٢٠
اييت =	١	١	٥
بيشمايي =	١	١	٦
دوري =	٢	٤	٢٠
حلوه =	١	١	٧
يالاختا =	—	—	٥
اكري =	١	١	٢٠
بيبالوك =	١	١	١٠
هاييس =	١	٠	١٥
المجموع	**٢٠**	**١٨**	**٣١٨**

٣- أبرشية بوتان

مطرانها مار يوسف، وأسقفان (مار شمعون ومار توما)

المجموع: ٢٣ كنيسة، ١٦ كاهنًا، ٢٢٠ عائلة

٤- كردستان الأوسط (أبرشية مار شمعون البطريرك)

إسم الموضع	كنيسة	كهنة	عائلات
كرامون (في آشيثا)	١	٢	٨٠
هلمون =	١	٢	٥٠
تلوك =	١	١	٤٠
اروش =	—	—	١٧
هور =	—	—	١٥

تيري ريزن =	–	–	١٤
آشيثا (في تياري وآشيثا)	١	٤	٤٠٠
زاويته =	١	١	٩٠
مينيانيش =	٤	٢	٦٠
ميركي =	–	١	٨٠
كورخي =	–	–	٣٥
ليزان =	١	٢	٨٠
عودا تحتايا =	١	–	–
زيرني =	١	١	١٦
كاروختا =	–	–	٦
جمبا دبيث سوشينا =	١	١	٢٥
ماثا دقصرا =	٢	٢	٤٠
بي نريزو =	–	–	٦
لاجيبا =	١	١	٢٠
بي آلاثا =	١	٣	٤٠
بي راوولي =	١	٢	٣٠
شورد =	–	–	١٢
راوولا دساليبيكن =	١	٥	١٢٠
سير سبيزو =	٢	٢	٨٠
سيادور =	١	١	٢٠
جمبا دبي ايليا =	–	١	٦
جمبا دنيني =	–	–	٧
جمبا دقوردابي =	–	–	٥
ميرزا (كنيسة مار ساوا)	–	–	٤
مراتيثا =	–	١	٦
بي نهرا =	–	–	١٠

بي زراقو =	–	–	١٠
رومتا =	–	١	٢٠
يمياتا =	–	–	١٠
ريشي ونهرا =	–	–	٢٠
عنيا وآليلي =	–	–	٣
دورا علايا =	–	–	٦
قليثا (تياري عليثا)	١	١	٤٠
مزرآ وقليتا =	–	–	٣
جمبا دملك =	١	–	٦٠
بي دالياثا =	–	–	١٢
دادوش =	١	–	٣٥
مبوعا =	١	١	٢٠
قو =	١	١	٣٠
جمبا دقورخي =	–	–	١٠
بي ماريكو =	١	١	٢٠
روما سموقا =	–	–	٥
جمبا دها سو =	–	–	٥
داراوا =	١	١	٣٠
مالوتا =	–	–	٢٠
جمبا خذثتا =	–	–	٢٠
زوراوا =	–	–	٦
سيرتا (منطقة التو)	١	١	٦٦
شاووثا =	–	١	١٤
ماثا دمرت مريم =	١	١	١٠
خالديانا =	١	١	٩٠
ريشي ونهرا =	١	١	٤٥

كولرزور (منطقة دز)	١	١	٢٥
سووا =	١	–	٦
كورزن =	١	–	٢٠
جيري جارا =	١	١	٤٠
مادس =	١	١	١٨
مار قرياقوس =	١	١	٢٥
اكوسي =	١	–	٦
جولجان =	١	–	٣٢
بي شماشا =	١	–	١٨
ساراموس =	١	–	٤
ربان داديشوع =	١	–	٦
مكيتا =	١	١	٥
الوجيبا =	٢	٣	٣٥
قوجانس (في بروار قوجانس)	١	–	٦
بي نانو =	١	–	١٠
نروا =	٤	–	٢٠
ترقونيس =	١	–	١٢
قيكر =	١	–	١٠
سورينيس =	١	–	١٦
ترميل =	١	–	٦
بي خاجيج =	–	–	٥
بنجين =	١	–	١٢
هاتروس =	١	–	١٤
خرولانيس (برواري سيويني)	١	–	٢٥
قوترانيس =	١	–	٢٠
اخوانيس =	١	–	٢٠

شمونينيس =	١	–	٣٠
سيويني =	١	–	٢٠
اسبين =	١	–	٦
سالين =	١	–	٢٠
كورانيس =	١	–	٢٠
كرمي =	–	–	٦
اوريت =	–	–	٦
شواووثا (برواري وشواووثا)	١	١	٢٠
ساكيران =	١	١	١٨
ديريكي =	١	–	٦
ديريس (بيلينايي)	١	–	١٥
اويرت =	١	–	١٦
دادن =	١	–	١٦
بي ريبسي (١) =	–	–	١٤
الاس =	١	–	٢٠
ناوبيري =	–	–	٦
بي ريبسي (٢) =	–	١	٩
المجموع	**٧٥**	**٦٢**	**٢٧٧٨**

٥- أبرشية مار سركيس في جيلو

الموضع	كنيسة	كهنة	عائلات
جيسا (تخوما)	١	١	٥٠
بي اريجاي	١	١	١٠٠
تخوما كاوايا	١	١	١٢٠
مزرآا	١	١	١٣٠
كوندوكتا	١	١	١١٠

ألسان	(خي جيلو)	١	١	٩٠
ميدهي	=	—	—	٥
نهرا	=	١	١	٣٠
زيريني	=	١	١	١١٠
ماثا دمار زيا	=	١	١	٥٠
أمود	=	—	—	٢٥
تالانا	=	١	—	٥٥
بي بوقرا	=	—	—	٢٠
نيريك	=	١	—	٢٥
اوري	=	—	—	٥
زير	=	١	١	١٠٠
سربيل	=	١	—	١٠٥
بوباوا	=	١	—	٣٥
سمسيكي	=	١	—	٤٠
ماثا داوريايي	=	١	—	٢٨
موسبيران	=	١	—	٢٢
اركب	(في باز)	١	١	٩٠
كوجيجا	=	١	—	٢٠
ماثا تحتيثا	=	١	١	١٠٠
شواووثا	=	١	١	١١٠
اوروانتوزد	=	١	١	٨٠
ميش	(في ريكان)	—	١	١٠
ميركانيش	=	—	—	٨
كيبا	=	—	—	٦
اربش	=	٤	١	٢٠
باداري	(في تكال)	١	١	٢٥

با ايكتا =	١	–	١٥
بي كورايي =	١	١	٥٢
بي عزيزه =	١	١	٤٠
رباط =	١	١	٧٠
اريوان =	–	–	٣٣
قو =	١	١	٢١
ارق =	١	١	٢٨
بي شوقا =	١	١	١٥
شوريزا =	–	–	٦
بيا =	١	–	١٢
بي ليثا =	١	١	٢٨
المجموع	**٣٧**	**٢٤**	**١٩٧٩**

٦- أبرشية مار صليوا في كفر

الموضع	كنيسة	كهنة	عائلات
بي ربيري (في كفر)	–	–	٢٠
زركانيس =	١	–	١٨
اوريشا =	١	١	٢٠
داراوي =	١	١	٢٠
كييت =	١	١	٢٤
مانوتان =	–	–	٦
قاويان =	–	١	٣٠
ميميكان =	١	١	١٣
سين آوا =	١	–	١٦
خاخس =	١	–	١٦
كربيل =	١	١	٢٠

كاكوران	=	١	–	١٥
باجيركا	=	١	–	٢٢
وزيرآوا	=	١	–	١٩
ماتن وآوا	=	١	–	٢٠
بيرز الان	=	١	١	٢٨
جير ديوار	=	١	١	٣٠
زيزان	=	١	١	٢١
باايلان	=	١	١	٢٠
دارا	=	١	–	١٣
باكي	=	١	–	١٥
سردشت	=	١	–	١٩
دزا	=	١	–	٦٠
مار بييشوا	(ديرانايي)	١	١	١٠٠
إيبل	=	١	١	٣٨
بي زقطي	=	١	١	٢٥
باسان	=	١	١	٢٠
خنانيس علينا	(في خنانيس)	١	١	٢٠
خنانيس تحيتا	=	١	١	٢٥
سيلموان	=	١	–	١٢
خليلة	=	–	–	٢٢
هوزي	(في الباق)	١	–	٢٥
ارجي	=	–	–	٢٠
اتيس	=	–	–	٣٠
منجيل آوا	=	–	–	١٢
حار الون	=	–	–	١٠
شارينيس	=	–	–	٧

اوزان =	—	—	١٢
بوزان =	١	—	١٤
بوردق =	١	—	١٨
آلاميان =	١	—	٢٠
قالانيس =	١	١	٢٤
جيزنا (في اتروش الأكراد)	١	—	٩٠
باراشين =	١	١	٢٠
خراباان =	—	—	١٨
المجموع	**٣٤**	**١٨**	**١٠٨٢**

٧- تابعة للبطريرك

الموضع	كنيسة	كهنة	عائلات
اركي (في ليفون)	١	١	٢٣
خركيل =	١	١	٢٠
ماثا دعودا =	١	١	٦
نيفكويزان =	١	١	٢٤
زارانس =	—	—	١٠
كانونتا =	—	—	٨
بيليكين =	—	—	٨
خندكي =	١	١	٢٠
بيللي =	—	١	١٥
ديرا زنكل =	١	—	١٠
كوهيكي =	—	—	٦
مروانان (في نوديس)	١	١	٢٤
عولاما =	١	—	٢٠
تيل جيري =	١	—	١٦

برخيلان =	–	–	١٢
المجموع	**٩**	**٧**	**٢٢٧**

– وهناك اثوريّون في وسط كردستان، في منطقة بني شمس الدين، وتضم تير كفر، مار كفر، سوماخا، برادوستاني، مهمدايي

– وفي اورمية ٤ أساقفة وبحدود ٤٥٠٠ عائلة

المجموع الكلي	مطارين	أساقفة	كهنة	كنائس	عائلات
أبرشية مار اوراهام	١	–	٩	١٣	٢٤٩
= = ايشوعياب	١	–	١٨	٢٠	٣٤٨
= بهتان	–	٢	١٦	٢٣	٢٢٠
= مار شمعون (البطريرك)	–	–	٦٢	٧٥	٢٧٧٨
= مار سركيس	١	–	٢٤	٣٧	١٩٧٩
= مار صليوا	١	٥	١٨	٣٤	١٠٨٢
= مار حنانيشوع	٣	–	٣٤	٣٨	٤٥٠٠
= اورمية	–	–	٩	٩	٢٢٢
مناطق ليفون ونوديس	–	–	–	–	–
المجموع	**٧**	**٧**	**١٨٨**	**٢١٩**	**١١٣٧٨**

أي نحو ٧٠ ألف نسمة

الباب الملوكي لكنيسة الطاهرة الخارجيّة أو الدير الأعلى – الموصل (ق ١٨)

البيما في كنيسة الطاهرة الخارجيّة – الموصل (ق ١٠ مع آخر ترميم القرن ١٨)

صليب مدافن الشهداء في كنيسة الطاهرة الخارجيّة أو الدير الأعلى - **الموصل** (ق ١٠ مع ترميمات القرن ١٨)

تفصيل من الباب الملوكي لكنيسة الطاهرة الخارجيّة - **الموصل** (ق ١٠ مع ترميمات القرن ١٨)

ثانيًا– إحصائية القس ادورد كتس

نشر عام ١٨٧٧ هذه الإحصائية في كتاب بعنوان «المسيحيون تحت حكم المسلمين في آسيا» وهو يشمل:

- قرى الأبرشية التي يديرها مار شمعون وقرى آل مطران
- والعشائر الجبلية مع كهنتها وملوكها.

١– القرى غربي آشيثا

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
كرمون	١	٢	٧٠
كلوك	١	١	٣٠
اروش	١	٠	٢٠
هلمون	١	١	٦٠
هور	٠	٠	١٠
خيري ريزن	–	–	–

٢– تياري السفلى

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
آشيثا	١	٢٠	٣٠٠ (و٥٠ شماسًا)
زاويثه	١	١٢	٩٠
منيانش	٤	٢	٥٠
مركي	١	١	٧٠
كورحي	–	–	٢٠
نيران	–	١	٥٠
عروا تحتايا	١	–	–

زرني	١	١	٣٠
كروحنا	–	–	٥
كمبعي دبيث صوصينا	١	١	١٨
ماثا دقوا	٢	٢	٤٠
بيت زيزو	–	–	١٢
لاكبا	١	١	٢٠
بيت علاثا	١	٢	٣٨
بيت راغولا	١	٢	٣٥
شورد	–	–	٢٠
راغولا (هنا لاباكان)	١	١	٢٠٠

٣– تياري العليا

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
سرسبيدون	٢	٢	٥٠
سيادور	١	١	٧
رومتا	١	٢	٩٠
كمبي دبيت ايليا	–	–	–
كمبا دنني	–	–	–
مزراعا	–	–	–
مراتيتا	–	–	–
بيت نهرا	–	–	–
بيت زراقو	–	–	–
كمياثا	–	–	–
عينا دآليلي	–	–	–
دورا علايا	–	–	–
ريشا دنهرا	–	–	–

قليتا	١	١	٦٠
بيت دلياثا	—	—	—
مزراعا دقليتا	١	٢	٥٠
كمبا وملك	—	—	—
كمبا دقوردايي	—	—	—
كمبا دهسو	—	—	—
معلوثا وملك	—	—	—
دادوش	١	١	٢٥
مبوءا	١	١	٢٠
كو	١	١	٢٧
بيت ماريكو	١	١	٢٠
كمبا دقورحي	—	—	—
روما سموقا	—	—	٢
دراوا دولطو	١	١	٢٠
كمبا حاثا	—	—	—

٤- اقليم ولطو

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
زوراوا	—	—	—
سرطا	١	٢	٧٩
شواووثا	١	—	٦
ماثا دمرت مريم	٣	٢	٦٠
حديانا	١	٢	٦٠
ريشا دنهرا	١	٢	٣٠

٥- إقليم دز

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
كولوزور	١	–	٣٣
صووا	١	–	١٤
كورسين	١	–	٣٥
خيري جارا	١	١	٣٠
ماوس	١	–	٢٥
مار قرياقوس	١	١	٢
آقوسي	١	١	١٤
جولجن	١	–	١٢
بيت شماشة	١	–	٤٠
سراموس	١	–	١٠
ربن داديشوع	١	–	١٢
مكيتا	١	–	٤
آلوكبا	١	–	–

٦- بروار (قوجانس)

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
قوجانس	٢	٤	٥٠
نروا	١	–	–
ترقونيس	٤	–	١٥
كيكر	٢	–	٥
سورينس	٢	–	٧
ترمل	٢	–	٩
بيت خاجيج	١	–	٤

بحن	–	–	٢
جاروس	٢	–	٧

٧- بروار صوصيني

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
حردلانيس	١	–	٦
قوطرانيس	٢	١	٢٤
احوانيس	١	–	١٥
شمونينيس	١	–	٥
سيويني	١	–	٢٠
اسبن	١	–	٧
صلن	١	–	٤
قورانيس	٢	–	٩
كرمي	١	–	٧
اورت	–	–	٣

٨- بروار شواووثا

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
شواووثا	٢	–	١٢
ساقيران	٤	١	١٠
ديركي	١	–	٤

٩- بيلجنايي

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
درس	١	١	١٢
أورت	١	–	١٠
دادن	–	–	–
الصر	١	–	٢
المجموع	**٨٨**	**٨١**	**٢٢٧٤**

١٠- أبرشية مار سركيس في جيلو

أ- إقليم تخوما

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
جسا	١	٤	٦٠
جا	٢	٢	٧٠
تخوما كاوايا	١	١٠	٢٤٠
مزراعا	١	٦	١٨٠
كوندكتا	١	١	١٥٠

ب- إقليم جيلو

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
آلصن	١	–	٧٠
مدهي	–	–	١٠
نهرا	١	–	٤٠

زيريني	٢	٢	١٣٠
ماثا دمارزيعا	١	٢	٧٠
امود	—	—	٢٥
كلانا	١	--	٤٠
بيت بوقرا	—	—	٢٥
نيرك	٢	—	١٢
اوري	—	—	١٠
زير	١	١	٨٠
سربل	١	١	٤٠
بوباوا	١	١	٣٥
سمسكي	١	—	٢٥
ماثا دوريايي	١	—	١٨
موسبيران	١	—	١٢

ج- إقليم باز

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
آركش	١	—	٥٠
قوجيجا	١	—	٣٠
ماثا تحتيثا	٥	١	٥٠
شواووثا	٣	٢	٧٠
اوروانقوس	١	١	٤٥

د- إقليم ريكان

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
هيش	١	١	١٥

مركانيش	٢	–	٧
كبا	١	–	٣
إربش	٢	١	٢٠
استب	–	–	–
المجموع	**٣٨**	**٣٧**	**١٦٥٠**

١١– أبرشية مار صليوا في كفر (كور)

أ– إقليم كفر

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
بيت ربري	–	–	١٢
زرقانيس	١	١	١٤
اوريشا	١	–	١٤
داراوا	١	–	١٢
كييت	١	–	١٥
مانونن	–	١	٢
قديين	–	–	٦
ممكن	١	١	١٧
سين آوا	١	–	١٢
حولحوس	١	–	١٠
كرفل	١	–	١٠
كاكورن (الأسقف)	١	٢	٢٠
باشركا	١	١	١٠
وزيرآوا	١	١	٣٥
ماكن آوا	١	٢	٤٥
بيرزالان	١	١	٦٠

ريزن	١	١	٣٠
فعيلن	١	–	٥
دارا	١	–	٥
فاكي	١	١	٣٠
سردشت	١	–	٤
دزا	١	١	١٠٠

ب– درينايي

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
مار بهيشوع	١	٣	٢٠٠
إيبل	١	١	٩٠
بيت زقتي	١	–	–
باسن	١	–	٨

ج– حنانيس

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
حنانيس العليا	١	١	٤٠
حنانيس السفلى	١	٢	٢٠
سلمون	١	–	١١
حاليلا	–	–	٧

د– إقليم ألبق

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
هوزي	١	١	٣٠
اردشي	–	–	٢٥

يتيس	–	–	٤٠
مجل آوا	–	–	٢٠
حارالون	–	–	–
شارينيس	–	–	٢
اوزان	١	١	١٢
فوسن	–	–	–
بوردوك	١	١	٢٣
عالاميان	١	–	٦
قالانيس	٣	–	٢٠

هـ- بيل قوردابي دارتوش

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
كزنا	–	–	–
فراشن	–	–	–
حراين	–	–	–
برويس	–	–	٢٠

و- إقليم ليوان

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
إركا	١	١	٢٥
حركل	١	١	١٥
قرية عورا	١	٢	١٥
نوكويزان	١	١	٣٠
زرانيس	–	–	٢
كانونتا	–	–	٧

بيلكان	–	–	–
حنداقي	١	١	٦
بيلي	–	–	٢٠
زيرا دزنكل	١	–	١٠
كوهكي	–	–	٨

ز- نوردوس

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
مارونن	١	١	٢٤
عولامن	١	–	٢٠
تل كيري	١	–	١٦
فرحيلن	–	–	١٢

ح- إقليم جل

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
بيت ديري	٢	١	١٥
بيت عقتا	١	–	٤
بيت قواريي	١	١	٤٠
بيت عزيزا	١	١	٢٠
ربث	٢	١	٢٠
طلانا	١	١	١٠
آريون	١	١	٢٠
قو	١	١	٢٠
إرك	١	١	٣٠
بيت شوقا	١	١	١٥

شوريزا	–	٢	٢٠
بيت بيا	١	–	–
بيت علاتا	١	–	٦
المجموع	**٥٦**	**٤٣**	**١٤٥٧**

١٢– أبرشية المطران مار حنانيشوع

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
هالانا	٢	–	١٠٠
قلاتونا	١	–	١٠٠
بيت بابي	١	–	؟
بيت ديوي	١	–	٢٤
بيت تونيو	١	–	٣٠
رستاقا (قرية المطران)	١	–	٢٥
بيت كردي	١	–	١٢
سورسيرا	١	–	٧٠
تيس	١	–	٣٠
مار دنخا	١	–	؟
نيردوشا	١	–	٢٠
بلقاو	–	–	٧
هارونن	١	–	٤٠
كلانا	١	–	٦
دورو	–	–	؟
كك فرزن	؟	–	؟
دارون	١	–	٢٠
مرتا	١	–	٥

سارونيس	١	—	٤٠
دوري	١	—	١٠
بوتور	١	—	٢٠
كركاني	؟	—	؟
ايسيرا	١	—	٣٠
بيتوثا	—	—	١٣
شافوط	١	—	٢٠
دارا	١	—	٤

– إقليم براد وستايي

القرى	كنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
لايرووا	١	—	٤٠
سيرون	١	—	٦٠
ايريما	١	—	٣٠
بيتني	١	—	؟
هاكي	١	—	٢٠
بالولان	١	—	٣٠
قورانا	١	—	٨
شيحاني	١	—	١٢
تولكي	١	—	١٣
تولو	١	—	١٥
عنبي	٢	—	٣٠
سيهاني	—	—	٨
زنكيلان	١	—	١٠
قالوكا	١	—	١٠
دريند	١	—	١٠

صالونا	١	–	٢
روسنا	١	–	١٠
ديزكاري	١	–	٢٠
هورانا	–	–	١٠
بستا	–	–	٨
هشماوا	١	–	٧
نركي	–	–	٢
هولوتن	–	–	٦
سوسناوا	–	–	٧
هلبي	–	–	٧
اورتيري	–	–	٧
هوص	١	–	٥
قورانا	–	–	٦
كونددكمالايا	–	–	٦
كنكماجين	–	–	١٠
اوواسو	١	–	١٠
المجموع	**٤٣**	–	**١٠٦٧**

١٣– اورمية

أ– أبرشية مار يوحنان

القرى	الكنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
كاديلن	١	٣	٤٤
جمالاباد	١	–	١٥
قزلعاشق	١	١	٢٢
بالو	١	–	٣٨

قاوالا	—	—	١٨
قزلووي	—	—	٨
هو باتعاد	—	—	١
قراكوز	—	—	٣١
تكالودي	—	—	٥
جيكملووي	١	—	١٤
عادا	٢	٣	١٢٦
موشاداد	١	٢	٨٨
مار نوحا	١	—	٥
كورحالووي	—	—	٦
عبد لاكندي	١	١	٥٢
شيراباد	١	٢	٣١
ينكيغ	١	١	٤٢
قراجالو	١	١	٨٠
قراقيس	—	—	١٠
آباجالوي	١	—	١٥
إكياغج	—	—	١٢
جماكيي	١	١	٥٠
يجموكلوس	١	—	١٨
زدملان	١	٣	٤٤
هصار	—	—	٥
هصار بابالنجي	—	—	٤
كوسي	١	—	٣٨
نازي	١	١	٥٠
جنيزا	٢	٢	٢٦
نادلبو	—	—	٥
ماهيبيكلو	—	—	١٥

يهوشاخاط	–	–	٥
زانلووي	١	–	١٦
عرموطاغل	١	١	٣٣
المجموع	**٢٣**	**٢٢**	**٩٧٢**

ب – أبرشية مار يونان

القرى	الكنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
سفورجان	١	١	١٥٠
حنيشان	–	–	٤٠
موشابد	١	–	١٠٠
المجموع	**٢**	**١**	**٢٩٠**

ج– أبرشية مار كوبيل (جبرائيل)

القرى	الكنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
اردشاي	٥	٢	١٦٠
تكا	٢	٣	٩٠
ألقاي	٢	٢	٣٢
بيرود	–	–	١١٥
سردود	–	–	٣٠
ايلازلوي	–	–	٣
دربري	–	–	٥٠
حذر اباد	–	–	١٨
موراشكاري	–	–	١٣
مراد عالووي	–	–	٣٠
قدالاري	–	–	٢١

منظر للموصل القديمة على
نهر دجلة

مدخل كنيسة دير مار أشعيا
– الموصل (ق ٦)

الباحة الخارجيّة لكنيسة دير
مار أشعيا – الموصل (ق ٦)

البهو الداخلي للبطريركيّة الكلدانيّة القديمة – الموصل (ق ١٨ – ١٩)

رسول محفور على الباب الملوكي لكنيسة مار توما القديمة – الموصل (ق ١٣)

* الرسوم والتعليق عليها للسيّدة راي معوّض

قورتافه	١	–	٢٠
شيباني	–	–	٢٥
نزار آباد	–	–	٧
كولي	–	–	١٥
دزاتكا	٢	١	١٥٤
بالانوش	–	–	٣٧
زيوك	–	–	١٦
حدر آباد	–	–	١١
بيات لاري	–	–	٦
طوفز آباد	–	–	٧
شيطان آباد	١	–	٢٠
علي آباد	١	–	٢٢
ديدن	–	–	١١
سالمة لووي	١	–	٤٤
تك لووي	–	–	٢٠
حورم آباد	–	–	٣٠
تازا كند	–	–	٧
سارالن	–	–	٣٥
شمشاجين	١	–	٣٨
كوكتافه	١	٤	١٩٠
سري بغلووي	–	–	١١
سريجوف	١	–	١٠
توتراش	–	١	١٣
برهان لووي	–	–	١٣
قراجوي	١	١	٣٠
دزار	–	–	١٨

وزير آباد	١	–	٥٤
قولارجوي	–	–	٦
كولغشن	٢	١	١٦٠
جهر كوشه	١	١	٤٢
ترماني	١	–	١٨
هصار	–	–	١٣
صراء علووي	١	–	١
قراس لووي	–	–	٢٤
تسمالووي	–	–	١٨
إرياوا	١	١	١٠٠
بوراشن	–	–	١٤
سنجر	–	–	٣٨
اكيوايلاري	–	–	١٠٠
ديكالا	١	١	١٥٤
ديكالا	١	١	٧٠
جولفت عليحان	–	–	٦٠
جهار بحش	٢	٥	١٠٨
سيجر	–	–	١٨
سيجر	–	–	٢٩
سنسالووي	–	–	١٣
مبروكي	–	–	٣
مر تاميرتولا	–	–	٩
باول آباد	–	–	١٢
دزا دآغا علي	١	١	٣٠
علي آباد	٢	١	٣٤
سيري	–	١	٢٧

مار سركيس	١	—	١١
بزوآلي	—	—	١٠
حصصار	—	—	١٨
اشنوق	١	—	١٠
تافا	—	—	١٠
قورناباد	—	—	١٥
قورنا وكوزلي	—	—	٨
جيانا	١	١	٢٥
الملك	—	—	٥
نقاوا	١	—	٥٠
كروان ساره	—	—	٦
طوفوز آباد	—	—	٦
اوجوار	١	—	٢٣
بايم قلعة	—	—	١٠
براني	—	—	١٢
ركتانا	—	—	١٢
هسن ألووي	—	—	٨
اوركاز آباد	—	—	٤
ممتيار	١	—	٤٠
جوفول	—	—	٨
دلمار	—	—	٢
دوجيل	—	—	٤
دوركا	—	—	٨
سنجبالو	—	—	١٠
داراليك	١	—	٣٠
قوز ولتوبي	—	—	٨

آغا بشير	–	–	٥
المجموع	**٤٩**	**٢٨**	**٢٨٨٨**

المجموع الكلي

القرى	الكنائس (أديرة)	كهنة	بيوت (عائلات)
أبرشية مار شمعون البطريرك	٨٨	٨١	٢٢٧٤
أبرشية مار سركيس في جيلو	٣٨	٣٧	١٦٥٠
أبرشية مار صليوا في كفر	٥٦	٤٣	١٤٩٧
أبرشية مار حنانيشوع	٤٣	٣٦	١٠٦٧
أبرشية مار يوحنان	٢٣	٢٢	٩٧٢
أبرشية مار يونان	٢	١	٢٩٠
أبرشية مار كوريل	٤٠	٢٨	٢٨٨٨
المجموع	**٢٩٠**	**٢٤٨**	**١٠٦٣٨**

أي ما يقارب ٧٤٤٦٦ نسمة.

ثالثًا –إحصائية الأماكن المقدسة (الكنائس والأديرة) بأسماء الشهداء والقديسين:

	العدد		العدد
مار كوركيس	٦٣	مار صليوا	٤
مرت مريم	٦١	مار داويد (داؤود)	١
مار قرياقوس	٢٦	مار زروندا	٢
مار يوحنان	١٣	ربن فثيون	١
مار موشي	٢	مار ميخائيل	١
ابني شموني	٨	مار أزيزه	١
ربن ياقو (يعقوب)	١	مار عبد ايشوع	٣
ربن سهدا	١	مار يوسف	٢
مار ساوا	٥	ربن برصومه	١
مار شمعون	٩	مار توما	٤
مار اسرابيون	١	مار بهيشوع	١
مار باواي	١	مار قردخ	١
مار اسحق	١	مار طليا	١
مار اوراها (ابراهيم)	٣	مار شونا	٢
مار نثنائيل	١	مار ايشوع	١
قديشته (قديسة)	١	مار حزقيال	١
مار سركيس	٥	مار يونان	٢
ربن مارأزيز	١	مار دانيال	١
ربن بربوراتو	١	مار سبريشوع	٤
مار ماري	١	مار كبرييل (جبرائيل)	٣
مار ادي	٢	الملاك جبرائيل	١
مار شليطا	١٢	مار زيعا	١
مار مسترينة	٢	بطرس وبولس	١
مار يعقوب	٢	مار كورا	١
مار حنانيا	٢	؟	١٦
مار اسطبانوس (اسطيفانس)	٧		

رابعًا– إحصائية العلامة جان باتيست شابو (نشرها في ١ كانون الثاني ١٨٩٦ نقلاً عن البطريرك مار كوركيس عبد يشوع الخامس خياط)

عُرِفَت كنيسة المشرق الكلدانية وبطريركيتها باسم بطريركية بابل اثر رسامة مار يوحنا سولاقا بطريركًا في روما عام ١٥٥٣، ثم حصلت التباسات بين سلسلتي البطاركة الكلدان (الكاثوليك) والأثوريين (النساطرة) بعد سولاقا وخلفائه بفترة قصيرة، حتى قامت سلسلة بطاركة كلدان يوسفيين في دياربكر، وأخيرًا سلسلة البطاركة الحاليين منذ يوحنا هرمز الذي تم الاعتراف به رسميًا من قبل عام ١٨٣٠ بتوحيد الرئاسة البطريركية في الكنيسة الكلدانية.

المدينة	لغة	سكان	خورنات	كنائس	كهنة	مدارس
١– بغداد البطريرك جرجيس يشوع الخامس خياط	سورث، عربي، تركي	٣٠٠٠	٢ في بغداد والكوت	٢	٣–٤	١+٢ كرمل وتقدمة
٢– الموصل البطريرك الوكيل: المطران إيليا يوسف خياط	عربي في المدينة، سورث في القرى	٢٣٧٠٠	٢+٩ (قرى): تلكيف باطنايا ألقوش باقوفا كرمليس نصيرية بيوز بندوايا	١٨+١٣ أديرة	٤٥+٢٤ رهبان	٣ + معهدان كهنوتيان

٣- البصرة (وكالة بطريركية)	عربي وسورث	٣٠٠٠	٥ (بصره، عمارة، عشار، ناصرية، كوت)	٢	٣	٢
٤- حلب (وكالة بطريركية)	عربي	٣٠٠	١	١	١	
٥- دمشق (وكالة بطريركية)		٢٠٠				
٦- بيروت (وكالة بطريركية)		٣٠٠				
٧- ادنه وطرسوس (وكالة بطريركية)	سورث	٦٠٠		١	١	
٨- مصر (وكالة بطريركية)						
٩- طهران (وكالة بطريركية)		١١٠				

١٠- كرمنشاه (وكالة بطريركية)		عدد قليل				
١١- آمد (ديار بكر وميافرقط	عربي، تركي، أرمني، كردي، سورث	٣٠٠٠	٤	٣	١	٤ للذكور + ١ للإناث
١٢- كركوك (المطران جبرائيل يوسف آدمو)	تركي، سورث	٧٠٠٠	١٥	١٦ + مصلى	٢٢	
١٣- ماردين (المطران مار إيليا سلوسن)	عربي، كردي	٨٥٠	٥		٣	١ للذكور + ٢ مختلط
١٤- الجزيرة (المطران مار يعقوب ابراهيم)	عربي، سورث	٥٢٠٠	١٦	١٧	١٤	١٢ للذكور والإناث
١٥- سعرت (المطران مار يوسف عمانوئيل توما)	عربي، كردي، سورث	٥٠٠٠	٢٢	٢١	١٧	٧ للذكور + ١ للإناث

١٦- زاخو (المطران مار طيمثاوس مقدسي)	سورث، كردي	٣٥٠٠	١٥	٢٠	١٠	٤ للذكور
١٧- العمادية (المطران مار مناس)	سورث، كردي	٣٠٠٠	١٤	١٦ + مصلى	١٣	٦ للذكور
١٨- عقرة - زيبار (مطرانها - مطران العمادية مؤقتًا)	كردي، سورث	١٠٠٠	١٣	١٢	١	٢ للذكور
١٩- سلماس (المطران مار اسحق خودباشي)	سورث، فارسي، تركي، كردي	١٠٠٠٠	١٤	١٢	١٠	عدة مدارس (راهبات التقدمة)
٢٠- اورمية (المطران مار توما اودو)	سورث، فارسي، تركي، كردي	٦٠٠٠	٧٠	١٨	٤٠	عدة مدارس (لعازريون وراهبات المحبة)
٢١- سنا (المطران مار كوركيس كوكا)	سورث وفارس	٦٥٠ إلى ٧٥٠	٢	٢	٢	٣ للذكور

المجموع

خورنات ومحطات	كنائس ومصلّيات	كهنة	مدارس	مؤسسات	أهالي
٢٣٣	١٧٧	٢٤٨	٥٢	٧	٧٨٧٩٠

٢٢- هناك حضور كلداني في دزي كفر (وان)، مار يهيشو (كاهن و٨٠ شخصًا)، سات وعبرو (كاهن و١٢٠٠ شخص)، بولميرك، زرني وسالاماكا، سراي (باز)، تخوما، جيلو، طال (نحو ٥٠٠).

خامسًا- إحصائية الخوري يوسف تفنكجي

دبّج الخوري يوسف تفنكجي هذه الإحصائية الخاصة بكنيسة المشرق الكلدانية، ونشرها في الدليل الحبري Annuario Pontificio لسنة ١٩١٤، بعد أن كانت قد نُشِرَت في كتيّب خاص بالفرنسية عنوانه (الكنيسة الكلدانية سابقًا وحاليًا) L'Église Chaldéenne autrefois et aujourd'hui سنة ١٩١٣، وترجمها المطران اندراوس صنا ونشرها في مجلة نجم المشرق، العدد ٨، السنة ٢، ١٩٩٦ ص ٥١٢-٥٣١. ننقلها هنا مع تعديلات طفيفة.

أ – الأبرشية البطريركية

وتشمل: بغداد وتوابعها والموصل وقراها والوكالات البطريركية، ويجلس الآن على كرسي مار ادي ومار ماري، مار عمانوئيل الثاني توما منذ سنة ١٩٠٠.

١- بغداد وتوابعها

وكالة بطريركية بإدارة وكيل كاهن، كنيستها التي باسم أم الأحزان فخمة وجميلة: وضع حجرها الأول البطريرك إيليا عبو اليونان سنة ١٨٩٠ وكرسها البطريرك عبديشوع خياط سنة ١٨٩٨، لها مدرستان مزدهرتان وميتم واحد، تتبعها إداريًا كنيستا العمارة والكوت.

٢- الموصل وقراها

اتخذ البطريرك يوحنا هرمز الموصل مقرًا لبطريركيته منذ مطلع عام ١٨٣٠. فيها معهدان اكليريكيان، معهد شمعون الصفا، ومعهد مار يوحنا الحبيب، وقد أَعطَيَا الكنيسة عشرات الكهنة والمطارين. تأسس معهد شمعون الصفا سنة ١٨٦٦ بفضل الراهب اللعازري الأخ رفائيل مازجي، ورئيسه الحالي القس يوسف غنيمة. أما معهد مار يوحنا الحبيب فقد أسسه مجمع انتشار الإيمان التابع للكرسي الرسولي سنة ١٨٧٨ للكنيستين الكلدانية والسريانية، وسَلَّم إدارته إلى الآباء الدومنيكيين، ورئيسه الأب سبستيان شيل الدومنيكي.

وللكلدان في الموصل مطبعة بسيطة اشتراها للبطريركية الراهب الأخ رفائيل مازجي من إرثه العائلي.

٣- الوكالات البطريركية

- **روما**: يمثل فيها البطريركية الراهب الكلداني الأب بولس داود جنتو تلميذ معهد مار يوحنا الحبيب، وهو يمثل أيضًا الرهبنة الهرمزدية الكلدانية لدى الكرسي الرسولي.

- **القاهرة**: أسسها البطريرك إيليا عبو اليونان، وبنى فيها كنيسة جميلة على نفقة سيدة كلدانية موسرة. الوكيل فيها هو المطران اسحق خوداباش، الذي كان قد استقال من أبرشيته سلاماس، يعاونه الخوري يوسف غريب، الوكيل السابق في اسطنبول.

- **طهران**: أسسها البطريرك عبد يشوع خياط سنة ١٨٩٥ على طلب الجماعة فيها.

- **كرمنشاه**: أسسها البطريرك عمانوئيل الثاني سنة ١٩٠٥.

- **الأهواز**: أسسها أيضًا مار عمانوئيل الثاني سنة ١٩٠٩، والوكيل فيها هو الخوري ابراهيم البنا.

- **القسطنطينية**: أسسها إيليا عبو اليونان سنة ١٨٨٥ في عاصمة الدولة العثمانية لخدمة جماعة الكلدان فيها ولرعاية شؤون الكنيسة الكلدانية لدى الباب العالي. يديرها منذ سنة ١٩٠٩ القس توما بجاري.

– **البصرة – عشار**: بعد انحسار كنيسة المشرق زالت أبرشية البصرة الشهيرة المعروفة باسم فرات ميسان.

وأول رجوع لإدارة كنسيّة فيها كان في عهد البطريرك يوحنا هرمز سنة ١٨٣٨. ومن بين الذين شغلوا الوكالة فيها القس إسرائيل اودو مدة ثمانية عشر عامًا وذلك قبل أن يرسم مطرانًا لماردين. شيد فيها كنيسة مار توما، يديرها الآن القس منصور كجه جي، يعاونه القس بولس الطرسوسي.

أما **العشار** التي كانت تتبع وكالة البصرة، فقد فصلها عنها مار عمانوئيل الثاني سنة ١٩٠٧ وسلمها إلى القس (المطران) حنا نيسان، يساعده القس منصور قرياقوزا.

– **دمشق**: كان يخدمها المرسلون اللاتين، ثم أصبحت وكالة بطريركية وفقًا لطلب الجماعة فيها في عهد عبديشوع خياط. يديرها القس منصور صليبا.

– **حلب**: كانت خدمة جماعة الكلدان فيها موزعة على الكنائس الكاثوليكية، حتى أصبحت وكالة بطريركية في عهد يوسف أودو سنة ١٨٧٢، يديرها الخوري ميخائيل شعيا.

– **دير الزور**: أقامها البطريرك مار عمانوئيل الثاني سنة ١٩٠٦. يديرها القس اسطيفان اوجين من الرهبنة الهرمزدية.

– **بيروت**: كان الكهنة اللاتين يخدمون جماعة الكلدان، وكذلك الكهنة السريان. حتى أقامها البطريرك عبد يشوع خياط وكالة بطريركية سنة ١٨٩٥. يديرها الخوري يوسف الطويل، وهو يسكن لدى السريان لعدم وجود كنيسة أو بيت للكلدان فيها.

– **أدنه**: أقامها، على طلب الجماعة، البطريرك إيليا عبو اليونان سنة ١٨٩١، يديرها القس اسطيفان مكسابو.

بعد هذه المعلومات الموجزة عن **الأبرشية البطريركية** نورد إحصائياتها.

المراكز	السكان	الكهنة	الكنائس	المصليات	المدارس
بغداد	٧٠٠٠	٩	١	١	٢
العمارة	١٦٠	١	—	١	—
الكوت	١٠٠	١	—	—	—
الموصل	٤٥٠٠	١٥	٨	٥	٥
القوش	٧٠٠٠	٦	٣	—	٢
تلكيف	٨٠٠٠	٧	٣	—	٢
بطنايا	٢٥٠٠	٣	١	—	٢
تلسقف	٣٥٠٠	٥	١	—	٢
باقوفا	١٥٠٠	٣	١	—	٢
كرمليس	٤٠٠٠	٣	٢	—	١
بندوايا	١٠٠	١	—	١	—
بيوز	١٠٠	١	١	—	١
نصيرية	٧٠٠	١	١	—	—
المجموع	٣٩١٦٠	٥٦	٢٢	٨	١٩
	٣٧٣٠	١٥	٤	٨	٨
المجموع الكلي	**٤٢٨٩٠**	**٧١**	**٢٦**	**١٦**	**٢٧**

وهذه بعض المعلومات الموجزة عن **الوكالات البطريركية** .

المراكز	السكان	الكهنة	الكنائس	المصليات	المدارس
روما	؟	١	–	–	–
القاهرة	٤٠٠	١	١	–	–
طهران	١٢٠	١	–	١	١
كرمنشاه	٣٢٠	١	–	١	١
الأهواز	٢٣٠	١	–	١	١
اسطنبول	٣٠٠	١	–	١	١
البصرة	٥٠٠	٢	١	–	٢
العشار	٤٥٠	١	–	١	١
دمشق	٣٠٠	١	–	–	–
حلب	٤٠٠	٢	١	–	–
دير الزور	٦٠	١	–	١	–
بيروت	٣٠٠	١	–	١	–
ادنه	٣٥٠	١	١	١	١
مجموع الوكالات	**٣٧٣٠**	**١٥**	**٤**	**٨**	**٨**

ب – الأبرشيات

١– رئاسة أسقفية آمد (ديار بكر)

كانت في القرن السادس للميلاد أسقفية تابعة لرئاسة أسقفية نصيبين وبعدئذ لميافرقين، ثم أصبحت رئاسة أسقفية مستقلة. وعندما رُسِمَ مار يوحنا سولاقا بطريركًا في روما، اتخذها مقرًا له سنة ١٥٥٣، واستمرت كذلك إلى يوم استشهاده سنة ١٥٥٥. بعدئذ عادت وأصبحت مقرًا بطريركيًا سنة ١٦٨١ حتى سنة ١٨٢٨، حين أُلغِي هذا الكرسي في عهد يوحنا هرمز، إذ في عهده تَوحّدَت الرئاسة في الكنيسة الكلدانية، وثبت مقره في مدينة الموصل سنة ١٨٣٠. وفي سنة ١٩١٣ كان يدير الأبرشية منذ سنة ١٨٩٧ مار سليمان صباغ، الذي جمع هذه المعلومات عن أبرشيته.

يسكن ديار بكر نحو (٨٠٠٠٠) نفس، أغلبهم مسلمون. والمسيحيون فيها نحو (٢٠٠٠٠)، عدد كبير منهم أرمن ارثوذكس، والباقون ينتمون إلى كنائس مختلفة، من كلدان وسريان وأرمن وبروتستنت وقلة ضئيلة من روم كاثوليك وروم ارثوذكس، وفيها عدد من اليهود، وفيها رسالة للآباء الكبوشيين. اللغات الشائعة لدى مسيحييها: الأرمنية والعربية والتركية والكردية، كاتدرائيتها قديمةٌ من القرن السادس للميلاد باسم مار فثيون الشهيد.

وهذه هي الإحصائيات الخاصة بها:

المراكز	السكان	الكهنة	الكنائس	المصليات	المدارس
آمد (ديار بكر)	٢٥٠٠	٦	١	–	٣
ميافرقين	٥٠٠	١	١	–	٢
جاروخية	١٥٠	١	١	–	١
عليبوار	٨٠	–	١	–	–
بوشط	٥٠٠	١	–	١	١
نودشت	١٠٠	–	–	١	–
زيزي	١٢٠	١	–	١	١

أجي	٣٠	–	–	١	–
اورفا (الرها)[١]	٢٠٠	٢	١	–	٢
المجموع	**٤١٨٠**	**١٢**	**٥**	**٤**	**١٠**

٢– رئاسة أسقفية كركوك

يرقى هذا الكرسي إلى القرون المسيحية الأولى. وكانت تسمى «كرخا دسلوخ» وتحرَّفَ هذا الإسم إلى كركوك. لقد نال فيها إكليل الاستشهاد عدد غفير من المسيحيين في القرون الرابع والخامس والسادس للميلاد. كان راعيها سنة ١٩١٣ مار تيودور مسيح منذ سنة ١٩٠٤. تشمل الأبرشية ولايات كركوك وأربيل والسليمانية، اتحدت مع الكرسي الرسولي في نهاية القرن الثامن عشر. وهذه هي الإحصائيات الخاصة بها:

المراكز	السكان	الكهنة	الكنائس	المصليات	المدارس
كركوك	٨٠٠	٤	٢	–	٢
السليمانية	٢٠٠	١	١	–	١
اربيل	٥٠	–	–	١	–
عينكاوة	٣٠٠٠	٥	٢	١	١
شقلاوة	١٢٠٠	٥	١	–	١
أرموتا	١٠٠	١	١	–	١
كويسنجق	٢٠٠	٢	١	–	–
قوريا	٢٠٠	١	١	–	١
راوندوز	٩٠	–	–	–	–
المجموع	**٥٨٤٠**	**١٩**	**٩**	**٢**	**٧**

٣– رئاسة أسقفية سعرت

كانت تدعى قديمًا «أرزن»، باسم مدينة كانت تقع غربي سعرت. انضمت إلى

(١) كانت اورفا مدة طويلة وكالة بطريركية ثم ألحقت بأبرشية آمد.

الكثلكة في منتصف القرن السادس عشر في عهد مار يوحنا سولاقا، اتخذها البطاركة الثلاثة الذين خلفوه، عبد يشوع الرابع ويهبالاها الرابع وشمعون التاسع، مقرًا لهم، وسكنوا في دير مار يعقوب الحبيس الذي يجاورها من سنة ١٥٥٥ إلى ١٦٠٠.

غالبية سكان المنطقة مسلمون، ويسكن فيها أيضًا، إضافة إلى الكلدان، نساطرة وسريان وأرمن. اللغات الشائعة فيها الكردية والسورث والعربية، يرعاها الآن مار أدي شير منذ سنة ١٩٠٢. كاتدرائيتها على اسم العائلة المقدسة؛ شيدها المطران (البطريرك) مار عمانوئيل توما سنة ١٨٩٥.

وهذه الإحصائيات الخاصة بأبرشية سعرت:

المراكز	السكان	الكهنة	الكنائس	المصليات	المدارس
سعرت	٨٢٤	٣	٣	١	٣
دهمازين	١٥٢	١	١	١	١
قولميس	٣٢٦	١	١	—	—
مار كوريا	١٨٢	١	١	—	١
تل ميشار	٢٩٠	١	١	—	—
كيدوانيس	٥٥	١	١	—	—
بينكو	١١٠	—	—	—	—
بيركة	٣٠	١	١	—	—
دهوك	١٤٦	—	—	١	—
راموران	١٢٦	—	—	١	—
دهربان	١٤٢	—	—	—	—
ارجيقانيس	٤٥	—	—	—	—
قوريج	١٠٠	١	١	—	—
اوريج	٢٠	—	—	—	—
بوريم	٢٨٢	١	١	—	—
شويشا	٩٥	—	—	—	١

روما	١١٠	–	–	–	–
حاخ	٧٠	–	–	–	–
بيروز	٣٠٠	١	١	–	١
دينتاس	٨٠	١	–	١	–
ارتون عليا	٣١٠	١	١	–	–
ارتون سفلى	١٦٠	–	–	١	–
قيرانس	٧٥	–	١	–	–
تل	٥٠	–	١	–	–
ازار	٥٠	١	١	–	–
كيراتل	١٠٠	–	١	–	١
مارانش	٧٠	–	١	–	١
مارشانس	٦٠	–	١	–	–
صاداخ	٢٣٠	١	١	–	–
مار يعقوب	٢٠٠	١	١	–	–
مار شموني	٣٠	–	١	–	–
حديدي	٢٠٠	١	١	–	–
بركي	١٢٠	١	١	–	–
بيكندي	٨٠	١	١	–	–
دير شمش	٤٠	–	١	–	–
قب	٥٠	–	١	–	–
اجنبث	١٢٠	١	١	١	–
المجموع	**٥٤٣٠**	**٢١**	**٣١**	**٧**	**٩**

٤– رئاسة أسقفية اورمية

أصبحت كاثوليكية في القرن السادس عشر في عهد مار يوحنا سولاقا. وفي منتصف القرن السابع عشر رجعت إلى النسطوريّة، ثم عادت في نهاية القرن التاسع عشر إلى الكثلكة مرة ثانية. أغلب السكان في المنطقة مسلمون. أما المسيحيون، فبالإضافة إلى

الكاثوليك يوجد أيضًا الأرمن والنساطرة والبروتستانت. اللغات الشائعة في الأبرشية هي السورث والكردية والفارسية.

للأبرشية معهد اكليريكي. كان راعيها سنة ١٩١٣ مار توما اودو[١] منذ سنة ١٨٩٢، وهو شقيق المطران إسرائيل اودو مطران ماردين وحفيد شقيق البطريرك يوسف اودو.

وهذه هي الإحصائيات الخاصة بها:

المراكز	السكان	الكهنة	الكنائس	المصلّيات	المدارس
اورمية	٥٠٠	١٨	٢	١	٢
كولفخا	٦٠٠	٣	١	١	—
جاراقوش	٥٠٠	١	١	١	—
قوقتافا	٧٠٠	٣	٢	—	١
أرديشاي	—	—	—	—	—
جرلك	٣٣٠	١	١	—	—
دزا	٤٥٠	٢	١	—	١
ديكال	٣٥٠	١	١	—	١
آدا	٤٠٠	١	١	١	—
سورخان	٧٠٠	٣	١	—	١
تاقوي	٣٥٠	٢	١	١	١
برديشوك	١٥٠	١	—	١	١
سناقاق	١٨٠	١	—	١	١
ماوان	٢٠٠	١	—	١	—
ششجيهان	٣٠٠	٢	—	١	—
تركادر	٣٢٠	١	—	١	—
بيباري	١٨٠	—	١	—	١

(١) استشهد مار توما اودو ابان الحرب العالمية الأولى.

أنهار	١٢٠	–	–	١	–
جمرباش	٢٧٠	١	–	١	–
نازي	٢٠٠	–	–	١	١
اتلاقندي	٣٠٠	١	–	١	–
وغيرها	٨٠٠	–	–	١	–
المجموع	**٧٨٠٠**	**٤٣**	**١٣**	**١٥**	**١١**

٥– أبرشية عقرة

أصبحت كاثوليكية في نهاية القرن الثامن عشر. كانت مع أبرشية زاخو متحدتين مع أبرشية العمادية. انفصلت عنها سنة ١٨٥٠، وهي منذ ١٩١٠ وكالة بطريركية مؤقتة، يسكن قسمًا من قراها كلدان ونساطرة. لغة المسيحيين فيها السورث.

الإحصائيات الخاصة بها:

المراكز	السكان	الكهنة	الكنائس	المصلّيات	المدارس
عقرة	٢٥٠	٢	١	–	١
خربا	٢٠٠	١	١	–	١
خردس	١٢٠	١	–	١	–
نيرم	١٠٠	١	١	–	–
شرمن	٢٥٠	١	١	–	١
كانيفلان	١٢٠	١	–	١	–
كولكوران	٨٠	١	–	١	–
نوهاوا	١٥٠	١	١	–	١
أدينا	٣٠٠	٢	١	–	–
صناي	١٠٠	١	١	–	–
دوري	٥٠	١	١	–	–
أرتون	١٠٠	١	–	١	١

بامشمش	١٥٠	—	—	—	—
بيت نوري	٨٠	—	—	—	—
كسا	٦٠	—	—	١	—
ركبا	٤٠	—	—	—	—
برزاني	٩٠	١	—	—	—
بيسابرا[١]	٣٠	—	—	—	١
ملابروان	١٢٠	١	١	—	١
المجموع	**٢٣٩٠**	**١٦**	**١٠**	**٥**	**٧**

٦- أبرشية العمادية

أصبحت كاثوليكية في منتصف القرن السابع عشر، ثم رجعت بعدئذ إلى النسطوريّة، وعادت إلى الكثلكة مرة أخرى في نهاية القرن الثامن عشر. كانت تضم أيضًا إلى سنة ١٨٥٠ أبرشيتي زاخو وعقرة. يكاد يتساوى فيها عدد الكلدان والنساطرة، لغتهم السورث، تكثر فيها مدارس البروتستنت، مطرانها سنة ١٩١٣ كان مار فرنسيس داود منذ سنة ١٩١٠.

الإحصائيات الخاصة بها:

المراكز	السكان	الكهنة	الكنائس	المصليات	المدارس
العمادية	٤٠٠	٢	—	١	١
ارادن	٦٥٠	٢	٢	—	٢
تنا	٤٥٠	٢	١	—	١
داودية	٣٠٠	١	١	—	١
منكيش	١١٠٠	٤	١	—	١
حمزية	٢٠٠	١	١	—	١
اينشك	٢٥٠	١	٢	—	١

(١) هذه القرية موجودة في منطقة شمكان وتابعة لأبرشية العمادية، ولا نعرف في أبرشية عقرة قرية بهذا الإسم.

نيري	١٠٠	١	١	–	–
كوماني	٦٠	–	–	١	–
بيناثا	١٥٠	١	–	١	–
بيبوزي	١٢٠	–	١	١	١
آزخ	٣٠٠	١	١	–	–
هرماشي	٣١٠	١	١	–	١
تلا	٣٤٠	١	–	–	–
بيرتا	٦٠	–	–	–	–
دزي	٨٠	–	–	–	–
تلخش	١٠٠	١	١	–	–
المجموع	**٤٩٧٠**	**١٩**	**١٣**	**٤**	**١٠**

٧- أبرشية الجزيرة

كانت تسمى سابقًا بيت زبدي (بازبدى)، أصبحت كاثوليكية سنة ١٥٥٢ في عهد مار يوحنا سولاقا، يسكن في المنطقة إلى جانب الكلدان، السريان والنساطرة والبروتستنت بالإضافة إلى الأغلبية المسلمة. يتكلم المسيحيون فيها السورث والعربية، فيها رسالة للآباء الدومنيكيين وأخرى لراهبات التقدمة. كان مطرانها سنة ١٩١٣ مار يعقوب اوراها (١).

الإحصائيات الخاصة بها:

المراكز	السكان	الكهنة	الكنائس	المصليات	المدارس
الجزيرة	٦٠٠	٢	١	–	١
طاقيان	٩٠٠	٣	١	–	١
فيشخابور	١٣٠٠	٢	١	–	١
وحصد	٥٢٠	١	١	–	١

(١) استشهد المطران يعقوب اوراها ابان الحرب العالمية الأولى.

تل قبين	٤٥٠	١	١	—	١
هوز ومير	٥٠٠	١	١	—	١
هربول	٣٠٠	١	١	—	—
كير كيبدرو	٦٠٠	١	١	—	١
نهروان	١٢٠	—	—	١	—
منصورية	٨٠	—	—	—	—
إشي	٢٠٠	١	١	—	—
باز	١٥٠	١	١	—	—
هلتون	١٠٠	١	—	١	—
آقول	١٨٠	١	—	١	—
ديسيون	١٦٠	١	—	—	—
مار سوريشو	١٠٠	—	—	—	—
شاخ	١٤٠	١	١	—	—
المجموع	**٦٤٠٠**	**١٧**	**١١**	**٣**	**٧**

٨- أبرشية ماردين

أصبحت كاثوليكية في منتصف القرن السادس عشر في عهد مار يوحنا سولاقا. إلى جانب الكلدان يسكن في المنطقة أرمن وسريان وبروتستنت بين الأغلبية المسلمة، فيها رسالة للآباء الكبوشيين وأخرى للراهبات الفرنسيسكانيات.

المقران البطريركيان للسريان الأرثوذكس والسريان الكاثوليك هما في ماردين. يقوم السريان والأرمن الكاثوليك بخدمة بعض المراكز التي فيها قلة من الكلدان، كان مطرانها سنة ١٩١٣ مار إسرائيل اودو منذ سنة ١٩١٠.

وهذه هي إحصائيات الأبرشية:

المراكز	السكان	الكهنة	الكنائس	المصليات	المدارس
ماردين	١١٠٠	٤	١	—	١

نصيبين	١٦٠	١	—	—	١
مدياط	١٨٠	١	—	—	١
تلرمين	١٠٠	—	—	١	—
فيرانشهر	٩٠	—	—	١	—
ديركي	٤٠	—	—	—	—
المجموع	**١٦٧٠**	**٦**	**١**	**٢**	**٣**

٩– أبرشية سنا

أصبحت كاثوليكية في نهاية القرن الثامن عشر. ألحقت بأبرشية كركوك حتى منتصف القرن التاسع عشر. وفي سنة ١٨٥١ أصبحت أبرشية مستقلة. لا يسكن المنطقة من المسيحيين إلا الكلدان الذين يتكلمون السورث. توفي مطرانها مار كوركيس كوكا سنة ١٩١١. وبينما تنتظر الأبرشية انتخاب مطران جديد لها، يدير شؤونها كاهن مدبر بطريركي. رغم محاولتنا الجدية لم نتمكن من الحصول على إحصائيات مفصلة لهذه الأبرشية. إلا ان مجموع الإحصائيات هنا هو الرقم الحقيقي لها.

المراكز	السكان	الكهنة	الكنائس	المصلّيات	المدارس
سنا	٩٠٠	٣	٢	—	١

١٠– أبرشية سلاماس

أصبحت كاثوليكية في القرن السادس عشر، في عهد البطريرك عبد يشوع الرابع خليفة مار يوحنا سولاقا. غالبية سكانها مسلمون، وفيها أيضًا إلى جانب الكاثوليك العديد من النساطرة والأرمن وقلة من السريان والبروتستنت، لغة المسيحيين فيها السورث والأرمنية. كان مطرانها سنة ١٩١٣ مار بطرس عزيز، منذ سنة ١٩١٠. ومركزه في مدينة خوسراوه. هذه الأبرشية تلي الأبرشية البطريركية من حيث عدد مؤمنيها.

إحصائيات:

المراكز	السكان	الكهنة	الكنائس	المصليات	المدارس
سلاماس	٥٠٠	٣	٢	١	٢
خوسراوه	٣٧٠٠	٧	٣	٢	٣
بلارور	٢٨٠٠	٤	٢	١	٢
كاريلان	١٠٠٠	٣	١	–	١
عولا	٤٠٠	٢	١	١	١
قويسان	٣٠٠	–	١	–	١
شهارا	٢٥٠	١	١	١	–
خناقا	٢٧٠	–	–	١	١
زيفاجوق	٢٨٠	١	–	١	١
ساطورا	٢٤٠	١	–	١	١
سرنا	٤٩٠	٢	١	١	١
كولامار	٢٣٠	–	–	١	١
المجموع	**١٠٤٦٠**	**٢٤**	**١٢**	**١١**	**١٢**

١١- أبرشية وان

انتشرت الكثلكة في منطقة وان منذ مطلع القرن السابع عشر؛ إلا انهم رجعوا بعدئذ إلى الكنيسة النسطورية. وعاد قسم منهم في مطلع القرن العشرين ثانية إلى الكنيسة الكاثوليكية، فأقيمت لهم وكالة بطريركية بإدارة مطران واعتبرت منطقة رسالات، وأقيم مار يعقوب أوجين منّا مطراناً لها سنة ١٩٠٢. سكانها المسيحيون أكثرهم نساطرة وأرمن لغتهم السورث والأرمنية.

إحصائياتها:

المراكز	السكان	الكهنة	الكنائس	المصلّيات	المدارس
وان	١٠٠	١٠	–	١	٤

دزا	٢٠٠	٦	١	–	١
مريبشو	٢٥٠	٣	١	–	١
ساط	٣٠٠	١	١	–	١
إبرو	٨٠٠	٢	١	–	٢
جولاميرك	٢٠٠	١	–	١	١
أشيثا	٣٥٠	١	–	١	٢
زرني	١٠٠	١	١	–	١
سالمكا	١٥٠	٣	١	–	١
مراكز أخرى	١٤٠٠	٤	–	٥	٣
المجموع	**٣٨٥٠**	**٣٢**	**٦**	**٨**	**١٧**

١٢- أبرشية زاخو

كانت سابقًا تدعى أبرشية نوهدرا ومعلتايا. أصبحت كاثوليكية في نهاية القرن الثامن عشر، في عهد البطريرك يوحنا هرمز. كانت تشكل مع العمادية وعقرة أبرشية واحدة باسم أبرشية العمادية، أصبحت أبرشية مستقلة سنة ١٨٥٠. المسيحيون في المنطقة كلهم كلدان ولغتهم السورث. وبالإضافة إلى غالبية المسلمين في المنطقة يوجد عدد غير قليل من اليهود، لاسيما في زاخو ودهوك وصندور. للرهبان الدومنيكيين دير في قرية مار يعقوب ولهم فيها مدرسة يؤمّها الطلاب من قريب وبعيد.

إحصائيات:

المراكز	السكان	الكهنة	الكنائس	المصلّيات	المدارس
زاخو	٥٠	١	١	١	١
بيدارو	٤٠٠	١	١	–	١
بيرسفي	٤٠٠	١	١	–	–
شرانش	٦٠٠	١	٢	–	–
ألانش	٧٠	١	١	–	–

يردا	٢٥٠	١	٢	—	—
اومرا	٢٠٠	—	١	—	—
بيجو	٥٠٠	١	٢	—	—
مركا	٧٦٠	١	١	١	—
بلون	٣٠٠	١	١	—	—
اسنخ (سناط)	٦٠٠	١	١	—	—
دهوك	٣٥٠	٢	١	—	١
شيوز	٢١٠	١	١	—	١
مار ياقو	١٥٠	—	١	—	١
كرماوي	٤٠	—	١	—	١
المجموع	**٤٨٨٠**	**١٣**	**١٨**	**٢**	**٦**

يظهر مما سبق أن في سنة ١٩١٣ كانت الإحصائيات في الكنيسة الكلدانية كالآتي:

الأبرشيات: ١٣ أبرشية من ضمنها الأبرشية البطريركية. قسم من الوكالات البطريركية أصبحت بعدئذ أبرشيات، وهي: القاهرة، وطهران، والأهواز، والبصرة، وحلب وبيروت، وقد استحدثت أبرشيات أخرى وهي الموصل وألقوش وأمريكا.

ومن ناحية أخرى، اختفت بعض الأبرشيات في الحرب العالمية الأولى، وهي: سعرد، والجزيرة وماردين وسلامس ووان، وقد نقل مقر أبرشية آمد إلى اسطنبول، وسنا إلى طهران مع رفع هذه الأخيرة إلى رئاسة أسقفية.

عدد الكلدان: ١٠١٦٣٠

عدد الكهنة: ٢٩٥

الكنائس: ١٥٣

كابِلاّت أو مصلّى: ٨١

مدارس: ١٣٠

وبعد سنة واحدة من تاريخ هذه المعلومات والإحصائيات اندلعت الحرب العالمية الأولى التي كانت ضربة قاسية على الكنيسة الكلدانية، لاسيما في تركيا وشمال إيران. إلا ان الكنيسة أخذت بعد تلك الحرب تجمع شملها وتركز أقدامها وتعيد بناءها المتصدع من جراء ما قاست في تلك الضربة.

الفصل التاسع عشر

كنيسة المشرق الكلدانيّة الأثورية حاليًّا

١ - الأبرشية البطريركيّة (بطريركية بابل الكلدانية):

كان الكرسي قديمًا في المدائن (سلوقية - طيسفون - كوخي)، وسكن بطاركة كنيسة المشرق بغداد منذ عهد مار طيمثاوس الكبير (٧٨٠-٨٢٣) حتى سنة ١٢٩٤، ثمّ انتقل الكرسي إلى أماكن أخرى، ثم عاد بطاركة الكلدان رسميًا إلى بغداد عام ١٩٦٠. راعيها الحالي مار روفائيل الأول بيداويد (١٩٨٩ -). يعاونه المطران عمانوئيل دلي. مقرّها بغداد عاصمة العراق. تحتضن ٢٧ خورنة، من ضمنها بعقوبة والحبانية والحلة. كاتدرائيّتها كنيسة أم الأحزان، ويستعاض عنها للمناسبات بكنيسة مار يوسف (خربنده - كرادة). فيها المعهد (الدير) الكهنوتي بقسميه، للكبار والصغار، وكلية بابل للفلسفة واللاهوت، والأديرة العامة للرهبان الكلدان، وراهبات الكلدان بنات مريم المحبول بها بلا دنس، والراهبات بنات قلب يسوع الأقدس، إضافة إلى رهبان وراهبات من رهبنات أخرى. وهناك أخوية المحبة (كاريتاس)، والجمعية الخيرية الكلدانية، ولها مجلة بطريركية باسم «نجم المشرق». تضمّ أكثر من نصف الكلدان في العالم. زهاء ٣٥٠ ألف نسمة.

٢ - أبرشية الموصل:

كانت مقرّ البطريركية في السنوات ١٨٣٠-١٩٤٧، ورسميًا حتى ١٩٦٠ إذ فصلت عن الأبرشية البطريركية. راعيها المطران كوركيس كرمو. فيها ٩ خورنات. من ضمنها خورنتا تلكيف وكرمليس. فيها كنائس أثرية جميلة، وأديرة عامرة داخل المدينة وخارجها. دارُ المطرانية الجديدة في كنيسةِ الطاهرة (الطهرة)، كنيسةِ الدير الأعلى قديمًا، بعد أن كان في كنيسةِ مسكنته.

٣ - أبرشية كركوك:

عرفت في التاريخ باسم كرخ سلوخ، أو بيث كرماي (باجرمي). وهي من

الأبرشيات القديمة. راعيها المطران أندراوس صنا. فيها دار مطرانية و٣ كنائس، وبقايا كنيسة أثرية على اسم مار طهمزكرد تعرف بالكنيسة الحمراء (قرمزي كليساي).

٤ – أبرشية أربيل:

عرفت قديمًا باسم حدياب، وهي أبرشية عريقة. تجدّدت سنة ١٩٦٨ راعيها المطران جاك اسحق. مقرّها في عينكاوه، وكاتدرائيّتها على اسم مار يوسف. وتضمّ أيضًا مدينة أربيل، شقلاوة، أرموطة، كويسنجق.

٥ – أبرشية البصرة:

عرفت قديمًا باسم فرات ميشان. تجدّدت عام ١٩٥٤. راعيها المطران جبرائيل كساب، فيها عدّة كنائس، وتتبعها العمارة والكوت.

٦ – أبرشية ألقوش:

فصلت عن الأبرشية البطريركية والموصل سنة ١٩٦٠. راعيها المطران عبد الأحد صنا، وتتبعها أيضًا تلسقف، باقوفا، باطنايا، الشيخان (عين سفني)، مجمع جمبور. تحتضن دير الربان هرمزد، ودير السيدة، ودير مار أوراها.

٧ – أبرشية العمادية:

تأسّست سنة ١٧٨٥ وتشمل العمادية، كوماني، بيناثن، اينشكي، ارادن، تنا، الداودية، بردرش. وفي منطقة الشمكان القرى أصن، أركن، آزخ، تلان، برتا، هرماش، ميزي، بيبوزي. معظمها أزيلت، واستعيد بعضها في السنوات الأخيرة. راعيها المطران حنا قلو، كان مقرّه في مانكيش حتى تسلّمه رعاية أبرشيّة زاخو أيضًا فسكن في دهوك، مسؤولاً عن الأبرشيّتين.

٨ – أبرشية زاخو:

فصلت عن أبرشية العمادية سنة ١٨٥٠، تتبعها فيشخابور، ديرابون، قره ولا، بغلوجه، دورناخ، بيدار، العباسية، بهنونه، شكفتي مارا، تل كبر، بيرسفي، شرانش، آلانش، يردا، عومرا (دير شيش)، سناط، أفزروك، ليفو، شيوز، مار ياقو، سميل، منصورية الجبل. قسم من هذه القرى أصابها الدمار، ثمّ استعيد بعضها.

٩ – أبرشية عقرة:

فصلت عن أبرشية العمادية سنة ١٨٥٠، ثمّ انضمت إليها، وعادت فاستقلت كوكالة بطريركية، حتى أقيم لها أسقف عام ١٩٤٧. راعيها المطران عبد الأحد ربان (توفي في تموز ١٩٩٨). تتبعها قرى خربة، خرجاوة، كربش، هزرجوت، براكة، خردس، بامشمش، ملا بروان، نركزينة، أرينة. معظمها أصابها الدمار، واستعيد بعضها.

١٠ – أبرشية طهران (إيران):

تأسّست سنة ١٨٥٣ في سنا، حتى انتقلت إلى العاصمة رسميًا سنة ١٩٧١. راعيها المطران يوحنا عيسائي، وقد استقال لصالح المطران المعاون رمزي كركو. تشمل أيضًا همدان، كرمنشاه، قزوين، وسنا.

١١ – أبرشية أورمية وسلماس (إيران):

عريقة في القدم. تجدّدت عام ١٦٤٧، ثمّ عام ١٨٩٠. راعيها المطران توما ميرم.

١٢ – أبرشية الاهواز:

عريقة في القدم. أعيد تأسيسها عام ١٩٦٦. مطرانها حنا زورا يخدم حاليًا في تورونتو (كندا).

١٣ – أبرشية سورية:

أصبحت أبرشية مستقلة عام ١٩٥٧. راعيها المطران أنطوان أودو، ومقرّه حلب. تشمل أيضًا دمشق، القامشلي، ديرك، خانكي، دير الزور، الحسكه، الجزيرة وكل سورية.

١٤ – أبرشية لبنان:

أصبحت أبرشية مستقلة عام ١٩٥٧. راعيها المطران يوسف توماس، ومقره في بيروت، وتشمل لبنان كله.

١٥ – أبرشية تركية:

تعرف رسمياً باسم دياربكر، ومقر المطران في اسطنبول، إذ تجددت عام ١٩٦٥، بعد اندثار أبرشيات آمد (دياربكر)، ماردين، سعرت، الجزيرة، وان. راعيها المطران بولس كراتاش.

١٦ – أبرشية مصر:

تأسست عام ١٩٨٠. راعيها المطران يوسف صراف، ومقره القاهرة (هيليوبوليس، مصر الجديدة)، وكاتدرائيته بازيليك عذراء فاتيما.

١٧ – أبرشية الولايات المتحدة الأمريكية:

تأسست عام ١٩٨٢. تضم ١٣ خورنة لاسيما في ديترويت (ميشيغان) وكاليفورنيا. راعيها المطران ابراهيم ابراهيم، ومقره ديترويت، وكاتدرائيته كنيسة أم الله.

١٨ – وكالات بطريركية:

في السليمانية (العراق)، باريس (فرنسا)، سدني وملبورن (أوستراليا)، ستوكهلم (السويد)، بروكسل (بلجيكا)، لندن (انكلترا)، تورونتو ومنتريال (كندا)، القدس. وهناك تمثيل كلداني كنسي في روما، اليونان، جيورجيا، بلجيثانيا. وللكنيسة الكلدانية دير كهنوتي باسم معهد شمعون الصفا، قسم للكبار وقسم للصغار، وكلية لاهوت باسم كلية بابل للفلسفة واللاهوت، ورهبانيات ثلاث: للرجال باسم الرهبنة الأنطونية لمار هرمزد، وبنات مريم المحبول بها بلا دنس، وبنات قلب يسوع الأقدس، وأخوية محبة: ومجلة بطريركية باسم (نجم المشرق)، ومجلة تراثية باسم (بين النهرين) جميعها في بغداد، وجمعيات خيرية ونشرات في معظم الأبرشيات.

الفصل العشرون

المسيحي المشرقي شاهد وشهيد

نقصد بالمسيحي المشرقي كل منتمٍ إلى كنيسة المشرق وهو عضو في جسمها، معروف باسم «سورايا»، أي من كانت بشارته رسولية على يد مار توما ومار أدي ومار ماري وغيرهم من رسل المسيح والتلاميذ الغيارى، ومن عرف أن يكون كنيسة حية، هي شجرةُ نور وخميرة وملح في قلب بلاد ما بين النهرين وديار المشرق من أقصاها إلى أقصاها، واستطاع، رغم كل النوائب والمعاناة، أن يحيا حياة بطولة شخصية، جماعية، وعالمية، فكان شاهدًا للنور، وكان شهيد حب عظيم شامل، لا حدود ولا مقاييس له.

اتسم المسيحي المشرقي بإيمان رسولي، استمده من حاملي بشرى الخلاص، تلك الشموع الأولى التي أضاءت سماء الدنيا، فغيرت الأجواء الضبابية العكرة إلى صافية متلألئة طافحة بالبهاء. إيمانه رسولي، لأنه صادر عن تقليد حي تَنَاقَلَه مَن رأوا ولمسوا وعاشوا نور حب حي دائم. ووجوده مفعم بروحية فيها من التسامي فوق الماديات والجسديات والحيثيات، إلى ما هو من ذرى الروح وشفافية الكيان. ورجاؤه وطيد بمن وحده يمكنه أن يسعد القلب ويحقق المعجزات العظيمة.

المسيحي المشرقي واعٍ يستمد علمه الروحي عبر ثقافة إنسانية متمكنة، فيؤكد على التعلم والدراسة والبحث وطلب المزيد. إلى جانب الكنيسة والدير تقوم المدرسة بنظام محكم ومنهج علمي وقيم رفيعة وأهداف عالية. ومئات المتعمقين في شتى حقول المعرفة عرفتهم كنيسة المشرق عبر تاريخها، فكانوا نجومًا لامعة في سماء مجتمعات أفادوها وطوروا مسيرة الفكر والعلوم، مكونين ثقافات جلى، ومساهمين في إرساء قواعد حضارات راقية، متوخي حضارة إيمان ورجاء ومحبة.

والمسيحي المشرقي مشبع بروح رسولية دفعت به إلى الانطلاق إلى شتى أرجاء الشرق لإعطاء ما لم يشأ أن يبخل به على أحد، أو يحتفظ به لنفسه، لأن النور هو للجميع، ولأن الملح هو لإصلاح الطعام، ولأن الخميرة هي لصنع خبز يطيب للناس، ولأن الحب عطاء وبذل سخي.

والمسيحي المشرقي إنسان قد غمره روح الحق، يتمناه للجميع، ويعلو زاهيًا بالمجد، فلا يطاله أحد إلا ورفعه إلى درجة أعلى في سلم الكمال، حتى يبلغ التمام في اكتمال رؤية لا شكل فيها، لكنها تجمع كل الأشكال والألوان، لتوحدها في سناءٍ بهيٍّ خالد، لا يلقاه إلا أنقياء القلوب وشفافو الذات المغمورة بالنور.

والمسيحي المشرقي شخص واقعي، يحيا حياته ببساطة، يتكيّف مع البيئة ويؤثّر فيها، فيبني مجتمعًا إنسانيًا فيه كل مقومات حياة كريمة متطورة. لذا كان المسيحي المشرقي دومًا من بُناة الحضارة في أي بلد وأي عصر. لا يقتلعه من جذوره وإرثه تَبدُّل وضع، أو تغيُّر أرض، أو تطوُّر مجتمع. يعرف بأن حياته مسيرة، على خطى ابراهيم في ترحاله نحو المطلق، وفي درب جلجلة المسيح يقضي العمر ناشدًا الحب الأوحد.

المسيحي المشرقي هو بذرة خردل تنمو فتصبح غرسة وافرة، وحبة حنطة تموت لتأتي بثمر كثير، وشمعة تنير بقدر ما تذوب، ونار تحرق الهشيم وتنقي الذهب. وبانتشار النور، يزدهي العالم، بل الكون، بفيض نور الله الذي يحجب كل نور، فيصبح الكل نورًا، ويكبر البحر غمرًا، وتعلو الجبال إشراقًا، ويأتي الملكوت العجيب ليحل في أرضنا، فتتحول إلى سماء، ولا نعود بحاجة إلى إيمان، ولن نرجو بعد شيئًا، لأن الحب قد غمر الوجود، بل حقق الوجود وأعطى معنى ومذاقًا لكل شيء.

هنيئًا لمن عرف هذا، وعاشه، ونشره حَولَه.

المصادر والمراجع

لا يمكننا استيفاء كل المصادر والمراجع ، لكننا سنقدم نماذج مهمة منها ، لكل باب ومادة ، مصنفة وفق مواضيع مبينة بوضوح ، عساها تفي بالمرام . وبوسع من يشاء أن يكمل المسيرة ، فيستزيد ، لأن المادة واسعة ، والعلم بحر ، ولا بد من تقصير ، فمعذرة .

أولاً- مصادر عامة:

- **مجامع كنيسة المشرق** ، طبعة جان باتيست شابو مع ترجمة فرنسية ، وترجمة المانية لأوسكار براون ، وعربية لي ، طبعة جامعة الروح القدس - الكسليك ، في لبنان ، وانكليزية للخوري بيرني مع تحقيق ومقدمات لي . فيها المجامع الرسمية بقوانينها ، تاريخ ، جغرافية كنسية ، لاهوت ، ليتورجيا . . .

- **كتابا المجدل** ، الأول لماري بن سليمان ، والثاني لعمرو بن متى وصليبا بن يوحنا ، طبع جيسموندي الفصلين الخاصين بتاريخ البطاركة .

- **تاريخ أربيل المنحول** ، الذي نسبه الفونس منكانا ناشره إلى مشيحازخا ، وفيه تركيز على أبرشية حدياب قديمًا .

- **التاريخ الصغير** ، نشره كويدي (جمهرة لوفان) ، وترجمه الأب بطرس حداد إلى العربية (مطبوعات مجمع اللغة السريانية) .

- **تاريخ يوحنا برفنكايي** ، نشره منكانا (الموصل) .

- **تاريخ إيليا برشينايا**، نشره بروكس وشابو ، ونقلتُه إلى العربية (مطبوعات مجمع اللغة السريانية) .

- **التاريخ السعرتي** ، نشره المطران أدي شير في الباترولوجيا الشرقية (باريس) .

- **حياة مار آبا** (نشرها بيجان)، **مار سبريشوع** (نشرها بيجان)، **رسائل البطريرك ايشوعياب الحديابي** (نشرها روبنس دوڤال)، **رسائل البطريرك طيمثاوس الكبير**

(نشرها براون ودرسها البطريرك مار روفائيل الأول بيداويد)، **حياة مار يهبالاها الثالث** (نشرها بيجان)، **رسائل متبادلة بين البطاركة المشرقيين وبابوات روما** (نشرها الانبا شموئيل جميل).

ثانيًا- المصادر الخاصة

- **جثالقة وبطاركة**: المجدل لماري، المجدل لعمرو – سليبا؛ تاريخ إيليا برشينايا؛ كتاب الدلائل لابن البهلول (نشرته عام ١٩٨٧)؛ حياة جثالقة وبطاركة (ورد ذكرها).

- **مجامع وقوانين**: مجامع كنيسة المشرق (السنهادوسات المشرقية)، مجاميع مجمعية وقانونية لإيليا الجوهري، عبدالله بن الطيب (فقه النصرانية، نشر شبايس وهنرباخ)، إيليا برشينايا، عبديشوع الصوباوي (كتابان، نشرهما الكردينال ماي، والأب فوستي).

- **شهداء وقديسون**: سير الشهداء والقديسين (طبعة السمعاني، بيجان، وبالعربية المطران أدي شير والأب البير أبونا)، تاريخ شهداء كرخ سلوخ (نشر مسينكر، بيجان، هوفمان)، تاريخ الشهيد ايشوعسبران لإيشوعياب الثالث (نشره شابو باختصار).

- **رهبانيات**: تاريخ يوسف الرائي أو فردوس الشرقيين، حياة الربان برعيتا (نشره المطران أدي شير)، تاريخ دير مار سبريشوع (نشره منكانا)، تاريخ الربان هرمزد (نشره السر واليس بدج)، تاريخ العفة أو الديورة لايشوعدناح البصري (نشره شابو، ونقله إلى العربية البطريرك بولس الثاني شيخو)، تاريخ الرؤساء لتوما المرجي (نشره بدج، ونقله إلى العربية الأب البير أبونا) حياة الربان يوسف بوسنايا (لتلميذه بركلدون، نشرها شابو، ونقلها إلى العربية الأب يوحنان جولاغ). الديارات للشابشتي، تحقيق كوركيس عواد، ط٢، بغداد ١٩٦٦.

- **مدارس وأدب وثقافة**: تاريخ برحذبشبا عربايا (نشره فرانسوا نو في الباترولوجيا الشرقية)، وعلة تأسيس المدارس لبرحذبشبا أسقف حلوان (نشره المطران أدي شير في

الباترولوجيا الشرقية)، فهرس المؤلفين لعبديشوع الصوباوي (نشر الحاقلاني والسمعاني، ثم تحقَّقَ ونُقِلَ إلى العربية ونُشِرَ ضمن مطبوعات المجمع العلمي العراقي، هيئة اللغة السريانية). هذا بالإضافة إلى أمهات كتب الأدب السرياني للسمعاني، رايت، بومشترك، دوڤال، شابو، بولس السمعاني، جورج غراف، اورتيز دي اوربينا، البطريرك افرام برصوم، بيكولفسكايا، رودولف ماسوخ، الأب ألبير أبونا، المطران اسحق ساكا، فولوس غبريال وكميل البستاني، مراد والبكري ورشدي، بيرا سرمس. وموسوعات عديدة.

- **لاهوت** (كتابي، عقائدي، آبائي، طقسي، روحاني): مؤلفات الآباء والكتبة القدامى أفراهط، مار افرام، نرسي، بابي الكبير، جبرائيل بن ليفي وابراهيم بن ليفي، ايشوعداد المروزي، اسحق النينوي، سهدونا، يوحنا الدلياثي، يوحنا بن زوعبي، إيليا برشينايا، عبدالله بن الطيب، عبديشوع الصوباوي، إضافة إلى البطاركة المؤلفين (وأعمالهم منشورة من قبل السمعاني، ماي، باريزو، نو، شابو، بدج، منكانا، تونو، فوستي، كونوللي، فاشالد، فان اونيك، بيجان، اورتيز دي اوربينا، روبير بيلوي، وآخرين).

- **فلسفة وعلوم**: كتابات برديصان، أيوب الرهاوي، آل بختيشوع، حنين بن اسحق وابنه اسحق وابن أخته حبيش، يوحنا بن ماسويه، عبدالله بن الطيب، (وقد نشرت معظم تآليفهم من قبل نو، درايفرز، منكانا، مايرهوف، تروبو، ومحققين آخرين).

ثالثًا- أهم المراجع:

- **ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان**، للأب بطرس نصري، ج١، الموصل، ١٩٠٥، وج٢، الموصل، ١٩١٣.

- **تاريخ كلدو وآثور**، للمطران أدي شير، ج١، بيروت، ١٩١٢، وج٢، بيروت، ١٩١٣.

- **خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية**، للكردينال اوجين تيسّران، ترجمة القس (المطران) سليمان الصائغ، مطبعة النجم، الموصل، ١٩٣٩.
- **تاريخ الموصل**، للقس (المطران) سليمان الصائغ، ٣ أجزاء، مصر، ١٩٢٣، بيروت، ١٩٢٨، جونيه، ١٩٥٦.
- **تاريخ نصارى العراق** لروفائيل بابو اسحق، بغداد، ١٩٤٨. وله **أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية**، بغداد، ١٩٦٠. ومدارس العراق قبل الإسلام، ١٩٥٥.
- **تاريخ الكنيسة الشرقية**، للأب البير أبونا، ٣ أجزاء، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٢ – ١٩٩٣ (وكان قد طبع الجزء الأول مرتين في العراق).
- **كنيسة المشرق**، للأب د. يوسف حبي، ج١، بغداد، ١٩٨٩.
- **الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها**، لمحمّد سعيد الطريحي، بيروت، ١٩٨١.
- **كنائس بغداد وديارتها**، للأب د. بطرس حداد، بغداد، ١٩٩٤.
- **كلدان القرن العشرين**، للأب د. حنا شيخو، ط٢، ديترويت، ١٩٩٢.
- وهناك اشتغالات جزئية للعديدين، بالعربية والسورث، أمثال: المطران سليمان صائغ، المطران يوسف بابانا، كوركيس عواد، المطران روفائيل ربان، المطران اسطيفان كجو، المطران كوركيس كرمو، المطران عمانوئيل دلي، المطران اندراوس صنا، المطران جاك اسحق، الأب ألبير أبونا، الأب يوسف حبي، الأب بطرس حداد، الأب يوحنان جولاغ، الأب سرهد جمو، الأب ميخائيل بزي، حبيب حنونا، بنيامين حداد، بيرا سرمس وغيرهم كثيرين.

رابعًا– باللغات الأجنبية

- J.S. Assemani, *Bibliotheca Orientalis Celementino-Vaticana*, Romae, 1719-1728 (Repr. Hildeshiem, Olms, 1975).

- Le Quien, *Oriens Christianus*, 3 vol., Paris, 1740.
- *Synodicon Orientale*, éd. J.-B. Chabot, Paris, 1902.
- J. Labourt, *Le christianisme dans l'empire perse sous la dynastie sassanide*, Paris, 1904.
- J. Tfindkji, *L'Église chaldéenne autrefois et aujourd'hui*, 1913 (Annuario Pontificio, Vatican, 1914).
- E. Tisserant, "Nestorienne (Église)", in *DThC*, X, 1931.
- J. Dauvillier, "Chaldéen (droit)", in *DDC*, III, 1936.
- J.M. Fiey, *Assyrie chrétienne*, 3 vol., Beyrouth, 1965-1968.
- Id., *Jalons pour l'histoire d'une Église en Irak*, *CSCO* 310, Subs. 36, Louvain, 1970.
- Id., *Mossoul chrétienne*, Beyrouth, 1959.
- Id., *Communautés syriaques en Iran et en Irak*, Variorum reprints, 1979.
- Id., *Les Syriaques orientaux sous les Abbassides*, *CSCO* 420, Subs. 59, Louvain, 1980.
- Id., *Les Syriaques orientaux sous les Mongols*, *CSCO* 362, Subs. 44, Louvain, 1975.
- Id., *Pour un Oriens Christianus Novus, Répertoire des Diocèses syriaques orientaux et occidentaux*, Beyrouth, 1993.
- A. Bugnini, *La Chiesa in Iran*, Ed. Vinceziane, Roma, 1981.
- P. Kaverau, *Ostkirchengeschichte*. I *Das Christentum in Asien und Afrika*, *CSCO* 451, Subs. 70, Louvain, 1983.
- A. Lampart, *Ein Martyrer der Union mit Rom*, Benziger Verlag, 1966.
- *The Church of the East: Life and Thought*, a special number of *Bulletin of the John Rynalds University Library of Manchester*, vol. 78, Nr. 3, Autumn 1966.

فهرس

صفحة

الإهداء ٥

إيضاح ورجاء ٧

مدخل ٩

الفصل الأول: البيئة الحضاريّة لكنيسة المشرق ١١
١- بلاد ما بين النهرين ١١
٢- أرض أبينا ابراهيم ١٢
٣- حضارة وادي الرافدَين ١٣
٤- أجواء المسيحية المشرقية ١٣

الفصل الثاني: هويّة وبدايات ١٥
١- الاسم ١٥
٢- البدايات ١٥
٣- بيّنات التاريخ ١٧
٤- رسل المشرق ١٨
٥- اللغة والشعب ١٩

الفصل الثالث: الحياة الطقسية ٢١
١- طقس كنيسة المشرق ٢١
٢- السنة الطقسية ٢٣
٣- المواسم ٢٤
٤- رتب الأسرار ٢٦
٥- الصلاة الطقسية ٢٧

الفصل الرابع: جغرافيّة كنيسة المشرق ٣١
١- جغرافية كنيسة المشرق قديمًا ٣١
٢- الأبرشية البطريركية ٣١

الفصل الخامس: شركة ومعاناة ومركزيّة ٣٥
١– معاناة واستشهاد ٣٥
٢– وحدة وحياة ٣٨
٣– علاقات شركة ووحدة ٤٠
٤– مركزية وشركة ٤٢
٥– الاختلاف لا الخلاف ٤٤

الفصل السادس: مجمعيّة كنيسة المشرق ٤٧
١– مجامع كنيسة المُشرق ٤٧
٢– نصوص مجمعية ٤٨
٣– المجمعية خاصيّة مميزة والسلطة الكنسية أبوّة وخدمة ٥٢

الفصل السابع: بطاركة عظام ٥٥
١– قائمة جثالقة وبطاركة كنيسة المشرق ٥٥
٢– مار شمعون برصباعي (٣٢٩–٣٤١) ٦٢
٣– مار آبا الكبير (٤٩٠–٥٥٢) ٦٣
٤– مار ايشوعياب الثالث الحديابي (٥٨٠–٦٥٩) ٦٥
٥– البطريرك طيمثاوس الكبير (٧٨٠–٨٢٣) ٦٧
٦– البطريرك مار يهبالاها الثالث (١٢٨١–١٣١٧) ٦٨
٧– البطريرك مار يوسف أودو (١٨٤٧–١٨٧٨) ٧٠

الفصل الثامن: الرهبانية استشهاد حياة ٧٥
١– الظاهرة الرهبانية وبنو العهد وبناته ٧٥
٢– الرهبانية الديريّة ٧٧
٣– قوانين الدير الكبير ٧٨
٤– مؤسّسو أديرة مشرقية قديمة ٧٩
٥– تجديد الرهبنة الكلدانيّة ٨٣
٦– أديار بغداد القديمة ٨٦
٧– الأديرة في الحيرة والكوفة وضواحيها ٨٩

الفصل التاسع: الأديرة القائمة ٩٥

١- دير مار إيليّا ... ٩٥
٢- دير مار ايشوعياب برقوسري ... ٩٦
٣- الدير الأعلى وكنيسة الطاهرة ... ٩٨
٤- دير مار ميخائيل ... ١٠٠
٥- كنيسة مار كوركيس ... ١٠١
٦- دير مار أوراها ... ١٠٢
٧- دير الربّان هرمزد ... ١٠٣
٨- دير السيّدة حافظة الزروع ... ١٠٦
٩- دير مار متّى (للسريان الأرثوذكس) ... ١٠٦
١٠- دير مار بهنام (للسريان الكاثوليك) ... ١٠٨
١١- دير الغابات (بيث عابي) ... ١٠٩
١٢- دير مار عوديشو (عبديشوع) ... ١١٠
١٣- دير مار ياقو (يعقوب) ... ١١٠
١٤- دير القصير ... ١١١

الفصل العاشر: الكنائس القديمة وهندستها ... ١١٣
١- هندسة الكنيسة المشرقية ... ١١٣
٢- كنائس الموصل القديمة ... ١١٥

الفصل الحادي عشر: كنيسة المشرق والثقافة ... ١١٩
أولاً- طابع الآداب والعلوم المشرقية ... ١١٩
ثانيًا- محاولة رصد التراث الأدبي ... ١٢٠
ثالثًا- مَواطن المخطوطات السريانية ... ١٢٠
رابعًا- أشهر المعنيّين بتراث السريانية ... ١٢١
خامسًا- مجلاّت وموسوعات ... ١٢٢
سادسًا- المؤلّفون القدامى ... ١٢٣
١- طَطيانس والدياطسّرون (أواسط القرن ٢) ... ١٢٣
٢- بَرديصان والديصانية (١٥٤-٢٢٢) ... ١٢٤
٣- أفراهاط الفارسي (توفّي بعد ٣٤٥) ... ١٢٥

٤- مار افرام (٣٠٦-٣٧٣) ١٢٦
٥- نَرسَي الملفان (٣٩٩-٥٠٢) ١٢٨
٦- بابي الكبير (٥٥١-٦٢٨) ١٢٩
سابعًا- المراكز الثقافية ١٣٢
١- الرها مملكة حضاريّة ١٣٣
٢- مدرسة الرها – نَصيبين ١٣٤
٣- مدرسة جنديسابور ١٣٥
٤- مدرسة ميافرقين ١٣٦
٥- مدرسة سلوقية والمدائن ١٣٦
٦- مدرسة مرو ١٣٧
٧- مدرسة الحيرة ١٣٧
٨- مدرسة دير قنى ١٣٧
٩- مدرسة بلد (أسكي موصل) ١٣٧
١٠- تكريت ومدرستها ١٣٨

الفصل الثاني عشر: كنيسة المشرق والإسهام الحضاري ١٣٩
١- التواصل الحضاري ١٣٩
٢- الإسهام الحضاري في بناء الحضارة العربية في العهد العبّاسي ١٤١
٣- الإسهام في الحركة الثقافية في العراق في القرنين ١٩ و٢٠ .... ١٤٦

الفصل الثالث عشر: كنيسة المشرق والعرب ١٤٩
١- المسيحية لدى العرب ١٤٩
٢- مملكة الحيرة ١٥٠

الفصل الرابع عشر: كنيسة المشرق في الهند والصين وأقاصي آسيا ١٥٣
١- مسيحيّو مار توما (الملبار، كيرالا – الهند) وكنيسة المشرق ١٥٣
٢- كنيسة المشرق في الصين وآسيا الوسطى وأقصاها ١٥٥

الفصل الخامس عشر: مَواطن تراثيّة ١٦١
أولاً- سهل الموصل: من ألقوش إلى تلكيف ١٦١
١- ألقوش ١٦١

٢- تلسقف ١٦٣
٣- نصيريّة ١٦٥
٤- شرفية ١٦٥
٥- مجمع جنبور ١٦٦
٦- باقوفا ١٦٦
٧- باطنايا ١٦٦
٨- تلكيف ١٦٧
ثانيًا- سهل الموصل (برطلة، كرمليس، قره قوش) ١٦٩
١- برطلة ١٦٩
٢- كرمليس ١٧٠
٣- قره قوش (باخديدا) ١٧٢
ثالثًا- الشيخان وعقرة ١٧٣
١- الشيخان (عين سفني) ١٧٣
٢- ميزي وأطرافها ١٧٤
٣- عقرة ١٧٤
٤- مجمع القادسية (نحلا) وهزارجود وملابروان والأطراف ١٧٥
٥- ميركي وبعشيقة وباحزاني ١٧٥
٦- خنس ودزي وبدويل وبيريستيك ١٧٦
رابعًا- دهوك وعمادية ١٧٧
١- دهوك وأطرافها ١٧٧
٢- سرسنك وبرورش وبيباد ١٧٩
٣- ثنا والداوودية ١٧٩
٤- أرادن ١٨١
٥- اينشكي ١٨٢
٦- أقدش وبامرني (بيث مورداني) ١٨٢
٧- شمرخ ودير مار أوراها ١٨٣
٨- مانكيش ١٨٣
٩- ديري و كوماني ١٨٤

خامسًا- زاخو والجبال ١٨٥
١- عومرا دمار سوريشو وبلون ١٨٥
٢- سناط وعومرا ويردا وآلانش وشرانش ١٨٦
٣- مركا ١٨٧
٤- كاني ماسي (عين نوني) ١٨٧
٥- بشماي ١٨٧
٦- دوري ١٨٧
٧- بيرسفي ١٨٨
٨- بيدار ١٨٩
٩- فيشخابور ١٨٩
١٠- ديرابون ١٨٩
١١- زاخو ١٩٠
سادسًا- أربيل والجبال ١٩٠
١- عينكاوه ١٩٠
٢- شقلاوة ١٩١
٣- أرموطه وكويسنجق ١٩١
٤- ديانا ١٩٢

الفصل السادس عشر: كنيسة المشرق في تركية وإيران ١٩٣
أولاً- كنيسة المشرق في الجنوب من تركية ١٩٣
١- تياري وتخوما وجيلو وباز ودز ١٩٣
٢- مناطق رايا (جوليرك وقوجانس) ١٩٤
ثانيًا- كنيسة المشرق في إيران ١٩٦

الفصل السابع عشر: روحانيات كنيسة المشرق ٢٠٣

الفصل الثامن عشر: إحصائيات قديمة (بادجر، كتس، شابو، تفنكجي) ٢١٣
أوّلاً- إحصائية القس جورج بيرسي بادجر في الأعوام ١٨٤٢-١٨٤٤ ٢١٣
١- أبرشية مار ابراهيم (كندك) ٢١٣

٢- أبرشية تل ايشوعياب في برواري ٢١٤
٣- أبرشية بوتان ٢١٥
٤- كردستان الأوسط (أبرشية مار شمعون البطريرك) ٢١٥
٥- أبرشية مار سركيس في جيلو ٢١٩
٦- أبرشية مار صليوا في كفر ٢٢١
٧- تابعة للبطريرك ٢٢٣
ثانيًا- إحصائية القس إدورد كتس ٢٢٥
١- القرى غربي آشيثا ٢٢٥
٢- تياري السفلى ٢٢٥
٣- تياري العليا ٢٢٦
٤- إقليم ولطو ٢٢٧
٥- إقليم دز ٢٢٨
٦- بروار (قوجانس) ٢٢٨
٧- بروار صوصيني ٢٢٩
٨- بروار شواووثا ٢٢٩
٩- بيلجنايي ٢٣٠
١٠- أبرشية مار سركيس في جيلو ٢٣٠
أ- إقليم تخوما ٢٣٠
ب- إقليم جيلو ٢٣٠
ج- إقليم باز ٢٣١
د- إقليم ريكان ٢٣١
١١- أبرشية مار صليوا في كفر (كور) ٢٣٢
أ- إقليم كفر ٢٣٢
ب- درينايي ٢٣٣
ج- حنانيس ٢٣٣
د- إقليم ألبق ٢٣٣
هـ- بيل قوردايي دارتوش ٢٣٤
و- إقليم ليوان ٢٣٤

ز– نوردوس ٢٣٥
ح– إقليم جل ٢٣٥
١٢– أبرشية المطران مار حنانيشوع ٢٣٦
– إقليم براد وستابي ٢٣٧
١٣– أورمية ٢٣٨
أ– أبرشية مار يوحنان ٢٣٨
ب– أبرشية مار يونان ٢٤٠
ج– أبرشية مار كوييل (جبرائيل) ٢٤٠
ثالثًا– إحصائية الأماكن المقدسة (الكنائس والأديرة) بأسماء الشهداء والقديسين ٢٤٥
رابعًا– إحصائية العلاّمة جان باتيست شابو (نشرها في ١ كانون الثاني ١٨٩٦ نقلاً عن البطريرك مار كوركيس عبديشوع الخامس خياط) ٢٤٦
١– بغداد ٢٤٦
٢– الموصل ٢٤٦
٣– البصرة ٢٤٧
٤– حلب ٢٤٧
٥– دمشق ٢٤٧
٦– بيروت ٢٤٧
٧– ادنه وطرسوس ٢٤٧
٨– مصر ٢٤٧
٩– طهران ٢٤٧
١٠– كرمنشاه ٢٤٨
١١– آمد ٢٤٨
١٢– كركوك ٢٤٨
١٣– ماردين ٢٤٨
١٤– الجزيرة ٢٤٨
١٥– سعرت ٢٤٨

١٦- زاخو ٢٤٩
١٧- العمادية ٢٤٩
١٨- عقرة ٢٤٩
١٩- سلماس ٢٤٩
٢٠- أورمية ٢٤٩
٢١- سنا ٢٤٩
خامسًا- إحصائية الخوري يوسف تفنكجي ٢٥٠
أ- الأبرشية البطريركية ٢٥٠
١- بغداد وتوابعها ٢٥٠
٢- الموصل وقراها ٢٥١
٣- الوكالات البطريركية ٢٥١
ب- الأبرشيات ٢٥٥
١- رئاسة أسقفية آمد (ديار بكر) ٢٥٥
٢- رئاسة أسقفية كركوك ٢٥٦
٣- رئاسة أسقفية سعرت ٢٥٦
٤- رئاسة أسقفية أورمية ٢٥٨
٥- أبرشية عقرة ٢٦٠
٦- أبرشية العمادية ٢٦١
٧- أبرشية الجزيرة ٢٦٢
٨- أبرشية ماردين ٢٦٣
٩- أبرشية سنا ٢٦٤
١٠- أبرشية سلاماس ٢٦٤
١١- أبرشية وان ٢٦٥
١٢- أبرشية زاخو ٢٦٦

الفصل التاسع عشر: كنيسة المشرق الكلدانية الأثورية حاليًا ٢٦٩
١- الأبرشية البطريركيّة (بطريركية بابل الكلدانيّة) ٢٦٩
٢- أبرشية الموصل ٢٦٩
٣- أبرشية كركوك ٢٦٩

٤– أبرشية أربيل ٢٧٠
٥– أبرشية البصرة ٢٧٠
٦– أبرشية ألقوش ٢٧٠
٧– أبرشية العماديّة ٢٧٠
٨– أبرشية زاخو ٢٧٠
٩– أبرشية عقرة ٢٧١
١٠– أبرشية طهران (إيران) ٢٧١
١١– أبرشية أورمية وسلماس (إيران) ٢٧١
١٢– أبرشية الأهواز ٢٧١
١٣– أبرشية سورية ٢٧١
١٤– أبرشية لبنان ٢٧١
١٥– أبرشية تركية ٢٧٢
١٦– أبرشية مصر ٢٧٢
١٧– أبرشية الولايات المتحدة الأمريكية ٢٧٢
١٨– وكالات بطريركيّة ٢٧٢

الفصل العشرون: المسيحي المشرقي شاهد وشهيد ٢٧٣

المصادر والمراجع ٢٧٥
أولاً– مصادر عامة ٢٧٥
ثانيًا– المصادر الخاصة ٢٧٦
ثالثًا– أهم المراجع ٢٧٧
رابعًا– باللغات الأجنبية ٢٧٨

فهرس ٢٨١

أنجزت المطبعة البولسية
جونيه، لبنان
طبع كتاب
كنيسة المشرق الكلدانيّة – الأثوريّة
في ١٩ آذار سنة ٢٠٠١
عيد القديس يوسف
شفيع المؤلِّف رحمه الله

منشورات كليّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس - الكسليك
- ١٠ -

كنيسة المشرق الكلدانيّة - الأثوريّة

أ. يوسف حبّي

الكسليك - لبنان
٢٠٠١